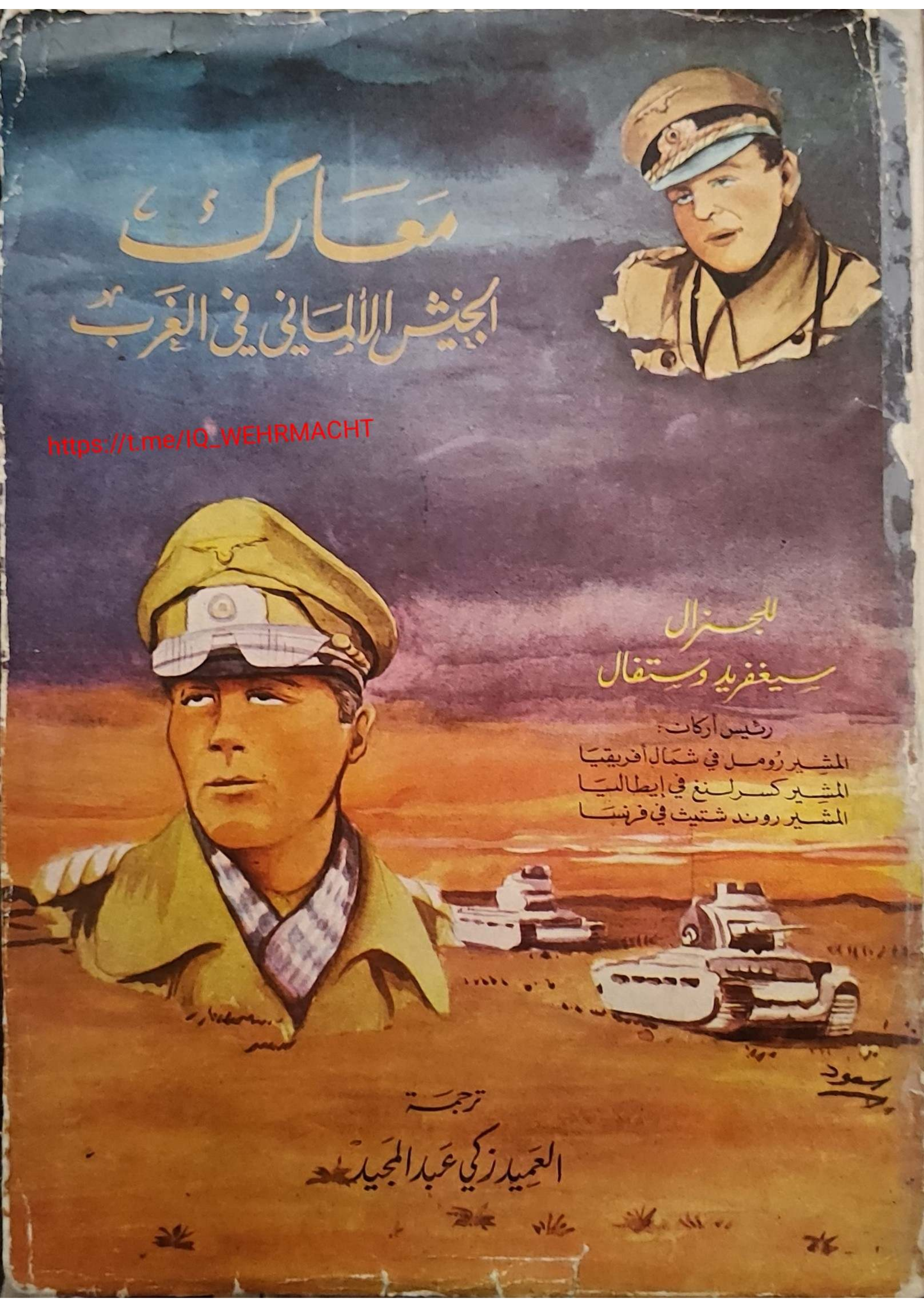


معارك
الجيش الألماني في الغرب

للجنرال
سيغفريد وستفال

رئيس أركان:
المشير رومل في شمال أفريقيا
المشير كسرلنغ في إيطاليا
المشير روند شتيت في فرنسا

سعود

ترجمة
العميد زكي عبد المجيد

معارك الجيش الالماني في الغرب

١٩٦٧

معارك الجيش الألماني في الغرب

للجنرال
سيغفريد وستفال

رئيس أركان
المشير رومل في شمال أفريقيا
المشير كسرلنغ في إيطاليا
المشير روند شتيث في فرنسا

ترجمة
العميد زكي عبد المجيد

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

إن كل حرب ، حتى المكللة بأبهى حلل النصر هي كارثة الشعب ؛ لأن ربح الأرض والمال لا يعوضان عن حياة الرجال ، ولأنهـا لا تبدل المصيبة والبلوى للثكلى أو المفجوع .

مولتكه

الفهرس

القسم الاول

الجيش الالماني في الرايخ الثالث

الفصل	الصفحة

القسم الثاني

الفصل	الصفحة

★ ★

مقدمة

ان غرضي من هذا الكتاب هو بيان القصة الحقيقية للجيش الالماني في «الرايخ الثالث» . وهو يبين وجهة نظري كضابط محترف خدم في الجيش الالمـــاني في اعقاب الحرب العالمية الأولى واستمر فيه حتى تم تسريحه .

لقد حاولت أن أثبت ملحوظاتي وما علق في ذاكرتي بلغة موضوعية رزينة ، وأن أصف المعارك ضد الحلفاء الغربيين ، التي اشتركت فيها كضابط ركن في الجيش الالماني [1] ، وقد سردت الحقائق كما خبرتهـــا بنفسي مجردة عن المبالغة محاولاً خدمة الحقيقة .

ولما كان موقف الجندي الالماني تحت الحـــكم الهتلري لا يتضـــح من دراسة حوادث الحرب العالمية الثانية فقط ، لذا فقد دونت فصلا سبق الفصل الرئيسي من هذا الكتاب ، تضمن موضوعات مختلفة . حاولت فيه ايضاح الحالة النفسية للجيش خلال الاثنتي عشرة سنة للدكتاتورية الاشتراكية الوطنية . وبهذه الوسيلة تيسر لي ايضاح الأسباب الرئيسية التي حدت بالجندي الالمـــاني ان يخدم حكومة هتلر حتى النهاية .

وسيتضح من خلال هذه القضية ، كيف أصبح الجيش الالمـــاني - كخصومـــه

---

١ - في الملحق الرقم ٢ قائمة بالمناصب التي تقلدتها في هذه الفترة .

تماماً ـ لا مفر له من تجنب الحوادث ، وكيف دفعه هتلر نحو المصير المشؤوم . وسيتضح ايضاً كم كانت حرية القادة العسكريين مقيدة ومكبلة في السلم او الحرب على السواء .

سيتناول بحث هذا الكتاب الجيش بصورة رئيسية ، لأنني كنت في منصب لا يساعدني على بيان الاوضاع في البحرية او السلاح الجوي بصورة دقيقة ولكن هذا لا يعني ان الوضع كان يختلف في شيء ما .

لم تكن رغبتي في أن أدافع أو أبرر ، وإنما كتبت لأوضح فقط ، وكل ما أبتغيه هو الحصول على فهم موضوعي اكثر .

وربما يساعد كتابي على إيضاح بعض الاخطاء الناجمة عن التحيز والتحامل الدفين نتيجة للدعاية من جانب واحد فقط ، ومن هذه الناحية ، لا يخلو الكتاب من خدمة لقضية السلم ، لأن الصدق والسلم الدائمين لا يتحققان الا بالتفاهم .

ان السلم الذي يجب ان يسود ليس أعز امنيات للشعب الالماني فحسب ، وإنما للجنود السابقين الذين ذاقوا المرارة والفزع والآلام يوماً فيوماً وسنة بعد سنة في الحرب الحديثة التي لا ترحم .

ويصدق اليوم قول الفيلد مارشال الكونت هلمت فون مولتكه اكثر من اي وقت ، وهو « ان كل حرب ، حتى المكللة بأبهى حلل النصر هي كارثة للشعب ؛ لأن ربح الأرض والمال لا يعوضان حياة الرجال ، ولأنها لا تبدل المصيبة والبلوى للثكلى او المفجوع » .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

ظهر هذا الكتاب «معارك الجيش الالماني في الغرب» في اللغة الانكليزية، وقد قرأته، فوجدت فيه كثيراً من المتعة والفـائدة، وقد حرصت على ترجمته، ليطلع القارىء العربي على جانب من جوانب الحرب العالمية الثانية التي لا تخلو من المتعة والفائدة.

ان المؤلف، هو الجنرال سيغفريد وستفال، كان رئيس هيئة اركان المشير رومل في الصحراء الغربية في شمال افريقيا. ثم أصبح رئيس هيئة اركان المشير كسرلنغ في ميدان قتـال ايطاليا، وأخيراً صار رئيس هيئة اركان المشير روند شتيت عند قيام الالمان بالتعرض الكبير في منطقـة الاردينز، شخصية عسكرية المانية لامعة، تسنم اسمى مناصب القيادة في الحرب العالميـة الثانية، ولذلك حين يتحدث لنا، يتحدث كشاهد عيان، حديث ضابط ركن الماني محترف، عاش الحرب يوماً فيوماً، وهو يكتب كما اشار في مقدمته، للحقيقة والتاريخ بعيداً عن التحيز والتحامل والدعاية، ويبين وجهة النظر الالمانية عن الجيش الالماني وقادته ومعاركه التي خاضها والظروف التي أحاقت به.

يتحدث لنا المؤلف عن الجيش الالماني بعد معاهدة فرساي وكيف نما واتسع

وكيف استطاع « هتلر » الهيمنة عليه والسيطرة على قادتـــه ، ثم كيف صار يدعي بأنه صار اعظم « سيد ميدان » عرفه التاريـخ ، وانه يلم بكل شيء من الألف الى الياء عن فنون التعبئة والسوق العسكري ، ثم كيف أدى هذا الادعاء الفارغ الى الدمار والكارثة الكبرى بالجيش وبالمانيا في النهاية . ثم يتحـدث لنا عن الفيلق الافريقي في الصحراء الغربية ، وعن معارك الكر والفر الـتي دارت رحاها في هذا الميدان الواسع الفسيح . وهنا يبرز براعـــة روومل وجرأته في القيادة ويصورها أدق تصوير ، ويروي لنا كيف تحطم قادة الانكليز امامـــه الواحد تلو الآخر بالرغم من كل الظروف المعاكسة له .

ثم ينتقل الى المعارك التي دارت رحاها في ايطاليا بقيادة كسرلنغ والصعوبات التي واجهها الجيش الالماني في تلك المناطق الجبلية الوعرة، ويتطرق الى العلاقات بين القيادتين الالمانية والايطالية التي أخذت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم حتى ادى ذلك الى استسلام الجيش الايطالي دون علم القيادة الالمانية .

ولا ريب ان التنويه بفصول الكتاب كلها قد يطول وقد يفقدها طرافتهـا وفائدتها ولذلك أدع للقارىء الكريم فرصة قراءة الفصول .

واسأل الله ان يوفقنا جميعاً في خدمة العروبة وان يسدد خطى الجميع لما فيه خير الأمة العربية من محيطها الى خليجها انه نعم المولى ونعم النصير .

المترجم

زكي عبد المجيد

« عميد متقاعد »

القِسْمُ الأوَّل

الجَيش الألماني في الرايخ الثَّالِث

١

الموقفُ النّفسِيّ

الجنود والسياسة

كان الاخلاص لقائد الجيش الاعلى اول ما يطلب من الجندي في ظل الحكم القيصري ، وفي الحقيقة كان الجندي الالماني يقاتل في الحرب العالمية الأولى ببسالة واخلاص ، الى ان تنحى القيصر عن الجيش .. وبعده دب الضعف فيه واختلت قواه ، وهكذا وجدت السياسة موطىء قدم لها في القوات المسلحة ، وهذه حالة عامة لا تتأثر ببعض الاستثناءات الشاذة .

في ربيع ١٩١٩ حلت « قوة دفاعية احتياطية » محل الجيش القديم ، وكانت هذه القوة مناوئة للقوة غير النظامية « Freikorps » التي شكلت في اعقاب الحرب لحماية الحدود الشرقية ومحافظة الامن الداخلي ، ولم يكن ثمة سلطة عليا في البداية ، ولم يكن وزير الحرب البروسي الجنرال راين هارت Reinhardt او بعده وزير دفاع الرايخ نوسكه « Noske » من الشخصيات القوية لتصهر هذه القوات وتجعلها واحدة . ولم يتحقق ذلك إلا بعد الانقلاب العسكري الذي كشف النقاب عن مدى التشتت والاختلاف في الجيش الالماني - وعندما أصبح الجنرال فون سكت von Seeckt رئيساً لأركان جيش الرايخ الحديث التشكيل الذي لم تظهر قابلياته في البداية بوضوح ، لأنه كرس كل جهوده في ترسيخ الاوضاع الاعتيادية في الجيش . واستطاع القضاء على خطر القوة غير النظامية وحلها ، مستخدماً القوة في ذلك احياناً . وابعد جميع العناصر المتطرفة عن الجيش

حتى ولو كانت ذات قيمة عسكرية، واكثر من كل ذلك حرم الاشتغال بالسياسة، وكان غرضه من ذلك تكوين جيش بعيد عن جميع الاتجاهات السياسية، وليصبح حصناً منيعاً للجمهورية من اخطار اليساريين او اليمينيين. وهكذا اصبح جيش الرايخ الصغير وسيلة فعالة تعتمد عليها الجمهورية الالمانية الاولى اعتماداً كلياً، وقد برهن على ذلك في انقلاب مونيخ سنة ١٩٢٣ وفي الاحداث الشهيرة التي وقعت في كتيبة المدفعية الخامسة في « اولم » سنة ١٩٣٠ حين حاول بعض الضباط الاحداث نشر الدعاية النازية متحدين للأمر الصريح في تحريم العمل السياسي .

وقد جرت محاولات شيوعية متعددة مماثلة فاشلة للتأثير على القطعات .

كان الجندي لا يصوت في الانتخاب ، وكان لا يرتاح للاحزاب المتعددة ولا لاغراضها . وكان منصرفاً كلياً الى واجباته العسكرية . ولم يكن لديه أي طموح سياسي ، وكان يتجنب الاحداث السياسية ، وهذا العزل التام للجيش عن الحياة السياسية مما شجعه وأيده رجال السياسة لجمهورية فايمار ، وبذلك منع الجيش من خدمة مآرب الاحزاب السياسية المتعددة ، ولم يستخدم كوسيلة للعمل الثوري .

وفي الحقيقة لم يكن للجيش صلة بأي حزب من الاحزاب ، حتى الحزب الوطني الاشتراكي الذي كان بامكانه الحصول على موطىء قدم فيه قبل ١٩٣٣ ، وقد اثبت التاريخ بأنه لم يكن للجيش أية مشاركة مهما صغرت في اغتصاب السلطة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ .

كان الضباط والجنود الالمان يكرسون جهدهم في الجيش لخدمة وطنهم فقط وكان هذا عاملاً كبيراً في نجاح المانيا بتجنب الكوارث التي حاقت بها ابان السنوات المضطربة الاولى بعد سنة ١٩١٨ .

ومهما يكن فان جميع الضباط في الجيش الذي كان تعداده (٠٠٠ ١٠٠)

جندي كانوا يؤمنون بانهم جمهوريون . ولكن في الحقيقة ، كان هنـاك كثير من الضباط القدامى لا يزال يخفق قلبهم بحب الملكية . ومع ذلك فقـد أخلصوا لحكومتهم الجديدة . اما العناصر المحافظة من الضباط فلم يكونوا اقل دفاعاً عن الجمهورية . وقد طبق في النهاية مبدأ فون سكت ، في جعل الجندي بعيداً عن السياسة بكل دقة وصرامة . بحيث كانت النتيجة عـدم الاكتراث والاهتمام بالاسئلة السياسية بين الضباط ذوي الرتب الكبيرة ، وقد عين خط واضح بين القضايا العسكرية والقضايا السياسية ، ولم يسمح للجندي بتجاوز الحد الفاصل ؛ ولم يكن للجندي في الحقيقة اي رغبة في تجاوزه ، وهكذا كل شيء كان صحيحاً ومناسباً في ظل الجمهورية الديمقراطية اصبح ذا نتائج خطيرة ومحظور في ظل الدكتاتورية .

ولا بد لنا من امعان النظر في القضايا الأخرى التالية لتقديم التطورات المحزنة التي تلت ذلك بصورة صحيحة . وهذه هي : كانت المانيا منذ عـام ١٩٣٢ لا تعاني ازمة اقتصادية خطيرة فحسب كبقية دول العالم ؛ وانما كان هناك خطر قيام الشيوعية فيها . ولدرء هذا الخطر بصورة رئيسية والتخلص السريع من البطالة ، وجهت الانظار نحو الجيش ، وكان ذلك من اعظم الانجازات ، حيث تم بذلك ايقاظ الشعور الوطني ولاقى صدى واستجابة ، ثم بالرجوع الى الالوان الوطنية القديمة : الأحمر والأبيض ، والأسود ، وليس من ينكر ان العلم الاحمر والأبيض ، والذهبي كان غير شائع ومألوف في الجيش . ولهذا استمر نقده من قبل بعض الدوائر لمدة طويلة . وكان لذلك اكبر الاثر . وقـد نجحت سياسة هتلر الخارجية في السنوات التي تلت ذلك نجاحاً عظيماً ، مما جعلت الشعب يعقد آمالاً كبيرة ويثق به ثقة مطلقة لا حدود لها ، ولا غرو في ذلك ، حيث أحرز تلك الانتصارات بدون اراقة دماء ؛ ثم انه كان يؤكد على المثـل الوطنية ، واستطاع بصورة تدريجية ان يجعل الجيش الى جانبه ، ولما كان الجنود يجهلون السياسة لذلك اصبحوا منقادين انقياداً اعمى الى اعماله وتصرفاته الشيطانية .

ومن الغباء ان ندعي بأن التوازن العسكري الذي تم باعادة التسليح لم يلق ترحيباً وغبطة وسروراً . ولكن هذا الترحيب لم يصدر عن رغبة الجيش في استعادة الاراضي التي فقدها بموجب معاهدة فرساي بقوة السلاح ، ولا كان يطمح في ان يرى نفسه مرة أخرى في موقف المسيطر ، غير ان الضباط القادة كان يقلقهم عجز الجيش الذي كان قوامه (١٠٠٠٠٠) والضعيف التسليح ، في الدفاع عن حدود المانيا . خاصة وان موقف بولندا وجيكوسلوفاكيا كان في ذلك الحين يدعو الى الحرب في كل لحظة .. وكذلك يرضي الشعور المعنوي بأن المانيا لا تختلف عن بقية الدول ولها نفس الحقوق . وكثيراً ما قيل بان الضباط الذين آزروا هتلر فقدوا كل امل في الترقية ، وقد كان هـــذا القول صحيحاً أحياناً ولكنه كان لا يصح بصورة عامة ، وعلى كل فقد كان سبباً حاسماً في موقف الجيش في السنوات الاخيرة . وفي الحقيقة كانت هنـاك بعض المحاولات لاستمالة الجيش واغرائه ، ولكن الجيش لم يخضع لوسائل الاغراء خضوعاً تاماً ، ولم يصبح في قبضة النازي ، بل ان الخلاف أخذ ينمو ويتسع . وفي البداية كان موقف مدير ادارة الجيش يتميز بالمحافظـــة ، فقد كان الجنرال فون هامرشتاين ، الذي تقلد هذا المنصب حتى سنة ١٩٣٤ خصماً معلوماً لهتلر ، وقد خلفه الجنرال فون فرتش ، واستمر هذا بخصومته لهتلر ايضاً . وعندما اقيل فرتش من منصبه ابتدأت المقاومة للنفوذ النازي تضعف شيئاً فشيئاً حتى تلاشت تدريجياً اثناء الحرب اي عندما كان الجيش لا يقوده قائد خاص به .

ان الشباب كطبيعة بشرية ، يتميز بالحماس والاندفاع ، وهو مرحـــلة من العمر يتحلى بالشك والريبة تجاه الأمور الجديدة . وكان جميع الذين استدعوا للخدمة سنة ١٩٣٦ قد تدربوا في منظمة الشباب الهتلري وكان هؤلاء أقل انتقاداً من الضباط القدامى ، علاوة على ذلك ساد اتجاه عام في السنوات الاولى من الحكم وهو ان تترك جميع الامور السيئة والمشاكل ووسائل الحزب الدنيئة في باب الحزب ، وتبرئة هتلر من جميع تلك الامور ، وكثيراً ما كان المرء يسمع : « ان الفوهرر لا يعرف شيئاً عنها » . وأصبح الجميع الشباب والشيوخ لا يعرفون الى

اين هم منقادون . ولم يتجرأ أحد على مقاومة النظام الا القليل جداً ، اما عقلية الجندي المحترف فقد تشربت وتبلورت على « الاخلاص والعقيدة » ، والاطاعة وعدم نكث العهد مطلقاً . وكان اشد ما يسمده هو الابتعاد عن السياسة . اما الضباط القدامى فكانوا يبدون مقاومة للنظرة الاشتراكية الوطنية . وكانوا يعتقدون بأن باستطاعتهم الاحتفاظ باستقلالهم حتى ولو كانوا في ظل الدكتاتورية الهتلرية .

واستطاع هتلر من جانبه ان ينتهز فرصة ابتعاد الجندي عن السياسة وان يستغلها بصورة بارعة ، فقد كان يعامل الجيش في البداية معاملة تتصف بعدم الاكتراث ، وبقي ينتظر ويتحين الفرص حتى تم له السيطرة التامة على الجيش واصبح في قبضته ، وتجنب بكل مهارة كل شيء يسبب المتاعب والمشاكل . ثم طلب بعد ذلك من كل الماني ان يحمل « فكرة سياسية » اي بما يفكر به النازيون . ولا يمكن ان يخدم أي فرد في الحكومة ، مدني ، او عسكري ، اذا لم يكن مؤمناً بالنازية . ولن يكون حظه اكثر من حظ الجمهوريين الذين لم يسمح لهم بتولي مراكز مهمة في العهد الملكي . وعلى هذا اذا وجد كل ضابط ان ميله وتفكيره على خلاف ذلك ، فكان اسهل وابسط حل له هو ان يحيل نفسه الى التقاعد بسبب دوره السلبي كجندي غير سياسي . وقد اقدم على هذا الاجراء السريع لرغبته في تحاشي التصادم مع كثير من الجماعات التي كانت قوية في ذلك الوقت ، ولأنه كان يعتقد ان التصادم مع هؤلاء عديم الجدوى والفائدة . وكان هذا هو الموقف الوحيد الممكن تجاه الضباط الافراد . وكانت هذه الطريقة تتفق ورغبة الجيش . والشيء المألوف في كل الجيوش القائمة ، هو ان تكون مستقلة الى درجة ما ، تعيش حياتها الخاصة . ولا ينكر ان هذا كثيراً ما يؤدي الى غطرسة الجيوش وشعورها بالغرور .

اما القيادة العليا للجيش ، فكانت تعتقد بصورة جازمة بأن عليها أن تبقى سياسياً على الحياد. ولا ريب انها كانت على خطأ. لأن الذي في قيادة الجيش ، او

البحرية، والقوة الجوية يجب ان لا يفكر بأن واجباته تنتهي بالاطاعة العسكرية. وانما عليه واجب سياسي ومسؤولية تجاه الأمة.

وقد نكون غير منصفين اذا قلنا بأن قادة المانيا العسكريين عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، كبراوشش وريدر كقائدين للجيش وللبحرية (اما غورنغ فقد كان منذ البداية سياسياً مرتبطاً بالحزب) قد فقدا شعورهما بالمسؤولية عند القرار الخاص بالحرب او السلم، او انهما كانا فاقدي الحس والشعور بالمسؤولية. ولكن كفاحهما في سبيل السلم في خريف ١٩٣٨ اصبح عقيماً بعد تطور الحوادث غير المتوقعة في مونيخ.

وقد بلغت الحيرة السياسية للقادة العسكريين اوجها وأدت الى خضوع واذعان لا يمكن تجاهله. واذا اردنا ان نحلل سبب هذا الخذلان في النهاية، نقول ان القادة العسكريين في القيادة العليا في الرايخ الثالث، واعني بهم، بلومبرغ، وبعده براوشش، وريدر (نترك كايتل خارج تقديرنا)، كانوا ضعفاء غير قادرين على مجابهة هتلر. وشعروا انفسهم بذلك وعجزوا عن مقاومته. وفي الحقيقة لم يخضع براوشش او ريدر لهتلر بسهولة، ولكنهما استسلما له في النهاية. وقد علمنا مدى ما كابده براوشش من صراع نفس وعذاب في الضمير نتيجة ذلك، ولا يختلف ريدر عن براوشش كثيراً في هذا المجال، لان كليهما من نوع تجار الحروب Warmongers . لأنه كان بامكانهما انعاش الامل حتى اللحظة الاخيرة، وان يحتفظ بالسلام كما حصل في السنة الماضية، خاصة بعد ان سحب أمر الهجوم الأول على بولندا في ٢٥ آب ١٩٣٩. وعلى كل، لم يكن الكاتب العسكري البريطاني الشهير لدل هارت مخطئاً عندما اشار في كتابه الجانب الآخر من التل The Other Side of the Hill، الى « حاكم روماني عصري » الذي برأ نفسه من كل ذنب وخطيئة، لأنه كان ينفذ الأوامر فقط. والظاهر ان الجماعة التي كانت في القيادة مدة طويلة قد أصابها الأرهاق والتعب، ولشد ما يذهل المرء خضوعها وانقيادها.

لقد اقتربنا الآن من الحوادث التي تسهل علينا اعطاء الحكم عليها بدون تحيز او انفعال ، ولكن على المرء ان يدرك موقف هؤلاء القادة الصعب جداً في « الرايخ الثالث » . والذين كانوا وحدهم يتحملون مرارة الصراع النفسي ، لا ينتظرون عوناً من برلمان ، او من صحافة حرة ، او من اي شخص مسؤول مستقل آخر .

ولا بدلنا الآن ان نقف عند سؤال طالما كثر الحديث عنه وهو « سؤال التجريم » . من يحاسب ؟ هل ارتكب الجندي الالماني جريمة نحو شعبه والعالم لأنه قاتل تحت حكم هتلر ؟

لقد هدأت الاراء وسكنت النفوس نتيجة تلك التجربة القاسية ، والذي تم الاتفاق عليه الآن بصورة عامة هو ان جميع الجنود الذين ادوا واجبهم العسكري ، قد قاتلوا بعزيمة صادقة وشعور حي ، وكانت الحرب بالنسبة اليهم صعبة التفريق بين حرب « عادلة » وحرب « غير عادلة » . ولهذا السبب لم تكن جريمتهم اعظم من جريمة الافراد الآخرين الذين كانوا يعملون داخل المانيا – بعزيمة صادقة أيضاً – واشتركوا بالمجهود الحربي بصورة غير مباشرة . ولا يمكن اعتبار الجيش الالماني كله مذنباً لأن ذلك يعني ان الشعب الالماني بمجموعه مذنب .

وسنعود لبحث موضوع الجرائم الفردية في مكان آخر من الكتاب .

الجيش – الشعب – الحزب

كان الجيش جزءاً من الشعب ، وكان يخدم فيه جميع الرجال القادرين جسمياً ثم يعودون الى المجتمع ، وكانت تعتبر الخدمة في الجيش حياة جديدة للترويح

عن النفس ، وكان الشعب يعتبر الجيش كالمدرسة يتعلم شبابه فيها النظام والشعور بالواجب ، وكان الجندي المحترف يعتبر هذه الثقافة الواجب الرئيسي ، وليس التهييء لحرب جديدة . وكانت صلات الجيش بالشعب قوية ، وقد بقيت كذلك حتى بعد الغاء التجنيد الاجباري عام ١٩١٩ ، وكانت تتجلى هـذه الصلات بوضوح عندما كان الجيش يخرج للتدريب والمناورات ، فكان الناس من جميع الطبقات يتسابقون في ايواء واكرام القطعات ، وكانت الصلات بين الجيش والشعب تتميز بالحب والاخلاص . وقد استمرت هـذه الصلات حتى في « الرايخ الثالث . اما محاولات الحزب في بذر الفرقة والانقسام ، خاصة بعد ادانة الضباط بمناوأة الحزب فقد باءت بالفشل . وقد ادرك الشعب ان الجيش كان يكافح في سبيل بقائه رمزاً للبساطة والاستقامة والخدمة المسيحية ، وبصورة خاصة المحافظة على التقاليد القديمة ، وهذه مما اثارت الشكوك في نفوس وأعين الحزب . ولم يكن من قبيل الصدف ان يهرب الكثير من الشباب وغيرهم ويلتجئون الى الجيش للتخلص من سيطرة الحزب . وعلق الكثيرون من الشعب امالهم بالجيش ، لأنهم كانوا يعتقدون ان الجيش لن يقف مكتوف الايدي اذا ساءت الاحوال اكثر ، ولكن الواقع المفجع ان الجيش لم يحقق هذه الامال وعجز عن القيام بأي دور ، وكان الجندي يستعين حتى النهاية بالقول القديم « الله معنا » ؛ ونكتفي بهذا القدر عن الجيش والشعب ؛ والعلاقة التي كانت على أحسن ما تكون بينهما.

لم يكن الجيش جزءاً من الحزب . ولكنه كان مستعداً للعمل مع النازيين في سبيل مصلحة الامة والرايخ ، اما العلاقة بينهما فكان يسودها الفتور دائماً ، ويجب ان لا يفهم من كلمة « الحزب » هنا جمع أعضائه ، وانما رسميو الحزب فقط .

لقد كان قادة الحزب المتطرفون في خلاف شديد مع الجيش ونظرته الاساسية ، وكان يبدو هذا الخلاف في تصرفاتهم العامة والخاصة ، ومما زاد في هذا الخلاف والنفور هو طغيان واستبداد « اذناب هتلر » وأساليب الدعاية التي صدمت

الجنود وهزت مشاعرهم هزاً عنيفاً ، وسرعة واتساع الطرق البيزنطية . ولذلك لم تلق نظريات « الشعب المختار » المضحكة أي اهتمام ، وعلى كل من المؤسف ان لا تدرك الاخطار الناجمة عن الغلو في بث الروح الوطنية المتطرفة في حينه .

لقد كانت المشاكل الاولى مع فرق .S. A ؛ وكثيراً ما كانت تحدث خصومات ومنازعات حول التدريب العسكري لاعضاء .S. A ، حيث اتضح منذ ربيع ١٩٣٤ بأن قادة .S. A كانوا يرغبون في تنحية الجيش ووضعه على الهامش ، واحلال منظمتهم محله وبذلك تتم لهم السيطرة على الدولة .

وقد حاول هتلر التوفيق بينهما في هذا الوقت ولكن محاولته باءت بالفشل . لأن منظمة .S. A كانت لا توافق على تنفيذ الاتفاقية التي حددت واجب المنظمة بالتثقيف السياسي . ولهذا استمرت المنظمة باقحام نفسها في شؤون التدريب العسكري ، والتنظيم ، والتسليح ، وقد أخذت تشتد هذه الازمة وتتفاقم نتيجة السلوك الاستفزازي لبعض الضباط القادة للمنظمة . وانتشرت اشاعات في النصف الثاني من حزيران ١٩٣٤ ، عن توقيع ثورة بقيادة روهم « Röhm » ولكن هتلر ، بالرغم من ذلك باغت الجيش ، بتوجيه ضربته القاضية في ٣٠ حزيران . وقد عمد الى تصفية حساب .S. A بواسطة فرق .S. S . وكانت وسائل هؤلاء وضيعة تأبى منها نفس الجندي الشريف ، وقد فكر البعض ، بعدئذ ، بأن فرق .S. S ستصبح الخطر الجديد .

لقد كان لقتل الجنرال فون شلايشر von Schleicher والجنرال فون بريدو von Bredow والرجال الآخرين الابرياء الذين ادينوا باشتراكهم بثورة روهم ، وقعاً اليماً في نفوس الضباط واستنكروه واعتبروه بمثابة اهانة للجيش، وطالب الجيش باجراء التحقيق لاظهار الحق ، ولكن هذا المطلب كان مستحيلاً ، وقد رفض بلومبرغ تأييد وجود أي اتصال خياني بين شلايشر وبريدو مع السفير الفرنسي والحق ان كل من يعرف شلايشر وبريدو ينكر هذا الاتهام ولا يصدقه ،

ولم تكن الادلة على ادانتهما موجودة او متيسرة ، وقد صرح رئيس الاتحـــاد الاشتراكي لجميع ضباط الركن في الخدمة والمتقاعدين الفيلد مارشال فون ماكنسن von Maekensen ، وسط التصفيق وهتاف الاستحسان في الاجتماع السنوي للاتحاد ، أن شلايشر وبريدو « قد سقطا في ميدان الشرف » . وليس هنـــاك شيء يمكن عمله اكثر من هذا ، منذ أن صرح الرايخشتاغ ان جميع الاجراءات التعسفية والتي لم يسبق لها مثيل يجب ان تكون شرعية .

لقد اصبحت الآن فرق S. S. العدو الأكبر للجيش ، ولا يكمن الخطر في انها ستصبح القوة الثانية تحت السلاح فحسب ، ولكنها كانت تعادي المسيحية والذي سبب هذا العداء هو ان كثيراً من قادة S. S. كانوا اولاداً غير شرعيين.

لقد رحب الجيش باتجاهات منظمات الحزب ، نحو الكنيسة ، بعد السيطرة على الحكم مباشرة، وبدت محاولات توحيد الكنائس المسيحية شريفة في البداية، غير ان صراعاً عنيفاً نشب بقيادة هملر بـــين الجانبين . وكان جميع الضباط متبرمين من اعمال هملر ، ولكن ماذا يفعلون وليس بالامكان ، عمل اي شيء . لقد كان كره الجيش واضحاً فمثلاً عندما خطب غورنغ في قادة الجيش سنة ١٩٣٨ عنفهم ووبخهم لاتجاهاتهم الدينية الكنسية . وحتى ان هملر اعتبر هذه الاتجاهات الدينية لقادة الجيش الأخير أسباباً لعزلهم وطردهم .

ان الجيش لم يكن صديقاً لليهود ، ولم يكن ضد الساميين . اما معاملة اليهود السيئة من سنة ١٩٣٣ الى عام ١٩٣٩ فقد قام بها نفر من امثال شترايشر وليس للجيش صلة بذلك .

لقد كانت هناك معسكرات اعتقال وكان من الطبيعي ان يسمع بها كل واحد، ولكن هل كان من الممكن للجيش ان يعرف عن عدد وطبيعة تلك المعسكرات او ان يعرف من هم في تلك المعسكرات او عن احوالهم ؟ لقد كان الجيش كبقية الشعب لا يعرف اكثر مما يعرف هؤلاء . وحتى نهاية الحرب لم تسمع الغالبية الا بمعسكري

داخاو واورانينبورغ اما معسكرات اوشفيتز وبلسن وبوخن فالد فلم تعرف إلا بعد الاستسلام .

والحقيقة ان كثيراً من قادة الحزب تجنبوا الخدمة العسكرية ، وبقوا وراء الجبهة في أمن وسلام ، ومن هناك كانوا يحضون الجنود على الاستمرار في القتال ، وهذا مما أثار احتقار الجنود لهم ، ومن جهة اخرى كان الجنود سعيدين في أن لا يروا بزة الحزب السمراء .

لقد كان العسكريون الحقيقيون «للرايخ الثالث» هم رسميي الحزب البارزين وليس الجنود المحترفين ، وكان هؤلاء يريدون كل شيء جاهزاً مرتباً ! لا يسمحون لاحـد ان ينتقدهم او ان يستخف بأساليبهم العسكرية المقلدة او بسيطرتهم التامة على حياة الامة ، او لاتباعهم عسكرية الـ SS و SA الغريبة، التي فاقت عسكرية الجندي المحترف . مع العلم ان اعمالهم تلك لم يكن مبعثها الحماس او الجندية الحقة ، ومما اساء الى شعور الجيش ايضاً هو اهانة العسكرية في سبيل الاغراض السياسية ، ووجوب ارتداء كل فرد الماني بزة خاصة . لقد كان الجيش يرحب بل يؤيد طريقة جعل الشعب كله « منسقاً » منظماً ، ولكنه كان اشد ما يزعجه هو استخدامه لاغراض الحزب في التظاهرات والاستعراضات. لقد كان الجيش لا يخلو من وجود بعض العناصر بينه ، العناصر التي تتصف بروح الغوغاء ، ويفضلون الشكليات على النوعيات ، وكان عـدد هؤلاء قليلاً ، ولم يتبوأوا مراكز رفيعة .

لقل ظل العالم يحمل اعتقاداً خاطئاً لمدة طويلة ، وهو ان الجندي الالماني ، وخاصة الضابط الالماني لا يتحلى بعسكريته وانما بروح جريئة ، وعنده تصبح العسكرية ، حسب هذه الدعاية ، ليست كما – في الجيوش الاخرى نـداء الواجب نحو الامة ، وانما « اعتبار الحرب تتويجا لحياة الفرد والأمة ».والحرب مهنة شريفة وضرورية للالمان .

والاعتقاد السائد هو ان الالمان لا يفكرون إلا في الاعتداء والفتح، والسيطرة على الشعوب الاخرى[1] ، ولهذا السبب صار المرء يؤيد محاكمات جرائم الحرب في نورمبرغ .

ان هذه المحكمة الدولية ، التي كان بين يديها جميع المستندات والسجلات ، قد أثبتت عدم صحة هذا الاعتقاد ، وان جميع الدعاية التي كانت تدعم هذا الاعتقاد كانت تستند على معلومات خاطئة ، ولم تنجح في نبذ النازية ولم تثمر النتائج المطلوبة . ولا يمكن ان نعزو ذلك الى الفشل العام في نبذ النازية . اما في المنطقة الاميركية التي سن فيها قانون التحرير والتخلص من الاشتراكية الوطنية والروح الحربية ، نجد ان التطهير لم يقتصر على الجنود المحترفين وانما استجوب مئات من الضباط والقادة وضباط الاركان العامة وحتى الذين كانوا يعيشون في مناطق أخرى امام المحاكم الخاصة ، ولكن لم يظهر منهم مذنباً إلا العدد القليل[2] . وكان لدى المحكمة مستندات وأضابير من الأدلة والمستمسكات التي ضبطتها ، ودعي الشعب بواسطة الراديو ان يقدم كل ما لديه من اتهام ضد المتهمين بالاسماء . والشك في ان القضاة أصدروا حكمهم في الدفاع عن المصلحة الشخصية Pro domo ليس له ما يبرره . ولكن للكلمات الشائعة أحياناً نتائج مقدرة . وبهذا الخصوص تجد لدى الجندي الألماني قصة طويلة .

الجندي في الحروب

لقد مر بنا ان الجيش لم يكن متحمساً تماماً للدكتاتورية النازية في زمن السلم، وانما كان موقفه يتميز بالشك في كثير من الأحيان وبالكراهية والنفور احياناً اخرى . وقد تبدل الموقف ودخل طوراً جديداً منذ خريف ١٩٣٩ . فقد

---

١ – كانت الاتهامات موجهة من قبل محكمة نورمبرغ .

٢ – في المانيا الغربية ، استجوب امام المحكمة ما يقرب من ١٦٧٠٠٠٠ من جميع الرتب من الجندي والجندي الأول حتى الفيلد مارشال ، وكان ٢٠ مذنباً منهم من درجة أولى و٦١ مذنباً من درجة ثانية و ٣٢٥ مذنباً من درجة ثالثة و ١٥٣٦٢ اعتبروا من درجة رابعة بتهمة الاشتراك و ٩٤٤٥٨ اعتبروا أبرياء و ٤١٢١٧ لم يصنفوا لعدم وجود تهمة ضدهم .

اندلعت الآن نار الحرب ، واستمرت ما يقرب من ست سنوات ، كان الجيش والبحرية والسلاح الجوي ، في قتال مستمر مع العدو الخارجي .

وفي الحقيقة ، كانت الدوائر العسكرية العليا في الجيش والشعب ، تأمل حتى اللحظات الأخيرة بإمكان تجنب الحرب بالرغم من كل الاستحضارات العسكرية وتأزم الوضع .

وكان الرأي العام السائد هو - كما في السنة السابقة - ان هتلر يستخدم التهديدات والبلف الى ابعد الحدود في سبيل الحصول على اهدافه ، ولن يتعدى هذه الحدود باستخدام القوات المسلحة ، لأنه كان يعلم ماذا تعني الحرب للأمة ؛ ويعرف كذلك بأن الجيش لم يكن مستعداً. وعليه فأن الفوهرر لن يقدم عليها ، ولأنه كان بحاجة ماسة للسلم ، وهكذا كان المفهوم عنه ، ولهذا عندما اندلعت الحرب ضد بولندا في (١) ايلول اصيب الكثيرون بكابوس مريع من هول ما سيحدث ، ومع ذلك كان لا يزال ثمة أمل في حصر القتال ، وجعله محدوداً ، ثم يتضاءل تدريجياً « ويتوقف » ازيزه . وكانت الغالبية العظمى لا تعتقد بحرب عالمية عامة . وكان معظم ضباط الجيش لا يعتقد حتى ربيع ١٩٤٠ بأن هتلر سيشن هجوماً في الغرب . وكان شعور القطعات على الجبهة الفرنسية مما يؤيد ذلك تماماً ، وهذا يعطينا مثلاً للبساطة المقرونة بالثقة المطلقة ، ثم حدث ان ادلى هتلر بتصريح نفى فيه احتمال القيام بالتعرض لضمان حياد هولندا وبلجيكا ولكسمبرغ . ومثل هذا حدث في ربيع ١٩٤١ ، حيث اعتقد الكثيرون بتعذر الحرب ضد روسيا، وكان الجميع يأملون بأن هتلر غير جاد وانه يستخدم البلف في سبيل الحصول على أقصى ما يمكن من المساعدات الاقتصادية من روسيا . لقد كان الشعب الالماني يتقد حماساً في عام ١٩١٤، وكان يعتقد انه يخوض الحرب في سبيل قضية عادلة . وبعد خمسة وعشرين عاماً لم يبد عليه اي علامة من علامات الحماس ، بل كان يطغى عليه اليأس والقنوط ، وانصاعت الملايين من الرجال لأوامر دعوتهم للجيش ، وكان معظمهم يجهل كل شيء عن معاهدة

كيلوك ، ولم يعلموا بأن المانيا كانت هي المعتدية . وقد صدق الناس البيان الرسمي الذي اذاع بأن القطعات البولندية قد عبرت الحدود في كلايفتز نتيجة للتجربة في سيليزيا العليافي الحرب العالمية الأولى. الأولى وقد خاض الجندي الالماني المعركة التي كان يستعر لظاها الآن بنفس الروح والقوانين التي يتحلى بهـــا بقية جنود الجيوش الاخرى . ولم تتغير عنده هذه الروح والقوانين بـل استمر عليها حتى النهاية . وقاتل وضحى لا في سبيل اغراض الحزب النازي ، وانما من اجل عقيدة لا تختلف عن عقيدة جنود الأعداء وهي وجوب خدمة الوطن .

كان الجيش يتكون من الجنود الذين ينتسبون لجميع طبقات الشعب ، فكان منهم الفقير والغني، الشاب والكهل ، الموظف والعامل ، وكان الكل يقف جنباً الى جنب، وكان الجيش كبيراً ضخماً، واستمر على النمو والاتساع خلال الحرب؛ حتى بلغ العشرة ملايين من الرجال . ولهذا السبب وحده يتعذر انتخاب المجندين الشباب وفق شروط معينة ، كما كان يجري مثلا لفرق SS ، وعليه كان الجيش يمثل المجتمع الالماني أصدق تمثيل ، ولا يخلو كل مجتمع من عناصر صالحة وعناصر سيئة رديئة، ورجال ذوو قدرة وكفاءة، وآخرون تافهون وكان لا بد للجيش من ان يحتوي على نسبة معينة من الفقراء ، وحتى المجرمين ، ولم يكن هؤلاء في الرتب الصغيرة فقط ، وهنـاك قول مأثور قديم ، وهو : « ان الصفات السيئة للأقلية قد تعم على الأكثرية ». وعليه فان تطرف هذه الفئات السيئة هو الذي كان سبباً في تحطيم سمعة الجيش كلها .

و لآن بعد ان انقشعت السحب المتلبدة عن تجارب الحرب القاسية ، أصبح بالامكان اعطاء حكم اكثر انصافاً ، وقد أخذ الرأي العـام يتحسس تدريجياً ويقتنع بأن الجيش الالماني للحرب العالمية الثانية كان يشتمل بلا ريب على نسبة عالية من قطاع الطرق والمجرمين والقتلة . ثم ان قساوة النازيين وظلمهم للشعوب الأخرى كان لها تأثير على العقلية الالمانية ثم على سلوك وأخلاق الجنود .

وعلى العموم استطاع الجنـــدي الالماني في هذه الحرب ان يحافظ على سمعته القديمة ، وأن تتجلى صفات الشعب الانسانية الطيبة . ووجدنا ايضاً حتى الاعداء يشهدون بان الجندي الالماني في خط القتال كان يقاتل ببسالة وشرف .

لقد كان الجيش الالماني حتى خريف ١٩٤٢ في حالة تعرض في جميع ميادين الحرب . ولكنه اجبر على اتخاذ الوضع الدفاعي بعد ذلك . وفي ربيع ١٩٤٣ استخدم الرادار وكان بمثابة نقطة تحول في الحرب براً وبحراً . ومبدأ الرادار مبني على ارسال امواج لاسلكية تصطدم بأجسام عاكسة ثم تستلم ثانية . ومن حساب زمن الموجة في ذهابها ثم عودتها يمكن معرفة مسافة بعد الجسم عن المرسلة ، واستخدام هذا الجهاز الجديد مما قضى قضاء تاماً على تعبية حرب الفواصات «واشتغالها بمجموعات» والتي كانت حتى ذلك الوقت تستخدم بنجاح ،وأجبرت الفواصة على المكوث تحت الماء وعدم ظهورها ، وبذلك انتهت حرب الفواصات بشكلها المألوف ، وقد اثر ذلك على عدد البواخر المغرقة تأثيراً كبيراً وقـــل عددها بسرعة ، بالاضافة لذلك تعذر علينا اخفاء الحقيقة مدة طويلة ، وهي ان خسائرنا ازدادت بدرجة كبيرة .

وفي منتصف السنة ذاتها . تفوق الحلفاء الغربيون جواً ، واجبروا السلاح الجوي الالماني في النهاية على اتخاذ الوضع الدفاعي في الجبهة . ولكن الدفـــاع الجوي عن المانيا كان لا يزال قوياً متفوقاً بالعدد . وبمقدوره احراز النجاح حتى صيف ١٩٤٤ حيث ثبت الحلفاء اقدامهم على القارة الاوربية ، وقد مني الانكليز والامريكيون حتى هذا التاريخ خسائر فادحة في الطيارين فوق الأرض الالمانية . ولم يكن بمقدورنا الحد من عمل تدمير قاصفات العدو . اما السلاح الجـــوي في الجبهة الشرقية فكان يتحشد في نقاط حيوية على طول الجبهة ، وكان لا يزال يسدي مساعدة فعالة للقوات الأرضية حتى نهاية ١٩٤٤ (ان سبب تناقص القوة الضاربة للسلاح الجوي الالماني هو الخسائر الفادحة في الطيارين و كانت نسبة القتلى

بينهم كبيرة فكان مثلا ثلاثـــة جرحى لكل قتيل في القوات الأرضية اما في السلاح الجوي فكانت النسبة خلاف ذلك ، وكانت خسائر الضباط في السلاح الجوي تساوي ١٥٪ وهي تمثل اعلى نسبة في القوات المسلحة كلها Wehrmacht[1] اما كفاءة التدريب فقد انحطت لفقدان كثير من المدربين من جراء تموين القطعات المحاصرة جواً ، ثم لنقص في الوقود المخصص للتدريب، ولهذا لم يكن للطيارين المستجدين اكثر من ٢٠٠ – ٢٥٠ ساعة طيران في الجـو ، بينما يكون نصيب الطيارين الانكليز والاميركان ضعف هذا الوقت عند التدريب .

ان فشل الهجوم على بريطانيا يعود الى غورنغ بصورة رئيسية ، حيث لم يكن هناك اي تطور على الطائرات المقاتلة ، وفي الحقيقة ان السلاح الجوي استطاع في خريف ١٩٤٤ ان يقدم قوة حقيقية من ٣٣٠٠ مقاتلة[2] بينما كانت في بداية الحرب ١٠٠٠ مقاتلة ، ولكنها لم تكن نوعيتهـا كطائرات الحلفاء فكانت المقاتلة النفاثة Me ٢٦٢ ، تعتبر اسرع مقاتلة في العالم في ذلك الوقت وكان متيسراً منها ستة أسراب في نهاية الحرب،ولذلك كانت متأخرة ولم تتيسر في الوقت المطلوب (أي قبل بداية الغزو) ، وسبب ذلك هو ان هجوم الحلفاء الجوي في ١٩٤٣ اثر كثيراً على انتاجها ولأن هتلر طلب تحويلهـا الى مقاتلة – قاصفة ، وبذلك اخر استخدامها تسعة أشهر .

بعد ان عجز السلاح الجوي عن القيام بواجبه ، وفشلت حملة الغواصات أصبح جميع وزر المعركة على كاهل القوات الارضية،وكانت تقاتل معها وحدات من السلاح الجوي « اللوفت وافه » وفرق الـ S S . وكان الجيش لا يقاتل عدواً متفوقاً بعدده على الأرض فحسب وبدون اسناد كافٍ له من قواته الجوية، وانما

١ – كلمة الفيرماخت Wehrmacht اصطلاح يعني الجيش والبحرية والقوة الجوية .

٢ – كانت نسبة الطيارات الصالحة للخدمة ٦٠٪ من القوة الحقيقية .

كان عليه ان يتحمل كل يوم وبصورة مستمرة هجمات تشكيلات قاصفات العدو . وكان الفضل في عدم تصدع الجبهات ووقوفها ذلك الموقف الثابت يعود للجيش وحده . ومن الطبيعي ان تتولى القوات الاخرى ما امكنها من جهد ، وفعلاً منيت بخسائر فادحة ، ولكن جهودها كانت عقيمة غير مثمرة وحاسمة .

واذا اراد المرء ان يبحث عن الاسباب التي دفعت الجندي الالماني لأن يستمر في القتال حتى الاندحار النهائي ، لوجدها تتلخص في شعوره بالواجب ، ذلك الشعور الفياض ، الذي الهبته الدعاية الماهرة التي خضع لها لمدة اعوام ، واستسلامه للواقع الذي كان لا مفر منه ، وأمله الضائع وراء تلك الدماء والدموع التي كان يفكر بأنها لن تذهب سدى واخيراً وليس آخراً الانتفاع من فضائله وصفاته الرجولية التي امتاز بها عبر قرون . وثبات الجيش كالبنيان المرصوص بالرغم من كل الظروف المعاكسة ، وشجاعة الجندي ورباطة جأشه في اصعب الظروف وأحلكها ، وعظم التضحية[1] واخلاصه للوطن لن يضاهيه جيش آخر بسهولة ويسر .

وكانت القيادة العليا ممثلة بشخص هتلر ولكنها كانت لا تبصر ولا تعي ذلك ، وكانت بعد كل فشل او « خذلان » يزداد سخطها على الجيش ، فكيف اذاً تسنى للجيش ان يتحمل على كاهله مهمة الدفاع الكلي عن الوطن في السنوات الأخيرة من الحرب ، وهل سيظل ذلك سراً للقوات الالمانية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بالتفصيل سيكون موضوع الفصل الثالث . ومن المناسب قبل

---

١ - كانت خسائر القوات المسلحة حسب التقديرات الرسمية ١٠،٨١٠،٠٠٠ قتيل خلال الفترة من ١ ايلول ١٩٣٩ الى ١ كانون الثاني ١٩٤٥ وكان ١٠،٦٢٢،٥٦١ من هؤلاء من الجيش و ١،٥٠٠،٠٠٠ آخرين ، وأغلب هؤلاء من الجيش لم يعثر على أثر لهم ، ومعظمهم أصبحوا أسرى حرب في روسيا .

اجراء أي محاولة بصدد ذلك ان نتكلم باختصار حول موضوع مهم وهو الدعاية خلال الحرب ، وسيساعدنا ذلك على فهم بعض القضايا التي حدثت في قيـــادة الجيش المركزية قبل الحرب والموضحة في الفصل الثاني .

سلاح الدعاية

ان حرب الدعاية هي صراع للنفوس ، وعليه يجب تقوية ارادة الامــة على القتال الى ابعد الحدود ، وترويضها على تقبل اشد انواع الحرمان والمصائب، وتحطيم معنويات العدو وكسرها .

ان وسائل الدعاية كثيرة ومتعددة ، ولعل من اكثرها اغراء هي التصور والاختراع ، ويعتبر الراديو في الوقت الحاضر من اقوى الوسائل ، لان صوتـه يصل الى كل مكان ، ولا يمكن اسكاته الا بصعوبة ، والدعاية كأي سلاح لهـا قوانينهـا ونظمها التي لا بد من اتباعها ، وهي كما في سوق الجيش يكتب لهـا النجاح باستمرار اذا كانت طرقها بسيطة بعيدة عن الالتواء والتعقيد .

وكلما كانت الدعاية ناجحة اصبحت جذابة وشعاراتها على العموم مفهومة ، لأنها توجه الى عامة الناس .

ويجب ان تكون قادرة على جعل الأغلبية عاجزة عن التمييز بين افكارهم وبين ما تأتي به الدعاية من آراء وافكار .

ان الانتصارات العسكرية في الميدان ركن من اركان دعم الدعاية في الحرب وزيادة شدة تأثيرها ، وعلى عكس ذلــك تسبب الاندحارات المستمرة اسوأ النتائج وتزعزع الثقة بها ، ولا بد ان تتميز الدعاية بالمرونة ، ولكنه يجب ان لا يفوتنا بأنه لا يمكن تغيير النقمة من يوم لآخر . لأنها قد تكون في ظروف خاصة

سماً قاتلاً اذ قد تؤدي الى تثبيط العزائم وتضعف الارادة وهكذا قد يصبح أهلها اسرى دعايتهم . وهناك كثير من الأمثلة على ذلك حدثت في كلا الجانبين الالمان والحلفاء اثناء الحرب وبعدها .

تقاس كفاءة وتأثير أي سلاح في الحرب بناء على نجاحه ، وعلى هذا الاساس تعتبر الدعاية الالمانية في الحرب العالمية الثانية ناجحة ومؤثرة اشد التأثير ضمن نطاق معسكرها ، بينما كانت محاولات العدو للتأثير على الشعب الالماني فاشلة ولم تثمر اكثر مما حصلوا عليه من تجاربهم في الحرب العالميـــة الأولى . ويعود سبب ذلك الى صعوبة النفوذ من خارج المانيـا والاتصال بشعب تحت الحكم الدكتاتوري ، ثم لأن الشعب الالماني كان خاضعاً للدعاية النازية الصارمة لسنين عديدة سبقت الحرب .

ولا غرابة بعد ذلك من قلة تأثير دعاية الحلفاء بعد ايضاح هذه العوامل ، لقد حقق الجيش ، والبحرية ، والقوة الجوية ، في السنوات الثلاث الأولى من الحرب نجاحات وانتصارات في كثير من جبهات القتال ، ولذلك لم يتبادر الى ذهن الشعب الالماني والجنود عامة شعور بأنهم أجبروا على الهزيمة والاندحار. ولم يعتقد في البداية الا النزر القليل بمـا يقوله دعـاة الجانب الآخر . ولم يلبث هذا الموقف أن تبدل عندما أصبحت المانيا كلها تحت رحمة هجمات قاصفات العدو الشديدة ، وأجبرت على اتخاذ الوضع الدفاعي اليائس . ويمكن القول بأن دعاية العدو أصبحت مؤثرة من سنة ١٩٤٣ ، وكانت تستهدف في البداية الجبهـــة الداخلية ، ولكنها ظهرت غير قادرة على اضعاف ارادة الشعب في المقاومة وفي صرفه عن بذل الجهود في سبيل كسب الحرب . واستمر العمال في عملهم حتى النهاية بدون اضطرابات او القيام بأعمال تخريبية بالرغم من استمرار اعنف الهجمات الجوية على معاملهم وبيوتهم ، وكان معظمهم يعتقد اعتقاداً جازماً بالنصر النهائي . اما تأثير دعاية العدو في القوات المسلحة فكانت تكاد لا تذكر حتى خريف ١٩٤٣ ، وكانت بصورة عامـــة تقتصر على هيئات الركن وعلى

المؤسسات في المناطق الخلفية . اما الجندي في الجبهة فلم يتأثر بهـا كثيراً الا في الايام الأخيرة . وعلى كل . لم يكن لدعاية العدو تأثير حاسم في انهاء الحرب او اطالة أمد الاندحار ، وانما كان تأثيرها لا يختلف كثيراً عن تأثير حركات المقاومة المختلفة .

لقد كان الجندي يقاتل بكل عزيمة ما دام لديه سلاح وعتـاد . ولم تفتر عزيمته الا بعد أن أصبح تموين العتاد رديئاً في أواخر عام ١٩٤٤ . وعندما كانت تستسلم قطعات المانية كبيرة ، كان السبب الوحيد لاستسلامها هو حراجة موقفهم ويأسهم منه ، ولم يكن نتيجة للدعاية مطلقاً . وقد تكون الدعاية قد ساعدت هؤلاء المستسلمين على القاء سلاحهم أو انها عجلت في القاء هؤلاء السلاح، ولكنها لم تكن السبب مطلقاً . اما خضوع كثير من الجنود واستسلامهم للدعاية وهم أسرى ، كما حدث في الشرق ، فتلك قضية أخرى .

وعلى كل ، ينبغي عدم توجيه اللوم لدعاية العدو لفشلها في الاغراء للاستسلام بمقياس واسع ، لأنها لم تكن رديئة ، ولا انهـا عديمة التأثير ، ولكن الذي كان يفوقها تأثيراً وتدميراً هو الغارات الجوية التي كانت توجهها القوات الجوية المعادية على الاراضي الالمانية .

لقد كانت دعايتنا بقيادة غوبلز Goebbels أشد وأقوى. وهذا هو التعليل الصحيح للحقيقة التي كان يؤمن بها العقلاء وليس المجانين فقط حتى النهاية وهي إمكان حدوث المعجزة « وتغير المد » باستخدام « الاسلحة الغريبة العجيبة » . وبهذه الوسائل فقط يمكن ان نوضح سبب استمرار الجندي الالمـاني في انجاز واجبه على اتم وجه حتى ربيع ١٩٤٥ في جميع الميادين والمحلات بالرغم من مواجهته للصعوبات والظروف المعاكسة مدة طويلة . ولا يتسع المجال هنا لبحث الوسائل بالتفصيل،ولكن لا بد من ذكر أحد هذه الأساليب الذي كان له تأثير كبير ، وهو تجديد خرافة ١٩١٨ أي « الطعن من الخلف » . والنتيجة هذه المرة ان

المانيا لم تستسلم في الساعة الثانية عشرة الا خمس دقائق بـل استمرت في القتال حتى الثانية عشرة وخمس دقائق . ثم جاء بيان كاسبلانكا Casablanca الذي بين بأنه لا يقبل من القوات الالمانيـة المسلحة سوى الاستسلام بدون قيد أو شرط،وقد كان صدى هذا البيان عكس ما كان مؤملا،لأن عرض العدو الاختيار بين الاستسلام غير المشروط او الاستمرار في الحرب ، مما قوى الروابط بين القوات الالمانية وحكومة هتلر ، وهكذا استطاعت الدعاية الالمانية ان تصور بكل مهارة وحذق ان هـذا الاستسلام معناه انقراض الامة ودمارها نهائياً . ولذلك وجدنا أن الحلفاء ببيانهم ذلك مما أيدوا هتلر في طلبه بالاستمرار في القتال حتى آخر جندي. وقد ادرك الحلفاء النتائج المروعة فيما بعد، ولكنهم اصبحوا في موقف حرج وليس بامكانهم التراجع عن بيانهم ، ولو ان بيانهم ادعى « بأنهم يقاتلون هتلر وحكومته » وليس الشعب الالماني لكانت النتيجة تختلف كل الاختلاف ، والفرق ظاهر بين الاثنين، وأن يتعهد بأن لا تتكرر خيبة الأمل في نقاط ولسن الأربع عشرة .

ان الظروف المعاكسة للقوات المسلحة الألمانية أخذت تشتد وتقوى ، ومع ذلك استمر سلاح الدعاية في نجاحه وتأثيره ، ولكن استخدام هـذا السلاح الحديث في الحرب مهما كان قوياً وناجحاً لا يغير النتيجة وانما يؤجلها فقط .

٢

دور الأركان العامّة

الواجبات - النفوذ - الخصومات

كانت جيوش القرن الثامن عشر صغيرة ، وكانت جبهات قتالها ضيقة غير واسعة. وكان بامكان قادتها الاشراف على جميع ميدان المعركة بأنفسهم وأعينهم. ولم يستعينوا بالمساعدين والمستشارين ، وانما قادوا جيوشهم بأنفسهم . وحتى فردريك الكبير لم يكن له رئاسة اركان. ولكن عندما جاءت الثورة الفرنسية احدثت تطوراً كبيراً في أساليب الحرب ، وهيأت جميع قوى الأمة للقتال ، وبهذه الطريقة خلق جيش الشعب . لقد كان نابليون الأول رائداً في فن الحرب؛ والمعلم الاكبر في ذلك الحين . ولم يستخدم تعبية الخطوط القديمة والمناورات المألوفة ، واتبع طريقة كيل الضربات المدمرة السريعة والمتكررة على المواصلات الخلفية ومستودعات العتاد الثابتة . وفي هذا الوقت الذي امتاز بالتطورات السريعة في فن الحرب . ظهرت للوجود هيئة الاركان البروسية ، ونشأت عنها فيما بعد هيئة الاركان العامة الالمانية ، وعليه يمكن اعتبارها مولود اوائل القرن التاسع عشر .

ومنذ عام ١٨٢١ أصبحت « الاركان العامة العليا » - اطلق عليها هذا الاسم لتمييزها عن الاركان العامة للفيالق والفرق - تحت سيطرة الملك المباشرة بوصفه القائد العام للجيش . وكان لرئيسها حق الاتصال المباشر بالملك دون الحصول على إذن سابق من وزير الحرب . وكان نفوذ الاركان العامة ضعيف جداً في البداية ، ولكنه اخذ يشتد ويقوى بعد الانتصارات في حروب ١٨٦٦ و ١٨٧٠ - ١٨٧١ ، وكانت تعزى تلك الانتصارات في البداية الى رئيس الاركان العامة ، مولتكه Moltke . وقد أصبحت الاركان العامة الالمانية في مولتكه وشليفن ، وهندنبرغ ولودندورف تتمتع بشهرة خارج حدود المانيا . وفي سنة ١٩١٦ - ١٨ ، تمتعت بنفوذ سياسي ايضاً عندما كانت بقيادة القائدين الاخيرين . وعندما اندحر الجيش الالماني في الحرب العالمية الاولى طلب المنتصرون حل هيئة الاركان العامة ، وقد تحقق ذلك في خريف عام ١٩١٩ ، اما الاركان العامة للفرق وقيادة المحافل فقد بقيت على حالها ، وسمح كذلك باشغال احدى دوائر مديريات الجيش الخمس بضباط من الاركان العامة ، وكانت تدعى هذه الدائرة « دائرة القطعات » Troop Office ؛ ولكن لم يكن يتمتع هؤلاء الضباط بنفوذ ومسؤولية ضباط الاركان العامة . اما ضباط الاركان العامة للفرق فكانوا تحت إمرة قادة الفرق ، وكان استخدام ضباط الاركان العامة يتغير باستمرار بين الجبهة ، ودائرة الاركان ، ودائرة القطعات ، والغريب انه لم يكن لهم آنذاك منصب معين وانما كانوا يستخدمون تحت اسم « ضباط اركان القيادة » وكانوا من الطبيعي ان يمثلوا النخبة الممتازة ، كما كانوا في الجيش القديم وجميع الضباط الذين اصبحوا في مراكز علية هم ممن كانوا من ضباط اركان القيادة .

كان هناك اختلاف رئيسي بين دائرة القطعات « والاركان العامة العليا » للجيش القديم ، حيث كانت الاخيرة تتمتع بسلطة مركزية مساوية لسلطة وزير الدفاع ، وهي تحت قيادة القيصر المباشرة ، ولرئيسها حق الاتصال المباشر

بالقيصر في جميع القضايا المتعلقة بالاركان العامة ، ولذلك كان نفوذه يفوق نفوذ رئيس دائرة القطعات الذي كان يرتبط برئيس مديرية الجيش ، ولم يكن اكثر من وسيلة تنفيذ له . ولهذا وجد رئيس الاركان العامة نفسه في عهد الجمهورية انه أدنى من وزير الحرب بدرجتين. اما مسؤولية رئيس دائرة الجيش فكانت لا تتعدى الاعمال العسكرية الصرفة للجيش ، اما القضايا التي تتعلق بالسياسة الخارجية او الداخلية فكانت من واجب وزير الرايخ الذي كان مسؤولا امام الريخستاغ . ومثل ذلك ، كانت واجبات دائرة القطعات ، واجبات عسكرية فقط كتوزيع القطعات ، وتنظيمها ، وتدريبها وتجهيزها . والنقل العسكري في القطار ، ثم الاستحكامات الأرضية ، والاستخبارات عن الجيوش الأخرى ، وكان رئيس دائرة القطعات مسؤولاً عن تدريب وتوزيع ضباط اركان القيادة ، وكانت دائرة القطعات مساوية ومماثلة للدوائر الأربعة الاخرى في مديرية الجيش .

وعندما اعلن هتلر ، في ١٦ مارس ، ١٩٣٥ ، « حرية المانيا في التسلح » ، تغير اسم دائرة القطعات « الاركان العامة للجيش » واصبح رئيسها « رئيس اركان الجيش » وقبل ذلك بقليل استعاد ضباط اركان السيطرة اسمهم القديم وهو ضباط الاركان العامة وهذا كل ما حدث من تغيير .

وقد بقيت الاركان العامة الادارة المنفذة لرئيس مديرية الجيش ، واطلق عليه الآن ثانية القائد العام للجيش ، وبقيت واجباته عسكرية خالصة ،ومحددة كما كانت عندما كان الجيش مكونا من ١٠٠,٠٠٠ جندي وانيطت به مسؤولية التعبئة العامة .

واستمرت الاركان العامة في عهد هتلر على انتخاب ضباط الركن من بين الذين يشتغلون مع القطعات ؛ وكان يتم اختيارهم بالنظر لسلوكهم وقدرتهم العسكرية ، وكان يتم تدريبهم في الكليات العسكرية في وقت السلم ، اما في

وقت الحرب فيلتحقون بدورات خاصة بالاركان العامة . ثم كان تعيينهم يتم في مناصب الاركان العامة للتجربة ، وكانوا لا يثبتون نهائياً إلا اذا اثبتوا كفاءتهم وجدارتهم ، وكانت الاخطاء نادرة وقلما تحدث . وكانت الطريقة القديمة هي المتبعة وهي تغيير الضباط من الجبهة الى مناصب ضباط الاركان الاخرى بصورة مستمرة ومنتظمة . وكانت هذه الطريقة تحول دون عزل الضباط الاركان عن القطعات خاصة في زمن السلم . اما في زمن الحرب فكانت تتوقف هذه الطريقة ، وسبب ذلك هو ضخامة الجيش وكثرة عدده اولا ثم قلة ضباط الاركان ثانياً ، وقد استمر نقص هؤلاء الضباط بصورة كبيرة بالرغم من الاستمرار على تقليل مدة التدريب . حيث لم يفكر احد ان يتسع الجيش الى هذه الدرجة العظيمة ، ولذلك كان النقص في ضباط الاركان بارزاً ، ولم يمكن التغلب على هذا النقص ، فمثلا ، في السنوات الأخيرة من الحرب لم يكن في الفرقة سوى ضابط ركن واحد ، وفي الفيلق لا يتيسر اكثر من ضابطين من الاركان العامـــة مطلقاً . ولذلك كانت تتراكم الاعمال والاشغال ليلا ونهاراً على كاهل هؤلاء وغالباً مـا كانت فوق طاقتهم . والمثل المأثور القديم : انجز كثيراً ، وأظهر قليلا ، كان منعكساً على أعمال ضباط الاركان العامة حتى النهاية وقد يصدق عليهم قول سكت ؛ وهو ان ضباط الاركان مجهولون لا اسم لهم ويخدمون بأمانة . وكان ضباط الاركان مساعدي قادتهم من مستوى الفرقة فما فوق . وكانوا مسؤولين عن تدريب القطعات وانفتاحها حسب مواهبهم الخاصة وتدريبهم وعن تموين هذه القطعات ، ثم عن تقدير الموقـــف وعن تقدير غرض العدو ، والسيطرة على النقليات.

كان ضباط الاركان يشغلون مناصب ضباط اركان الجيوش تحت اسم رؤساء أقسام ، وفي الفيـالق تحت اسم رؤساء الاركان العامة ، وكان هؤلاء الرؤساء مسؤولين تجاه قادتهم عن انجاز الواجبات بصورة دقيقة من قبل الجميع. ان هيئة الاركان العامة الالمانية لم تكن ، حتى في « الرايخ الثالث » ، منظمة خاصة ، او جماعة تشتغل لوحدها بسرية وخفـاء . ولم تقدم اي مقترحات

بشأن نوعية الحروب التي يجب اشعالها ، ولم يكن من واجبها التهيىء للحرب، وانما كان واجبها لا يختلف عن واجب جميع هيئات الاركان الأخرى ، وهو القيام بالاستحضارات الفنية ليصبح الجيش جاهزاً فنياً في حالة نشوب حرب ، ولم يكن لضباط الاركان العامة الرغبة ولا الفرصة لمزاولة النشاط السياسي ، وكانت منزلتها كمنزلة دائرة القطعات التي سبقتها ، وتأتي بعد وزير الحرب والقائد العام للقوات المسلحة بمرتبتين . وهذه هي منزلة رئيس اركان جيش ، هو الجنرال بيك General Beck الذي لم يقابل هتلر الا مرتين خلال اشغاله هذا المنصب لمدة خمسة سنوات . وحتى وزير الحرب الفون بلومبرغ لم يواجه بيك الا نادراً . وفي نهاية سنة ١٩٣٧ ابدى بيك تذمره لي لأنه لم يتمكن من مواجهة بلومبرغ منذ ثلاثة اشهر ، والعمل الوحيد الذي قام به بيك ويمكن ان يعتبر ذا صفة سياسية هو الزيارة التي قام بها للجنرال الفرنسي غاملان عام ١٩٣٧ بمناسبة معرض باريس الدولي .

وقد اثبتت محاكات نورمبرغ لمجرمي الحرب بأن الاركان العامة الالمانية لم يكن لها علاقة بالقرارات السياسية التي صدرت خلال المدة من ١٩٣٣ الى١٩٣٩، ولم يؤخذ رأيها قبل الخروج من عصبة هيئة الأمم ، في قضية اعادة التجنيد الاجباري ، أو في أي قضية هامة أخرى . وقد جاء في تقرير الجنرال مارشال، الذي اصبح بعدئذ رئيس اركان الجيش الاميركي ، الى ترومان في تموز ١٩٤٥ ، بأنه لم يكن هناك أي خطة مشتركة بين الاركان العامة والحزب النازي ، وانما كان هناك على العكس من ذلك اختلاف شديد في الرأي بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية، ويمكننا القول في هذا الصدد :

كان من جملة من أدين في نورمبرغ ، الاركان العامة والقيادة العليا للقوات المسلحة [1] O K W لأنهما اعتبرتا منظمتين ذات اهداف اجرامية ، ووجه

١ – يطلق هذا المختصر على Oberkommando der wermacht اي القيادة العليا للقوات المسلحة .

لهاتين المنظمتين لوماً لأنهما كانتا تخططان وتشنان حرباً عدوانية باغية ، وقد كانت النتيجة كما هو معلوم ان ظهرتا غير مذنبتين «Not Guilty» ، وقد مثل امام المحكمة بقائمة واحدة [1] كل من رؤساء اركان الجيش والسلاح الجوي ، وثلاثة ضباط من القيادة العليا للقوات المسلحة الثلاث ، وتخص هذه المحاكمة لجميع هذه المناصب لجميع الجيوش ، وجحافل الجيوش ، والاساطيل الجوية ، وما يعادلها في البحرية ، بينما لم يحاكم ضباط الاركان العامة انفسهم ، باستثناء رؤساء الاركان العامة واعضاء القيادة العليا للقوات المسلحة ، وجميع الاشخاص الذين ذكروا لم يكونوا من ضباط الاركان العامة وانما كانوا قادة للقطعات .

ولا يمكن ان يعزى سبب الاتهام الغامض للاركان العامة والقيادة العليا للقوات المسلحة من قبل سلطات المحاكمة الا الرغبة في تحطيم — القادة ومساعديهم — في ضربة واحدة .

ومما ساعد في هذا الاجراء هو ان الاركان العامة في المانيا تكون تحت امرة القائد الاعلى للجيش على خلاف ما في الأقطـــار الأخرى كفرنسا وانكلترة والولايات المتحدة الاميركية حيث تكون الاركان العامة مستقلة قائمة بذاتها .

وكان رئيس اركان الجيش الالماني المستشار لقائد الجيش الأعلى فقط ، ولا يتمتع بسلطة تنفيذية ، ولا يصدر اوامر إلا بتخويل من القائد العام ، ولهـــذا السبب يظهر ان نفوذ الاركان العامة وبصورة خاصة رؤسائها قـد أسيء فهمها وكانت بعيدة عن الحقيقة والواقع .

لقد كانت العلاقة بين هتلر والاركان العامة يسودها الصفاء حتى صيف ١٩٣٤

---

١ — كانت القائمة تشتمل على اسم الجنرال اوبرست بيك ، لانه كان رئيس اركان الجيش بعد ٤ شباط ١٩٣٨ ، واعتبر ذلك التاريخ بداية « الغدر » . واسم هلر لانه كان قائد جحفـــل الجيش في منطقة الراين الاعلى ، وفايشرل لمدة قصيرة في ١٩٤٤ - ١٩٤٥ .

وفي ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ظهرت بوادر نفور الحزب من الاركان العامة . وكان سبب هذا الموقف هو « تقاعس الجيش » وتكاسله . وادعى الحزب بأن واجب الاركان يمكن ان ينجزه المساعدون Adjutants بكل جدارة .وكان هتلر يحس بكراهية الجيش لعدد كبير من قادة الحزب وتصرفاتهم ، ولانتهازيتهم السياسية المتزايدة . واصبح هتلر في الاخير يعتبر الاركان العامة ، خاصة عندما عارضت في سرعة اعادة التسلح ، وفي مجازفة السوديت ، العدو العلني الرقم ١ ، او كما كان هو وغورنغ يصفانها «البيت الماسوني الأخير في المانيا the Last Freema- sons Lodge in Germany » . وكان يؤيـــد هتلر ويسنده في عدم ثقته بالاركان العامة كل من غورنغ وهملر، اذ كان غورنغ يعتبر الاركان العامة هيئة رجعية ، وتقف ايضاً حائلا دون بلوغ ما يطمح اليه وهو جعل السلاح الجوي في المقدمة . اما الثاني وهو هملر فكان يرى الاركان العامة مصدر المعارضة الرئيسي في قيادة الجيش بصدد زيادة عدد قطعات SS .

وفي شتاء عام ١٩٣٨ — ٣٩ ، اصدر امراً ذا اهمية كبيرة للجيش الالمـــاني وكان يتضمن هذا الأمر ، في حالة عدم موافقة رئيس الاركان لقرارات القائد اعتباراً من فيلق فما فوق له الحق في ابداء آرائه كتابة . وحفظها في الاضبارة. ثم يمضي الأمر فيقول وبالرغم من كل ذلك وعدم الموافقة التامة، عليهم ان ينفذوا اوامر قادتهم التي كانوا قد اصدروها . وبهذا الامر الغى هتلر المسؤولية المشتركة بين القائد ورئيس الركن ، وكان هذا الأمر يسري مفعوله على رئيس اركان الجيش وكان سبب ذلك واضحاً وضوح النهار .

وقد اخذ الصراع يشتد بين هتلر والاركان العامة شيئاً فشيئاً خلال الحرب، وسنبحث عن اسباب هذا الصراع في الفصل الثالث .

وكان نتيجة هذا الخصام المستحكم والقلق الشديد الذي أخذ يساور النفوس حول مركز المانيا هو اشتراك عدد من الضباط في محاولة الاغتيال في ٢٠ تموز

١٩٤٤ ، وكان المتآمرون من الضباط المحترفين ، واغلب هؤلاء من اعضاء هيئة الاركان العامة ، او ممن كان ينتسب اليها ؛ وقسم منهم كان من المتقاعدين . وكان الذي يدفع هؤلاء جميعاً هو شعور فياض وضمير حي؛ وقد عرضوا انفسهم للخطر من اجل المانيا ، وفعلاً فقد الكثيرون منهم حياته نتيجة لذلك . والذي يدعو للشك هو هل ان هؤلاء كانوا يقدرون حالة الشعب وحالة القوات المسلحة تقديراً صحيحاً ؟ وما هو موقف القوات المسلحة ؟

لقد كان كثير من الجنود يساورهم اليأس والقنوط من القيادة العسكرية العليا الهاوية ، الذين جاء بهم الحزب فوق انقاض اسم المانيا ، ومن جميع الموقف السياسي ، ولا ريب ان هؤلاء كانوا يرحبون بتغيير الوضع وسقوط الحكومة لأسباب عديدة . ولكن قيام هؤلاء انفسهم بهذا التغيير امر مستحيل . لأن المانيا لم تشهد طغياناً داخلياً مطلقاً منذ قرون كما شهدت الاقطار الأخرى ، ثم ان الجيش الالماني البروسي لم يضع نفسه تحت تصرف اي ثورة،عدا ثورة مشهورة واحدة حدثت بين صفوفه بقيادة الجنرال فون يورك؛ وهذه الثورة كانت ضد السيطرة الخارجية . اما الجنود فكانوا في كل قتال يسرعون الى الجبهة ويبذلون كل ما لديهم من طاقة ويضحون بأنفسهم . وعلينا ان نتذكر اضافة لذلك ان الاستفزازات المنظمة التي كان يقوم بها الحزب ضد القادة والاركان العامة قد بذرت روح الشك وعدم الثقة بين القطعات . ثم ان هتلر كان حتى عام ١٩٤٤ يؤيده الشعب تأييداً قوياً . ولا تعتبره الاكثرية مجرماً ، ولذلك يتضح انه من المستحيل ان تؤيد قطعات SS الثائرين فيما لو نجح الاغتيال ، وكذلك البحرية والسلاح الجوي ، وهناك اجزاء كبيرة من الجيش قد لا تؤيد الثائرين . ولذلك نرى ان جميع هذه الاسباب تجعل نتيجة المؤامرة حتى ولو كانت اكثر دقة وتهيئاً واكثر حظاً وتوفيقاً هو انشقاق القوات المسلحة على نفسها والى حرب اهلية وكل ذلك سيؤدي الى الفوضى والدمار .

ليس هناك أي دليل على تبدل الاحوال التي آلت اليها المانيا فيما لو تقوضت عام ١٩٤٤ نتيجة الثورة ، لأن سوء ظن الحلفاء وعدم الثقة فينا وفيما بينهم ذهب الى ابعد الحدود . والشيء الوحيد المضمون طبعاً : هو ان الشعب الالماني كان يمكنه تجنب الآلام والتضحيات الاخرى والدمار العظيم ، لأن معظم المدن الالمانية ومن بينها اجملها قد تقوضت وتحولت الى اطلال ورماد خلال الستة اشهر الأخيرة من الحرب . وخلال هذه الاشهر فقدت كنوز فنية لا تعوض نتيجة القصف ؛ ثم لو ان الحرب انتهت قبل ذلك ، ربما كانت تصير الى النسيان ، والنتيجة هي ان الكثيرين من الشعب يوجه اللوم الى القوات المسلحة ، وتتحول القصة الى اتهام القوات المسلحة بخيانة الوطن في أحرج ساعة وتطغى هذه الخرافة على الحقيقة .

وفي الحقيقة كثيراً ما سمعنا ، « بأن الخيانة قد لعبت دوراً كبيراً ، ولولا الخيانة لتغير كل شيء » . اما انا فاستطيع ان اؤكد في هذا الصدد بأنه لم تحدث أية خيانة من قبل أي آمر او ضابط ركن من الاركان العامة في الجبهـــة ، او تآمر مع العدو او قام بأي عمل تخريبي . ثم انني أعرف تمام المعرفـــة واعتقد جازماً بأنه لم يحجم اي فرد عن تقديم التقويات والامـــدادات الى القطعات، كالعتاد ، والاسلحة ، والوقود ، وجميع الضروريات الأخرى . وكل شيء قيل او يقال عكس ذلك فهو من قبيل الافتراء والكذب او انه نتيجة حملة الحزب نحو الجيش والتشهير به بهذا الخيال والتصور . وكانت تلك الاشاعات تستند الى ملاحظات شخصية ، وهي ان دلت على شيء فتدل على عدم المعرفـــة بالحقيقة والواقع ، وينقصها الدليل والبرهان . وكثيراً ما كنا نسمع قبيل نهاية الحرب ، عن « وجود كميات هائلة من الوقود في محلات معينة ؛ او : كانت هناك اعداد كبيرة من المقاتلات في مطارات لا تستخدم ولا ينتفع منها . او لماذا لم نهيء البانزين اللازم لدباباتنا ؟ لماذا لا نرى طائراتنا تحلق في السماء ؟.. وحقيقة الأمر

لهذه الاقوال هو ان صفائح الوقود كانت فارغة ، وان اعداد الطائرات كانت غير صالحة للعمل او انها بدون ملاحين ، او للعجز في وقودها الخاص .

انني سأبحث عن اسباب عدم امكان انتصار المانيا في فصل قادم . أما الآن سأحاول ان أبحث باختصار عن علاقـــة الجيش بالصفوف الأخرى من القوات المسلحة . كانت العلاقات مع البحرية خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى جيدة واستمرت كذلك حتى بعد سنة ١٩٣٣ حين كان «ريدر» قائدها . وقـد أصاب هذه العلاقات فتور ثم تبدل عندما أخذت مصلحة البحرية تحظى بالاعتبار الأول وعلى حساب الجيش ومعنى ذلك تقدم مصلحتها على مصلحة قيـــادة الحرب كلها .

اما العلاقات مع السلاح الجوي فلم تكن ودية ، بالرغم من أن ضباط ذوي الرتب العالية في هذا الصنف الجديد من القوات المسلحة هم من الجيش ، ولم يكن بالأمكان ادامة الصلات المتينة وغرس الثقة التامة بين أقدم صنف وصنف حديث جديد . ولعل السبب في ذلك هو المنافسة بين ضباط الصنفين . وربما يكون الدافع أعمق من ذلك . وهو شخصية القائد العام للسلاح الجوي ، غورنغ نفسه . رجل الحزب الأول ، الذي كان يرى في ضباط الجيش المحافظين عقبة تحول دون بلوغ اغراض الحكومة . وكان يعتقد ان أساس معارضة الجيش لهذه الأغراض هو هيئة الاركان العامة . وقد اعلن علناً في نورمبرغ عداءه للاركان العامة ، وذهب الى ابعد من ذلك حين اتهمها بالمسالمة والجمود . وكانت ثمة نقاط اختلاف مادية بين قيادة الجيش والسلاح الجوي علاوة على الاعتبارات الحزبية السابقة .

فالجيش كان يعتقد أن كل حرب قد تخوضها المانيا تتقرر نتيجتها على المعركة الأرضية ، وعليه ينبغي ان تكون حاجيات الجيش لها الاسبقية الأولى ، وأن تبنى خطة السلاح الجوي وفق خطط الجيش . وكان الجيش يدعي عند مناقشة هـــذه القضية ، ان واجب السلاح الجوي الرئيسي هو اسناد حركات الجيش

المباشرة. وللسلاح الجوي الالماني واجبان التعبوي والسوقي، واذا اصبحت قوته لا تكفي لهذين الواجبين معاً، فيجب ان يكون واجب اسناد الجيش له الأسبقية الأولى.

(ومن المفيد ان اذكر في هذه المناسبة ان الكاتب العسكري الانكليزي اللواء فولر قد أنحى باللائمة على القيـادة الانكليزية - الاميركية لاهمالها الاسناد الأرضي وتقديم الاسناد السوقي في الحرب، وهكذا كانوا يطيلون في أمد الحرب. وأكثر من ذلك لا يكتفي فولر بهذا بل يهاجم خطة القصف السوقي الذي كان مسؤولاً عن تدمير المدن الالمانية في نهاية الحرب ويضيف ان القصف السوقي لا يسرع في النصر وانما يؤخره. ولهذا السبب يجب ان يركز السلاح الجوي جهده على الاسناد التعبوي للقطعات الأرضية قبل كل شيء) بينما كان غورنغ يحاول جهده في فرض آرائه المعاكسة لذلك. وقـد أدى ذلك الى عدم تجهيز الجيش بمدفعية ضد الطائرات وبوحدات الاستطلاع الجوي بصورة جيدة، وان يكون الاسناد التعبوي محدوداً جداً على حساب الحرب الجوية السوقية. ولم يكتف غورنغ بذلك بل ألحق القوات المظلية التي انشأها الجيش بالسلاح الجوي، وقد بلغ الصراع بين الجيش والقوة الجوية ذروته في عام ١٩٤٢ حين حاول غورنغ اقناع هتلر بالموافقة على تأليف فرق ميدان السلاح الجوي، والتي سنبحثها في محل آخر. ولم تتحسن العلاقة بين الجانبين الا بعد ان مني السلاح الجوي باندحار في الميدان، وأصبح غورنـغ موضع نقد وتأنيب من قبل هتلر.

ولا بد لي من الاشارة هنا بأن ضباط كلا الجانبين كانوا يحاولون دائماً الاشتغال والتعاون فيما بينهم، وبهذه الوسيلة كان بالامكان تخفيف حـدة الصعوبات على الأقل اذا لم يكن بالامكان تجنبها.

اما العلاقات مع وزير حرب الرايخ فكانت متأزمة ايضاً. وكان الجيش كما قلنا سابقاً، لا يتمتع بالاتصال المباشر للتأثير على حكام الرايـخ. وانمـا كان

عليه أن يعتمد على وزير الحرب لعرض وجهات نظره فيما كان ينبغي في سبيل الصالح العام ، وكان بلومبرغ يرفض آراء الجيش في كثير من القضايا . وربما كان لا ينجح في اقناع هتلر للموافقة على القسم الآخر من هذه القضايا .

وكانت دوائر الجيش تشك في اخلاص بلومبرغ نحو الجيش ومصالحه ، وكان لا يمثلها او يدافع عنها باخلاص . وكان زواجه الشاذ[1] وصمة عار للجيش بل للقوات المسلحه عامة . وقد وجد هتلر الفرصة سانحة – عندما اقترح بلومبرغ نفسه ! بتسليم السلطة من وزير الحرب الى هتلر وجعلها كلها في يده ، وهكذا اصبح مهيمناً مباشراً على الجيش والبحرية والسلاح الجوي . اما كايتل فقد اصبح حسب اقتراح بلومبرغ ايضاً رئيس اركان هتلر بدلاً من القائد العام للقوات المسلحة .

وتعيين كايتل بهذا المنصب خير مثال على العواقب الوخيمة التي قد تنتج من تعيين فرد في مركز هام لا يصلح له مطلقاً . لقد أظهر كايتل شجاعة في الحرب العالمية الاولى ، واخيراً مات بشجاعة ، ولكنه كانت تعوزه الشجاعة الأدبية .

ان خضوع قيادة الجيش للحزب واستسلامها لمطاليبه كان مثار تهكم الشعب وسخريته ، لأن ذلك كان يعني « لا معارضة في القمة » واستلام مثل هذا الرجل لذلك المنصب مدة سبعة اعوام نكبة وفاجعة .

الشخصيات الرئيسية

ان الشخص الذي كان له اكبر الاثر في بناء الجيش الالماني بعد الحرب العالمية

---

١ – تزوج بلومبرغ كاتبة الطابعة التي في دائرته ، وبعد الزواج الذي حضره هتلر ، قدم هملر اضبارة من الشرطة تثبت بأن العروس عاهرة .

الاولى هو الجنرال فون سكت . وقد بقي على رأس الجيش الذي اسسه اكثر من ست سنوات ، وقد حاول جهده في انتقاء نخبة ممتازة من الجيش المحترف الذي نصت عليه معاهدة فرساي .

وفكر في عدم قبول دورات مستجدة في كل عام وانما كان يبغي تدريب الجنود الذين هم في الخدمة والوصول بهم الى اعلى المستويات الممكنة ، ولم يخطر على بال سكت بأن الروح العسكرية التي كان يهدف اليها ويشجعها ، وروح الضبط ، وانجاز الواجب والاخلاص للوطن والانقياد للدولة سيصيبها الاهمال والتغيير .

ويتفق الجميع ، ان الجنرال فون فرتش Fritsch هو الشخصية الثانية التي تأتي بعد سكت ، وكان خير جندي الماني جاء في فترة الحرب . وكان خلفاً لهامرشتاين في بداية عام ١٩٣٤ وتسلم منصب مدير دائرة الجيش واصبح في عام ١٩٣٥ اول قائد عام للجيش .

وكان فرتش شوكة في جسم الحزب وهتلر ، لأن الجيش والشعب معاً كانا يكنان له أعظم التقدير والاحترام ، وكان الناس يعلقون عليه الآمال ، وكثيراً ما كان يردد حتى الذين لا يعرفونه،بأن فرتش هو الذي سيصلح الأمور، ولذلك تخلص منه هتلر وبصورة مزرية شائنة جداً عام ١٩٣٨[١] .

وكان فرتش يتحلى بالحشمة والوقار ، ويمقت حب الظهور وتعاف نفسه جميع انواع الدعاية ، وكثيراً ما كانت حشمته وادبه تدفعانه الى التواري عن الانظار حتى ولو تعرضت مصلحته للخطر . ثم بعد كل ذلك عومل تلك المعاملة الدنيئة

---

١ - جاء هملر بعد طرح بلومبرغ باضبارة ثانية تثبت ان فرتش كان تحت رقابة الشرطة لاعمال تتعلق باللواط . ولهذا عزله هتلر من منصبه ، والحقيقة ان الاضبارة كانت تخص رجلاً آخر يدعى بنفس الاسم فرتش .

القاسية ، التي أقضت مضجعه ، ومزقت فؤاده ، فتقبل الموت برغبة وسرور قبل وارشو .

بعد طرد بلومبرغ ، كان كايتل الجندي الوحيد الذي له اتصال وثيق مع هتلر ، ولكنه لم يعمل اي شيء لاحباط او لكشف النقاب عن الاعيب هملر ، وقد فشل لأول مرة في قضية فرتش ، ولا يغفر له ذلك الفشل . اما براوشش وريدر فكانا عضوين في المحكمة التي حاكمت فرتش ، ولكنهما لم يستخدما حقهما في كشف اساس التهم الكاذبة ، وانما فسحا المجال لغورنغ ان يلعب الدور الكلي في القضية . ويلام براوشش ايضاً لأنه لم يصدر منه شيء لاعادة اعتبار سلفه فرتش بعد ان ثبت ان التهم الموجهة اليه كانت كاذبة وملفقة تلفيقاً تاماً وثبت بأن فرتش كان بريئاً منها .

اما « بيك » وهو صديق فرتش ، فقد كان مكتوف الأيدي وابعد عن هذه القضية لأن هتلر كان يعرفه رجلاً عادلاً لا يحابي ، اما الضباط ذوو الرتب العالية الآخرون فكانوا لا يعلمون شيئاً عن هذه القضية ، وقد حضروا يوم ٤ شباط لسماع القرار ، ومن الطبيعي ان يصدق هؤلاء في البداية البيان الرسمي ، في فضيحة شائنة لا يمكن تصديق حدوثها في الدوائر العليا من الجيش ، وهكذا نجح هتلر في طعن الضباط الالمان في اعز ما لديهم وهو الشرف . وجاءت ازمة السوديت وغزو النمسا ، وطغت اخبارها على نهاية هذا الرجل ، ولكن هتلر لم يتوقف عند هذا الحد وانما تمادى في اعماله حتى بلغ اخطر المراحل كلها .

لقد كان رئيس اركان الجيش ، لودفيك بيك ، كزميله فرتش ، يعتبر في الدوائر العسكرية الرجل الكامل ، خلال العشرين سنة . وكان هذان الرجلان يتمتعان بقدرة وموهبة فذتين ، وكانا ينحدران من عائلة متعلمة مثقفة ، وبيك ، الذي كان كثير الشبه بمولتكه في المظهر ، يمتاز بعقل راجح وقاد ، وكان خير رئيس اركان شهده الجيش الالماني منذ الحرب العالمية الأولى ، كان قديراً على حل

جميع المشاكل ، وكان محافظاً ، وكانت هذه الصفة تظهر في الميدان العسكري ايضاً ، فمثلاً كان يشك في امكان استخدام التشكيلات الكبيرة من الدبابات اما في اعماله وشجاعته فكان نموذجاً لضابط الاركان العامة في جميع ادواره وكان شديد التأثر بتقاليد مولتكه وشليفن ، وكان يكافح ويجاهد في سبيل المحافظة على هذه التقاليد واتباعها من قبل الجيل الذي اودع اليه ، واذا كان الرجال الآخرون الذين يسيطرون على الجيش، « جنوداً فقط »، وهذا من الحزن حقاً ، فان بيك قد قبل على الأقل تحمل المسؤوليات الكبيرة التي يفرضها عليه منصبه. وسنبحث سلوكه في انجاز واجباته عندما نأتي الى بحث ازمة السوديت. ولا بد لي من الاشارة هنا ، بأنه لعب الدور الرئيسي عند معارضته قيـادة الجيش لحل ازمة السوديت بقوة السلاح . وبيك كان يختلف عن اسلافه في جيش القيصر وأقل شأناً منهم ، لأن بيك كان يحاول جهده اتباع طريق العقل والسلام . بالاضافة الى البون الشاسع بين ان تخدم في ظل حكم ملكي دستوري مسؤول ، ودكتاتورية جائرة لا تضبطها حدود شرعية . وكان بيك لا يتصل اتصـالاً مباشراً بهتلر ، وكان في الحقيقة رئيس دائرة من الدوائر الخمسة في القيادة العليا ، وكان بينه وبين الفوهرر مرحلتين تتوسطان بينهما ، وهما القائد العام للجيش وبلومبرغ ، أو بعده كايتل . بالاضافة لذلك ، كان بينه وبين الحزب عداء قديم ، مذ كان آمراً للكتيبة الخامسة في اولم سنة ١٩٣٠ ، حينما حاول النازيون التدخل في الجيش كما مر ذكره. ثم محاولة حماية ضباطه المرؤوسين ورعايتهم رعاية ابوية امـام المحكمة في ليبزغ ، ولكن الحزب لم يغفر له هـذا العمل الذي لم يخرج عن نطاق اداء الواجب .

واشتد قلق بيك حين رأى تخاذل وزير حرب الرايخ في تأييد الجيش والحفاظ على مصالحه بالنسبة للصنوف الأخرى ، وخاصة سلاح غورنغ الجوي ، وكان هذا سبب محاولته توحيد القيادة في القوات المسلحة سنة ١٩٣٧ ، لانه كان يعتقد ان قيادة الجيش يجب ان تكون قوية ثابتة . وكان يرى ، انه في حالة

حرب ، يكون العبء الرئيسي على كاهل الجيش ، وهذا ناتج عن موقع المانيا الجغرافي ، وعليه تتطلب حاجيات الجيش الاعتبار الأول اذا لم تكن الأسبقية الأولى . ولكن هذا المطلب كان يتعذر تحقيقه من قبل القيادة العليا في ذلك الوقت ، وخشي انه في حالة حرب سيخطط السلاح الجوي والبحرية خططاً خاصة بهما، بدلاً من ان يتعاونا مع الجيش في سبيل الغرض المشترك ، لهذا اضطر الجيش ان يطلب وضع قيادة الجيش وجميع القوات المسلحة بيد شخص واحد ، وكان نتيجة ذلك ان حدث صراع عنيف انتهى في ٤ شباط ١٩٣٨ بتنحية الشخصيات الرئيسية من القيادة العليا .

لقد خدم بيك في الحرب العالمية الأولى كضابط ركن في الاركان العامة بأمرة لودندورف وقد اعترف بكفاءة رئيسه الفذة في التنظيم وقابلياته العظيمة، وكان صريحاً جريئاً في ابداء رأيه ، فمثلاً كان يعارض بحث لودندورف عن الحرب الاجماعية « Total War » . مع ان فكرة الحرب الاجماعية ليست جديدة – ككل شيء آخر في التاريخ – فقد عرف القدماء نوعاً من الحرب استخدموا فيها جميع قوات الشعب ، وفي العصور الوسطى في حروب المدينة حتى النساء كن يشتركن ويؤدين واجبهن في جبهة القتال ، ويمكن ان نجد أمثلة كثيرة لذلك في العصور الحديثة. لقد دافع لودندورف بعد الحرب العالمية الأولى عن آرائه مشيراً الى التطور الذي حدث في ضخامة الجيش ، والى زيادة القوة المدمرة للاسلحة الجديدة والى حصار التجويع عام ١٩١٤ – ١٩١٩ والامكانيات الواسعة للدعاية الحديثة .

وقد صرح بيك في خطاب القاه عام ١٩٣٧ ان صفات الحرب ستتغير للاسباب التي بينها لودندورف وانا اتفق معه في ان حرب المستقبل اذا اريد لها النصر يتطلب ذلك زج جميع قوى الامة فيها فيكون القسم الاكبر منها في القوات المسلحة . وقسم في انتاج الاعتدة ، وفي ادامة الصناعات الاخرى، وفي

مقاومة هجمات العـــدو الجوية . وعليه لما كانت المانيا بمثابة قلب اوربا يكون من الضروري ان تبذل كل ما لديها من رجال ومواد في سبيل استمرارها خلال المعركة ، وستكون حرب المستقبل من هذه الناحية « حربا اجماعيـة » بكل تأكيد . ولكنه اكد ان هـذا لا يعني افساد ادارة الحرب واناطتها الى الطيارة ذات « القتال الحر » . ثم يجب الغاء حرب العصابات ، وان تعطى الاسلحـة للجنود فقط . وإلا ستؤدي حرب العصابات الى فساد الحرب وانحطاطها. ويجب ان لا تلتزم القوات المسلحة بشروط الاتفاقيات الدولية فحسب وانمـا على الحكومات نفسها ان تتبعها ولا تحيد عنها مطلقاً . وان لا تتدخل الاعتبارات العقائدية في ادارة المعركة . ولقد اثبتت لنـا الحروب الدينية ، وكذلك حرب الاستقلال في امريكا مدى الخطورة الناجمة من عدم اتبـاع قواعد الحرب المعروفة[١] والخروج عنها .

لقد اعفي بيك من منصبه بصورة غير رسمية في أوائل آب ١٩٣٨ ، وقـد رفض هتلر رفضاً باتاً تعيينه في اي منصب من مناصب قيادة القطعات[٢] وفي تشرين اول ١٩٣٨ اخرج من الجيش، مع العلم ان هتلر كان قد لمح قبل ذلك بقليل. عندما كان يخطب بمناسبة يوم الحزب في نورمبرغ وينـدد بالمسالمين السوقيين اصحاب الكراسي المريحة. والكل يعرف نهاية بيك حيث مات لاتهامه بالاشتراك بمؤامرة ٢٠ تموز ١٩٤٤ .

---

١ ـ لقد اظهرت نتائج حرب العصابات في الحرب العالمية الثانية كم كان بيك مصيباً في رأيه، فقد كانت جميع القطعات قلقة مضطربة جداً من الهجمات الآتية من وراء الخطوط وهي هجمات غير متوقعة وكثيراً ما كانت ترى الاشباح الكاذبة. وصاروا يشكون في امر جميع المدنيين الابرياء وكانت في دفاعها تتخذ اجراءات معاكسة لا تعرف الرحمة ولا يمكن تبريرها .

٢ ـ كان يراد تعيينه قائداً اعلى لجحفل الجيش الثالث (درسدن) .

لقد جاء بعده هالدر Halder ، وهو من الجيش البافاري وكانت له شهرة لأنه يمثل ضابط الاركان العامة المحنك وقد اختير بدلاً من مانشتاين . لصلته وقرابته من براوشش القائد العام . ثم ان هتلر كان يفكر بـــأن هالدر اكثر مرونة من مانشتاين ولكنه اخطأ ولم يصب .

لقد اعدت الاستحضارات الآن من قبل الجيش ارضاء للفوهرر خاصة اذا حاول اعلان الحرب على جيكوسلوفاكيا . ولكن الخلاف انتهى بالطرق السلمية بجهود نفيل شامبرلن في اتفاقية مونيخ . وحتى قبـــل مونيخ كان من رأي الفيلد مارشال فون فيتزليتبن von Witzleben قائد منطقة برلين ، والذي اعدم بعد المؤامرة الفاشلة في ٢٠ تموز ١٩٤٤ ، وبعض الضباط الآخرين ، بأن الضباط الأحداث كانوا غير راغبين في الاشتراك بأي عمل ضد هتلر لأنهم كانوا يعتبرون بأن سلطة هتلر اصبحت عظيمة جداً نتيجة انتصاراته ونجاحاته وانه محظوظ لا يخيب ، وعليه فان كل محاولة من قبل الجيش للوقوف ضده سيكون مصيرها الفشل منذ البداية .

لقد ساءت العلاقات جداً بين هتلر وهالدر نتيجة اختلاف وجهـات النظر بينهما في ادارة الحرب،وابتدأت هذه الخلافات في شن الهجوم في الغرب وخاصة في انتهاك حياد هولندا ، وبلجيكا ، ولكسمبرغ ، وبلغ الخلاف ذروته خـلال الحملة في الشرق وانتهى باخراج هالدر في ٢٤ ايلول١٩٤٢،وقد زج فيمعسكرات الاعتقال بعد مؤامرة ٢٠ تمـوز ١٩٤٤ ، ولكنه هرب ونجا من المحاكمة باعجوبة .

لقد أصبح فون مانشتاين ، فيلد مارشال وهو الوحيد من بين جميع ضباط الاركان العامة الذي اصبح فيما بعد بهذه الرتبة لأنه كان يتمتع بأعظم موهبة سوقية وبقدرة عسكرية نادرة ، وكان يمتاز ببعد النظر ، وباراء جديـــدة وصائبة ، وبعبقرية في التنظيم ، وكان صعب المراس كمرؤوس ، ولكنه كان

كريماً رحيماً كرئيس ، وكان جريئاً في دفاعه عن مصلحة الجيش ، وعندما ادرك بسرعة عدم لياقة قيادة وزير حرب الرايخ وعواقبها الخطرة ، عارض وكافح هذه القيادة بكل صلابة عندما كان مدير قسم الحركات ومدير الميرة ، وكان صريحاً قوياً ، لا يخشى احداً في ابداء رأيه ، وكانت آراؤه مكشوفة يعرفها جميع من في « القمة » . ولذلك ليس من الغريب ان يكون مانشتاين من بين الذين اخرجوا من الاركان العامة في ٤ شباط ١٩٣٨ . وقد عين قائد فرقة . ثم اعيد ثانية الى الاركان العامة ولكن بصعوبة في بداية الحرب واصبح رئيس اركان جحفل جيش روندشتيت Rundstedt . وقد اقترح تحويل مركز الثقل من الجناح الايمن الى الاوسط في الغرب في شتاء ١٩٣٩ - ١٩٤٠ وقد عمل باقتراحه ، وأخذت الدعاية طبعاً تنسب هذا التغيير الذي حقق النجاح والانتصار الى هتلر. وقبل بداية التعرض الغربي عين مانشتين في الجبهة مرة اخرى نتيجة لعدائه مع القائد العام للجيش ، لقد كان غير محبوب من قبل هتلر ، وكايتل ، وبراوشش ، ولكن مع ذلك اسند اليه قيادة الجيش في القرم في نهاية ١٩٤١ واستطاع ان يحتل سباستبول .

وكان في مارس ١٩٤٣ ، يقود جحفل جيش في اوكرانيا ، وقد شرع بالتعرض ، وكانت هجماته موفقة ناجحة ضد عدو يتفوق عليه بالعدد واسترجع خاركوف . وبعد عام من ذلك اصبح فريسة لهتلر نتيجة خلافاته المستمرة معه في القضايا السوقية ، وهكذا انتهى به الامر ولم يستخدم ثانية . مع العلم كان هناك الأمل براود النفوس بأن يصبح القائد العام للجيش ، او القائد العام في الجبهة الشرقية على الاقل ، ولكن هذا الامل لم يتحقق .

وفي الحقيقة اراد دونيتز بعد موت هتلر ، ان يجعله القائد العام للجيش ، ولكن معارضة هملر الشديدة وريبنتروب حالت دون ذلك ، لانهما كانا يرتابان به ويعتقدان بأنه سيلقي القبض عليهما ويحاكمهما امام المحكمة . لقد كان

مانشتاين اعظم قائد انجبه الجيش الالماني لقيادة القطعات الكبيرة في الحرب العالمية الثانية ، وقد اظهرت محاكمته عام ١٩٤٩ للعالم صورة واضحة المعالم لموقف القائد في الجيش الالماني في ظل دكتاتورية هتلر .

وكان من بين قادة القطعات ذوي الرتب الكبيرة روندشتيت الذي كان مشهوراً بأنه من المع القادة الموهوبين . كان لا يخطىء في تقديره للمواقف العامة مطلقاً ، وكان كريماً في خلقه ، وكان يمتاز في عدم تدخله في التفاصيل . كان صورة عن القائد العام للمدرسة القديمة . كان كبير السن نسبياً - يتجاوز عمره الرابعة والستين سنة ١٩٣٩ - وكانت صحته المعتلة سبباً في اضعاف حيويته التي كانت أشد ما تكون في شبابه . وكان رجلاً جليلاً يعترف بذلك حتى هتلر نفسه . وكانت شخصيته العظيمة وتواضعه الجم من عوامل احترام الجيش له .

اما صديق الحزب الوحيد من بين القادة والذي أصبح في الاخير فيلد مارشال فهو فون رايخه ناو Reichenau . وصداقته للحزب قد سببت له المتاعب والصعوبات بالرغم من كونه رئيس اركان بلومبرغ ، وقد اعتبره هتلر الخلف اللائق لفرتش نظراً لما كان يتمتع به من احترام الحزب وتقديره له ، ولكن روندشتيت وبيك عارضا في تحقيق هذا الغرض .

اعادة التسليح

كان الجيش الالماني بين سنة ١٩٢٠ و ١٩٣٣ ، يتألف من ٩٦,٠٠٠ جندي و ٤٠٠٠ ضابط حسب بنود معاهدة فرسايل ، وأصبحت مدة الخدمة ٢٥ سنة بعد ان كانت في السابق ١٢ سنة . وكان الجيش يتكون من سبع فرق مشاة وثلاث فرق خيالة . وقد تحددت اسلحتهم بموجب المعاهدة ايضاً . فلم تحتو على مدفعية ثقيلة ولا دبابات ، ولم تكن ثمة صناعة للاسلحة السرية ، ودمرت جميع

الاستحكامات في الغرب ولم يبق منها سوى ثلاث قلاع في بروسيا الشرقية ، وكانت اسلحتها قديمة .

لقد اصبحت بنود معاهدة فرساي حبراً على ورق او يراوغ في تنفيذها وخاصة فيما يلي : كان عدد من الضباط يتدرب في روسيا في مدارس الدبابات والطيران ، تسلحت الخيالة بالرشاشات الخفيفة خلافاً للمعاهدة . وأخذ قسم من النقلية يتدرب على سلاح المدفعية ، وازدادت قوة الجيش بنسبة ٥٪ خلال الاضطراب السياسي بين عام ١٩٢٣ – ١٩٢٤ ، وهذا يعني حصلت زيادة ٥٠٠٠ جندي . وكانت هناك بعض الوحدات من المتطوعين التي سلحت موقتاً وسميت باسم شؤم هو « الجيش الأسود » ، وقد حلها فون سكت بعد المؤامرة الفاشلة في كويسترن Kuestrin وقد اتخذت الترتيبات اللازمة لتعبئة حرس من المتطوعين من السكان المحليين على الحدود البولندية تهيئاً للحرب ، وكانت اسلحة ومعدات هذه القوة قليلة العدد ومعظمها من بقايا الحرب العالمية الأولى التي غنمت او من مخلفاتها التي حصل عليها بعد الاستسلام . وكانت هذه الاسلحة قديمة جداً بحيث عندما شرع باعادة التسليح تعذر استعمالها . والحقيقة ان حرس الحدود هذا كان عبارة عن متطوعين غير مدربين ، وكانت قيمته معنوية واكثر من الحقيقة والواقع . لأن أفراده كانوا يدافعون عن دورهم وبيوتهم وعن الوطن . ولم تتخذ جميع هذه الاجراءات من قبل الجيش وانما تم الاتفاق عليها بين مجلس الرايخ والحكومة البروسية . أما الرايخشتاغ فكان يقدم المال اللازم .

لقد تم تعبئة الجيش المؤلف من ١٠٠,٠٠٠ رجل لأول مرة في سنة ١٩٣٠ ، ولما كان هذا الجيش لا يقدر ان يقف تجاه قتال مسلح فيما اذا اعترضت عصبة الامم ، فقد ضوعفت فرق المشاة الى ثلاثة اضعافها وبذلك أصبح الجيش يتألف من ٢١ فرقة مشاة وثلاث فرق خيالة ، وقد تأمن اشخاص هذه القوة من الجنود الذين تسرحوا بعد خدمة ١٢ سنة ، ومن الاشخاص الذين شملهم «تسريح خاص»

وقد بلغ عدد هؤلاء ١٥٠,٠٠٠ عام ١٩٣٣ بالاضافة لذلك كان هناك عدد عظيم من الذين ساهموا في الحرب العالمية الاولى ، وكانت قيمة هؤلاء قليلة ومعلوماتهم العسكرية ضعيفة ، ولم يتدربوا على أي نوع من التدريب منذ الحرب. واقتصر التسلح على القطعات المقاتلة لقلة الاسلحة ؛ وانقص عدد المدافع في البطريات ، ولم يتيسر قوة جوية لهم في حالة الحرب .

لقد بقيت قوة الجيش وتسليحه في جمهورية فايمار كما نصت عليه معاهدة فرسايل ، وقد تبدل هذا الموقف لأول مرة في حكم هتلر . وقبل البحث في اعادة التسليح بصورة مفصلة ، من الضروري ان نتذكر بان نزع السلاح الذي نصت عليه معاهدة فرسايل والذي طبق على المانيا كان يهدف حسب بنود معاهدة السلام الى تطبيقه على جيوش اوروبا بصورة عامة . ولكن نزع السلاح العام هذا لم يطبق. فكان لدى جيراننا المباشرين فرنسا ٦٠٠,٠٠٠ رجل تحت السلاح وقت السلم ، وقوة حربية من ١,٥٠٠,٠٠٠ . اما جيكوسلوفاكيا وبولندا فكانت تقدر قوة كل منها ٦٠٠,٠٠٠ في زمن السلم ، ويرتفع هذا العدد الى ١,٠٠٠,٠٠٠ جندي في حالة الحرب . ومن اليسير بعد ذلك ان ندرك البواعث التي جعلت المانيا تطالب بتنفيذ نزع السلاح بصورة عامة او السماح للقوة العسكرية الالمانية لبلوغ درجة المساواة مع بقية الدول ، وفي تشرين ١٩٣٣ اعلن هتلر بأن المانيا ستخرج من عصبة الأمم ، لعدم نجاح نزع السلاح العام ، وقد قام بهذا الاجراء دون استشارة قيادة الجيش ، التي ربما نصحته في عدم الاقدام على مثل هذه الخطوة .

لقد بدأت عملية اعادة تسليح الجيش ، وتشكيل السلاح الجوي Luftwaffe في عام ١٩٣٤ ، وقد اتخذت هذه الاجراءات سراً في البداية . اي بدون اعلان رسمي . ومن الطبيعي ان يتعذر اخفاء مثل هذا العمل على الاقطار الاخرى ، خاصة وان الحديث قد كثر عن اعادة التسلح الالماني « السري » . وفي الحقيقة ان هذه الصفة اي صفة السرية ، لا تنطبق على الواقع ، لأنه اصبح

في الوقت الحاضر بفضل وسائل النقل الحديثة وتطور وسائط المواصلات ، لا يمكن اخفاء مثل هذه الاجراءات الواسعة التي تتناول حياة الامة بأكملها ولا يمكن بقاؤها « سرية » .

لقد شرع الجيش في البداية بتشكيل ٢٤ فرقة هيكلية ثم ادخل الآليات في قسم من الخيالة ، وكانت مديرية الجيش تعتبر ان اقصى ما يمكن من توسيع الجيش هو جعله ثلاثة أضعاف قوته نظراً لما يتيسر من اشخاص ولعدم الهبوط بمستواه بدرجة كبيرة ، اما هتلر فلم يرق له ذلك وذهب الى ابعد الحدود وفي ١٦ مارس ١٩٣٥ اتخذ قراراً نهائياً حين اعلن نظام التجنيد الالزامي العام وصرح بأن قوة الجيش ستصبح في المستقبل ستا وثلاثين فرقة . وجعل السلاح الجوي لأول مرة كصنف جديد ثالث من صنوف القوات المسلحة . وكانت السرعة طابع هذه الفترة لبناء الجيش ، وكان لا بد من حدوث عدم تنسيق مع مديرية الجيش التي كانت تخشى تحطم معامل الجيش وتوقفها نتيجة هذه السرعة الفائقة ، ولشدة الضغط المنصب على كل شيء . ولم يمكن مسايرة هذه السرعة في بناء الثكنات ولا في تدريب الضباط وضباط الصف الجدد وكان هذا اهم شيء . اما قيادة الجيش العليا فقد اوضحت رأيها وهو ان سد شواغر الفرق الهيكلية الموجودة وعددها ٢٤ فرقة اكثر صواباً من تشكيل فرق اخرى جديدة والاضطرار الى تمزيق الوحدات الموجودة واضعافها مرة اخرى .

لم يلتفت هتلر الى هذا الرأي ولم يأخذ به لأنه كان يريد الكمية قبل النوعية ، ثم رفض مقترحات القيادة العليا حول كيفية معاملة الجيش النمساوي بعد انضمامه اليهم . وكانت تلك المقترحات ترى انه من المناسب والتسامح ان يمنح الجيش النمساوي شيئاً من الاستقلال ، كما كان للجيش البافاري حتى سنة ١٩١٨ ، وفي سبيل ذلك يجب الاحتفاظ بكيانهم والحفاظ على بزاتهم العسكرية ، وتأسيس فرع من الاركان

العامة في فينا ، الخ ، ولكن بدلاً من كل ذلك عومل الجيش النمساوي كبقية الجيش الالماني تماماً . وأمر بحله وتشكيل جحفلي جيش يتكونان من خمس فرق واخيراً من ست. وقد وضعوه في مناطق متباينة جداً لاستخدامه كقطعات آلية حتى اوائل ايلول ١٩٣٨ ، ونظراً للصعوبات الاخرى لم يتمكن الجنود النمساويون من الاستقرار قبل اندلاع الحرب ، وخلال الحرب اثبتوا كل جدارة وتقدير في جميع الجبهات .

كان الجيش في خريف ١٩٣٧ يتألف من ٤٢ تشكيلا كبيراً؛ وبعد انضمام الجيش النمساوي والسوديت اصبح يتألف من ٤٩ تشكيلا ، وفي خريف ١٩٣٩ ازدادت قوة الجيش الى ٥٢ فرقة فعالة كان فيها ٣٥ فرقة مشاة ، وثلاث فرق جبلية واربع فرق آلية ، وخمس فرق مدرعة Panzer ، وأربع فرق خفيفة ، ولواء واحد خيالة .

ان موجود الفرق حتى اذا أخذنا اعتبارات سلمية يجب أن يكون المعدل ٢/١ او ٣/٢ بوجود الأفواج والبطاريات ، ولهذا يتضح ان الواجبات والمطاليب كانت جسيمة على الجيش مرهقة وفوق الطاقة . وفي سنة ١٩٣٧ ضوعفت قوة الجيش الى اربعة امثالها ، أي ان كل سرية وبطرية انقسمت مرتين على الأقل في غضون أربع سنوات ، وهكذا شكلت وحدات جديدة منها . وهذا التقطيع المتكرر لم يحطم كفاءة الجيش فحسب ، انما شلّ تدريبه وحطمه . ومما زاد في صعوبة التدريب قلة المعلمين ولهذا السبب كان لا بد من ايجاد نوع من الارتجال حتى في وقت السلم ، الا انه لم يعمل بها الا في المراحل الاخيرة من الحرب . كانت قطعات الاحتياط قليلة جداً في البداية . وكان احد اسباب ذلك هو قلة نسبة المواليد في السنوات التي تلت ١٩٢٠ ، ثم الى تطبيق الخدمة في الجيش لمدة سنتين من اوائل سنة ١٩٣٦ . ومما يدعو للدهشة والعجب هو تشكيل ذلك العدد الكبير من فرق الدبابات والآليات في وقت قصير ، ويعود الفضل في ذلك للقوة المحركة في الجيش وهو ؟ .. عندما كان رئيس اركان

مفتشية النقليات . كان هتلر يساعد ويشجع التفكير والاتجاه الآلي ببناء الاوتوبان وبناء مصانع انتاج سيارات الفولكس فاكن وتشجيع منقطع النظير لصناعة السيارات . كان فرتش يحبذ فكرة جعل اجزاء من الجيش آلية، ولكنه كان ، مثل بيك ، يعتبر ان الضرورة الأولى هي الحصول على التجربة والممارسة قبل القرار النهائي على تشكيل عدد من الفرق الآلية ، ثم فوق كل ذلك من الضروري التفكير بعامل الوقود المحدود .

اما اوامر وزير حرب الرايخ ، التي تأثرت كثيراً فيما بعد برغبات هتلر ، فقد تغاضت عن جميع تلك التحفظات .

لقد استهوى تشكيل القوات المدرعة كلا من الجنرال البريطاني فولر General Fuller والكاتب العسكري لدل هارت Liddle Hart وكان لهما كل الحق في ذلك .

لقد شكلت في البداية تشكيلات كبيرة لاستخدامها في الحركات ، واخرى وحدات صغيرة للاستخدام التعبوي وألحقت بوحدات المشاة في بداية الحرب العالمية الثانية ، وقد تحولت فيما بعد الى فرق مدرعة Panzer . وكانت التشكيلات الكبيرة على ثلاثة انواع . الأولى فرق مدرعة Panzer . وكان واجبها الاختراق ، او الهجوم على جناح العدو او المنطقة الخلفية ، ولذلك صار يخشى من عدم امكان قوة المشاة استثمار النجاح الأولي ، ولذلك شكلت فرق آلية من مفارز قوية من المشاة ، واخيراً ، شكلت بعض الفرق الخفيفة ، وهي شكل ثالث تأخذ على عاتقها واجبات خيالة الجيش القديمة . ولكن لم تدم هذه طويلا ، وقد تحولت الى فرق مدرعة قبل اندلاع الحرب . اما النوعان الأولان من الفرق الآلية فقد استمرا حتى نهاية الحرب .

لقد دعت الحاجة الى تشكيل عدد كبير من القطعات الخاصة ، علاوة على التشكيلات الكبيرة ، ولم يكن جيش ١٠٠,٠٠٠ جندي السابق بحاجة لمثل

هذه القطعات ، والتي بدونها لا يمكن للجيش الحديث أن يعيش . ولذلك كان من الضروري تشكيلها من هنـا وهناك ، وكانت تحتوي على المدفعية الثقيلة ، والمدفعية الضخمة ، والفعلة ، وقطعات سكك الحديد ، وقطعات الضفادع ، ومخابرين ، ونقلية ، وقطعات آلية ، وكانت هـذه القطعات في دور التكوين وفي بداية تطورها عند اندلاع الحرب . ولم يمكن اكمال هذه القطعات بصورة جيدة خلال الحرب ولذلك كان الجيش الالمـاني يعاني نقصاً كبيراً في هذه القطعات المتخصصة حتى سنة ١٩٤٥ ، وخاصة النقص بالفعلة التي ازدادت واجباتها بمرور الزمن .

كان المقصود أن يتم اعادة بنـاء جيش السلم في سنة ١٩٤٣ . لأن المصانع الداخلية لا يمكن ان تكون محكمة وجاهزة تماما قبل مثل هذا التاريخ، ولا يمكن تأمين الاحتياط من المواد والأشخاص اللازمين للقوات المسلحة في حالة الحرب. وكثيراً ما قيل هذا التحذير وهو ان الجيش لن يصبح جاهزاً للحرب قبل هذا التاريخ . اما هتلر فقد اعتبر هذا التوقيت خاطئاً متشائماً .

وأخذت علاقة هتلر تزداد سوءاً وخاصة بالاركان العامة ، وكان لا يفهم ، أو بالأحرى كان يستغرب لماذا لا يستثمر الجيش الفرصة العظيمة السانحة له ويبذل اقصى الجهود في ذلك بدلاً من أن يحدد نفسه .

كانت الاركان العامة تعمل على أساس أن ليس ثمة حرب تهدد الرايخ الالماني في المستقبل القريب ، وعليه لا ترى حاجة في السرعة الفائقة ، وكان اكثر مايخشاه بيك – بالبديهة – هو ان السرعة الكبيرة في زيادة القوة العددية للجيش ربمـا تؤدي الى نتائج خاطئة للقادة السياسيين وربما كان لهذا الشعور الشخصي أساس من الصحة والوجاهة ، ومن الناحية الثانية يجب ان لا نستنتج من هـذا ان الاركان العامة كان لها يد في تخريب بناء الجيش مطلقاً . ولكنها على العكس بذلت كل جهودها في سبيل جعل الجيش قوة ذات قيمة عالية . وكل ما كانت

تبتغيه هو ان تراه قوياً متماسكاً ، قديراً ودقيقاً في اعماله ، وقد كانت الصورة الظاهرية التي تركها الجيش ، خاصة في المناورات ، وفي الاستعراضات الضخمة في برلين جيدة ولكنها كانت بلا ريب كاذبة وذات تأثير خادع .

ان هذا البرقع الشفاف ، كان لا يستر عن أعين كل مشاهد الماني مطلع نواحي الضعف الخطيرة . فهذا النمو السريع والاتساع العظيم مما سببا للجيش ارهاقاً وضعفاً .

لقد كان ٤٥٠ ضابطاً بين طبيب وبيطري سنة ١٩٣٣ من مجموع الضباط الحربيين وعددهم ٤٠٠٠ ضابط ، ثم انضم ٥٠٠ ضابط من مجموع الباقين الى السلاح الجوي الذي شكل حديثاً ، ولهذا بقي ٣٠٠٠ ضابط ، وكان عدد كبير منهم أصله من ضباط الصف المحترفين ، وما يقرب من ١٠٠٠ ضابط من الانضباط شكل منهم نواة صنف الضباط الحربيين الذي اصبحت قوته ٣٠,٠٠٠ عند اندلاع الحرب .

وكان ٢٥,٠٠٠ جندي من الملتحقين الجدد ممن خدم سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، ولهذا كان هناك جندي مدرب واحد من بين كل ستة جنود وبالرغم من حماستهم للعسكرية وغيرتهم وممارسة القدماء الذين بينهم وتجربتهم في الحرب العالمية الاولى ، كان من العسير على النسبة الباقية وهي ٥/٦ هؤلاء ان يستوعبوا في مثل ذلك الوقت القصير المعلومات والتجربة التي يتمتع بها افراد نواة الجيش والتي استغرقت سنين من التدريب الدقيق الجيد .

اما موقف ضباط الصف فكان لا يختلف عن ذلك ، مع ان معظم رجال الجيش ١٠٠,٠٠٠ رجل ، من الذين خدموا خدمة طويلة . واذا كان ثمة نقص في الضباط وضباط الصف لرفع المستوى العام للقطعات الفعالة ، كانت هناك قضية اصعب من ذلك وهي ايجاد الآمرين للوحدات التي تشكل في وقت الحرب . والتي كانت كثيرة بحيث تفوق وحدات جيش السلم . وكانت هذه القضية من

المشاكل التي لا يمكن حسمها وحلها بيسر وسهولة . كان ضباط الاحتياط يتدربون طيلة الوقت ، ولكن كان من المتعذر تدريبهم تدريباً عنيفاً شاقاً ، ولم يتيسر الوقت الكافي لتجديد المعلومات العسكرية للذين شاركوا في الحرب العالمية الاولى ، والذين لا يمكن الاستغناء عنهم في حالة الحرب .

ان الجيش الجيد في الحرب لا يمكن بناؤه على الارتجال ، خاصة وان افراده يقسمون سنوياً لغرض مضاعفة الوحدات . ان التدريب الجيد الكامل يحتاج الى وقت واستمرارية ، ولم يتوفر هذان العنصران . واحياناً كان ينتاب المرء شعور بأن هتلر مغرم بالأرقام ، او انه كان يبغي جعل مستويات الجيش كمستويات الحزب . وأسوأ من كل ذلك ان الجيش تكبد خسائر فادحة حتى في وقت السلم ، وذلك بمضاعفة الوحدات المسلحة لفرق SS منذ سنة ١٩٣٦ . وكانت الاركان العامة تقاوم تشكيل مثل هذه العصابات ، ولذلك نالت كراهية هملر الدائمة لها .

وبالرغم من الصعوبات التي كانت تحيط بالجيش ، الا انه احرز انتصارات عظيمة في السنوات الاولى من الحرب . واذا كان لنا ان نعزو ذلك ، فيمكننا ان نقول ان الجيش والقوة الجوية كانا مجهزين بمعدات حديثة وأفضل مما لدى العدو .

خطط الانفتاح

من واجب الاركان العامة في كل قطر اعداد الخطط في وقت السلم لاستخدام القوات المسلحة وتوزيعها على اتم وجه في حالة الحرب . وفي المانيا اطلق على هذه الخطط اسم أوف مارش أنفايزونكن **Aufmarschanweisungen** وهي وصايا الانفتاح . ويتم بموجبها تجحفل الجيش على الحدود المهددة وتقرر الأهداف الاولية من المعركة اذا نشبت الحرب مع الخصم المفروض او المنتظر ،

وكان هناك اختلاف عام بين الانفتاح الدفاعي والتعرض من الناحية السوقية او الاعتبارات السياسية ، ويعتمد توزيع القوة على العدو المحتمل ، وما هي قوته واغراضه ، وعلى وضع الاقطار المجاورة ، والتي يمكن ان تكون اما صديقة او ربما محايدة ، او يمكن ان تكون معادية .

لم تهيأ في المانيا اية خطة انفتاح منذ الخطة التي وضعت سنة ١٩١٣ وطبقت سنة ١٩١٤ . وكانت القوات المتيسرة بعد سنة ١٩٢٠ قليلة بحيث لا تكفي لستر الحدود ، وفي خريف ١٩٣٥ ، أي بعد مرور ما ينيف على عشرين سنة ، وزعت خطة انفتاح جديدة . وقد عرفت خطة الانفتاح هذه في الأخير باسم « انفتاح احمر » . وكانت خطة دفاعية محضة وكانت موضوعة لمقاومة الهجوم الفرنسي بمعظم الجيش ، وحماية حدود بولندا وجيكوسلوفاكيا بفرق المليشيا وحرس الحدود (١٢ رجل في الكيلو متر الواحد) وكان من المتوقع دخولهم الحرب في آن واحد .

اما في الغرب فكانت ثمة صعوبة خاصة حتى ربيع ١٩٣٦ ، لأنه لم يسمح لدخول أي جندي الماني الى « المنطقة المجردة من السلاح » وهذه تبدأ من شرق الراين بخمسين كيلو متر . ولذلك لم يكن ثمة مدافعين اما النهر حتى ساعة اعادة احتلال اراضي الراين. وكان على النهر نفسه ثلاثة كتائب من الانضباط. وقد تذللت هذه الصعوبات والعقبات شيئاً فشيئاً في سنتي ١٩٣٧ — ١٩٣٨ . وأصبحت المقاومة تبدأ الان من الحدود نفسها ، بينما كان في السابق يتمكن المهاجم من احتلال جميع المنطقة بدون ان يلاقي مقاومة . ومع كل ذلك كان الدفاع الناجح للحدود الغربية يكاد يكون معدوماً ، لأن مجموع القوة المتيسرة كانت قليلة جداً ، والاستحكامات لم تنجز وسنتكلم عنها فيما بعد . كانت خطة انفتاح ١٩١٤ تعرف باسم « انفتاح صلب » ، وكانت الخطة تهدف الى حشد جميع القوات في المحلات المعينة سلفاً وكانت خطة دقيقة مفصلة ، يتعذر اجراء اي تغيير فيها .

ويعلم الجميع مدى الصراع والخصام الذي حدث بين القيصر ورئيس اركان الجيش حينما طلب القيصر أن يتحول مركز ثقل الجيش العام نحو الجبهة الشرقية بدلاً من الجبهة الغربية ، وبرزت صعوبات عسكرية خطيرة في النمسا وهنغاريا في الوقت نفسه ، وكانت في البداية خطة انفتاح البلقان تقضي التنقل بالقطار نحو صربيا ، وعندما ابتدىء بتنفيذ الخطة أصبح من المتعذر تغييرها او ايقافها ، بالرغم من ان تلك القوات كانت ضرورية جداً على الحدود الروسية .

اما خطة « انفتاح احمر » فكانت مرنة ، لأنها كانت تتناول تنقل واتجـاه جزء من الجيش ، بينما جمعت القوات الكبيرة في مراكز التحشد لتكون جاهزة لإرسالها في اي اتجاه حسب متطلبات الظروف ، اما الدفاع عن الجبهة الغربية ، فقـد قسمت الجبهة الى ثلاثة قواطع جيش . وأسند أمر حماية وأمن حدود بولونيا وجيكوسلوفاكيا الى قيادة جيش آخر . اما الحدود مع الدول المحايدة كالدنيمارك وهولندة وبلجيكا وسويسرا والنمسا ، أنيطت بقطعات مراقبة الحدود ، وكانت كثافتها تتراوح بين ٤ الى ٦ اشخاص للكيلومتر الواحد . من الضروري ان نذكر هنا بأنه لم تهيأ أي خطة انفتاح تجاه النمسا . وقد استدعى هتلر بيك ونائبه مانشتاين، بعد يوم من اعلان الاستفتاء في النمسا ، اما براوشش فكان خارج برلين بمهمة رسمية ، وبلغ هتلر القادة ، بانه يرى ضرورة هـذا الاستفتاء تحت ضغط الحكومة وتدخلها ، وان ارادة الشعب النمساوي يجب ان تكون مزيفة ، لا تمثل رأيه . وعليه قرر هتلر حسم هـذه القضية Anschluss question بدخول الجيش الى النمسا . وكان يظن ان الشعب النمساوي سيرحب بالقطعات الالمانية ايما ترحيب - وفي الحقيقة انهم لم يرحبوا بهم الا في الأخير . وكان قلقه الوحيد هو من موقف ايطاليا [1] . اما الدول الغربية فقد قال عنها ، انها لن تعترض على الحقوق المعنوية للقضية .

---

١ - أجّل هتلر صدور امر زحف الجيش نحو النمسا الى اللحظة الاخيرة لعدم انجلاء موقف ايطاليا ، ولم يصدر الأمر الا بعد ان أبرق موسوليني اليه بالتأييد للحركة .

وقد اجاب بيك ، بأنه ليس هناك خطة مهيئة لاحتلال النمسا ، ولذلك من الضروري وضـع خطة مرتجلة ، واقترح وجوب تحشيد قوة مؤلفة من جحفلي الجيش البافاريين وفرقـة مدرعة Panzer وفرقة مشاة . ولم تهيأ لاغراض سياسية خطة للتعبئة الجزئية طبعاً . خاصة وأن هتلر اراد ان تدخل القطعات الالمانية قبل يوم الاستفتاء بيوم واحد . وكانت القطعات تحتاج الى ٩٦ ساعة على الأقل لتكون جاهزة للحركة الى الحدود ، ولم يصدر الامر النهائي من حكومة الرايخ الا في نفس اليوم ، ليتم الغزو في الوقت المعين .

وفي الحقيقة ان الأمر مسلم الى الاركان العامة بعـد الظهر من اليوم نفسه ، ولهذا لم تعلم هيئة الاركان العامة بالاجراءات المطلوبة الا قبل خمس ساعات من استلام الأمر .

كانت خطة « انفتاح احمر » وهي الخطة الوحيدة حتى خريف ١٩٣٧ ، وكانت تجرى تعديلات عليها في كل سنة ، حتى اصبحت تشمل جميع الوحدات المتشكلة حديثاً . (كانت هذه الخطة دفاعية [١] حتى وقت اعلان الحرب) . وكانت ثمة اجراءات خاطئة لمنطقة بروسيا الشرقية التي اقتطعت بالممر البولندي. وكان جحفل الجيش المرابط هناك يشكل جيشاً مستقلاً واجبه الدفـاع عن المنطقة تجاه الهجمات البولندية او اللتوانية ، وفي حالة وقوف كلتا الدولتين على الحياد يمكن سحب بضعة فرق الى الرايخ بحراً .

في خريف ١٩٣٧ ، أعـد الجيش خطة انفتاح ثانيـة (لا تشمل بروسيا الشرقية) . بالنظر لتوفر معلومات جديدة ، وبات من الممكن في حالة الحرب

---

١ - كان الجيش الالماني حتى اواخر ايلول ١٩٣٩ ، مجهزا بخرائط المانيا ومناطق الحدود الشرقية لهولاندا ، وبلجيكا ، وفرنسا فقط ، وعدم وجود خرائط الاقطار التي ستصبح ميادين حرب لديه ، كالدنيمارك ، والنروج ، وشمال افريقيا ، دليل آخر على النوايا السلمية لقادة الجيش الالماني .

على جبهتين ضد فرنسا وجيكوسلوفاكيا ، ان تزج الأخيرة بكل قواتها في المرحلة الأولية من المعركة ،ثم تحاول الدولتان المتحالفتان توحيد حركة جيوشهما باتجاه نورمبرغ . ويشكل هذا خطراً على عزل جنوب المانيا . بالاضافة الى ان مثل هذا الهجوم المركز سيهدد مؤخرة الجيش الالماني الغربي. ويصبح من العسير على هذا الجيش ان يدافع عن نفسه تجاه الهجوم الفرنسي . وللتخلص من هذا التهديد لا بد للجيش ان يوجه هجوماً قوياً مركزاً على الجيش الجيكوسلوفاكي في اول الامر وستصبح جميع الفرق متيسرة للمعركة ضد فرنسا بعد دحر الجيش الجيكوسلوفاكي .

كان الجيش العامل الجيكوسلوفاكي مقدراً بنحو ٣٢ فرقة وبضعة الوية من الخيالة . اما المانيا من الناحية الثانية ، فكان لا يتيسر لديها اكثر من ٣٤ فرقة بعد ان سحبت ثماني فرق من الغرب ومن شرق بروسيا في سنة ١٩٣٧، وكانت معظم هذه الفرق غير كاملة ، ولذلك لا يمكن الحصول على التفوق العددي ، ولهذا فان الخطة الموضوعة للحركات كانت تنطوي على خطوة كبيرة . حتى ولو كانت القوات الرئيسية الالمانية تقاتل العدو في الجنوب الشرقي . فان جميع المنطقة غرب الراين ، والتي تدافع عنها قوات احتياطية ووحدات من المشاة ، ستذهب لقمة سائغة للعدو ، هذا اذا لم يستطع الجيش الفرنسي من عبور النهر خلال هذه الفترة . وبالنظر للامال الضعيفة في هذا الهجوم الجزئي بالنسبة لخطة الدفاع العامة ، لذلك كانت رئاسة اركان الجيش غير مرتاحة لهذه الخطة ، وهذا هو سبب توزيع خطة « انفتاح اخضر » الى قيادات قليلة ومحدودة لغرض دراستها ، ولم يكن بيك ولا أي ضابط كبير لامع آخر من ضباط الاركان العامة يعتقد بامكان تطبيقها في أي وقت من الاوقات ولكن الحوادث هنا ، تجري خلافاً لما كان متوقعاً .

ازمة السوديت

أقبل ربيع ١٩٣٨ وهو يحمل بين طياته اعظم مباغتة لقيادة الجيش العليا . حيث اتضح ان سياسة هتلر كانت تهدف على ما يبدو الحرب مع جيكوسلوفاكيا .

اما وجهة نظر قيادة الاركان العامة ، فلم يؤخذ بها من الناحية العسكرية — السياسية في هذه القضية ، وقد تعاقبت الاحداث كما يلي :

شرع الجيش في بناء استحكامات الحدود بين موسل Mosel ونهر الرين وعلى امتداد الراين الاعلى ، بعد اعادة احتلال منطقة الراين سنة ١٩٣٦ ، لأعطاء الدليل القاطع على النوايا الدفاعية المحضة . اما دائرة مفتشية الاستحكامات فقد اخذت تبحث بحثاً مستفيضاً في هذا المشروع لتكون هذه الاستحكامات ملائمة من الناحية التعبوية وتنطوي على الحذق والتنظيم . وكان مهندسو الاستحكامات يمتازون بالدقة ، وكانوا — كغيرهم من الاختصاصيين — يتميزون بالعناد . وقد ابتدأت المحادثات الاعتيادية بين الفنيين والتعبويين . ولم يتصف عمل الفريقين بالسرعة وكأنهما كانا في غنى عنها وقد ادى ذلك الى تأخير كبير قبل المباشرة بالعمل ، اضافة لذلك كان الفولاذ غير متيسر ، وقد وردت ورقة تحمل ملحوظة لاخبار رئيس اركان الجيش « بيك » سنة ١٩٣٧ . جاء فيها :

« ان الفوهرر قرر توزيع شحنة الفولاذ . ولم تشر الى الاستحكامات . وفي ربيع ١٩٣٨ طلب هتلر فجأة تقريراً فورياً عن سير العمل في بناء الاستحكامات في الغرب . وعندما اجابت المفتشية عن سؤال هتلر ان تاريخ انجاز العمل المتوقع هو « حوالي عام ١٩٤٨ » ، وهنا نفد صبر هتلر واناط مسؤولية بناء جميع « الجدار الغربي » كما سماه الآن الى منظمة تود . وقد قدرت منظمة تود ان انجازه سيتم في خريف ١٩٣٨ ، أي خلال ستة اشهر ، وهكذا اصبح الفولاذ والسمنت والعمل متيسراً بكميات كبيرة فاقت الحدود .

وفي مارس عام ١٩٣٨ ، أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحـــة ، أمراً للجيش والسلاح الجوي Luftwaffe للتهيؤ في ايلول من نفس السنة لقهر الجيش الجيكوسلوفاكي . ومعنى ذلك ان خطة « انفتاح اخضر » والتي كانت حتى الآن تعتبر دراسة لعملية مساعدة اصبحت الآن حقيقية ويجب تطبيقهـــا وتوزيعها الى جميع السلطات .

وقد عارض رئيس اركان الجيش في الحال . لأن بيك كان يعتقد بان هجوم الماني على جيكوسلوفاكيا سيجعل فرنسا تفي بالتزامات المعاهدة ، وان بريطانيا سوف لا تقف مكتوفة الايدي ، وان مثل هذا الهجوم سيؤدي الى حرب اوربية ،اذا لم تكن حرباً عالمية ،وكان يعرف بيك ان المانيا ستخسر مثل هذه التجربة ، تجربة القوة . والحقيقة ان موقف المانيا السوقي قد تحسن بالنسبة لجيكوسلوفاكيا منذ انضمام النمسا . وان قواتنا قد ازدادت بانضمام الفرق النمساوية الينا ، ولهـذا اصبح بالامكان الآن التبجح بالتفوق العددي ولو كان تفوقاً طفيفاً . ولكن هذا التفوق كان يتلاشى أمام استحكامات الحدود الجيكوسلوفاكية المتينة جـداً ، والتي كانت في بعض المحلات تضاهي خط ماجينو . ولذلك كان من المحتمل جداً ان يكون الهجوم باهظ الثمن وطويـل الأمد ، اما في الغرب فسوف لا يكون اكثر من اربعة فرق فعالة كاملة ، وكان بيك يرى ان مثل هذه المجازفة لا تؤدي الا لكارثة بنطاق واسع ، وقد اوضح تحذيره هذا في مؤتمر لعدد كبير من ضباط الاركان العامة ، وشرح رأيه بعبارات قوية مؤثرة . وقد ارسل في حزيران مذكرة الى هتلر بواسطة براوشش حلل فيها النتائج التي كانت تبدو له اكيدة من جراء الهجوم على جيكوسلوفاكيا. وقد اغتاظ هتلر أشد الاغتياظ من رئيس اركان الجيش الذي تجرأ على مخالفة خططه وبذلك – تعتبر خطوة تدخل في القضايا السياسية المحرمة – وعندما فشلت مذكرة بيك في اقناع هتلر رضخ للأمر الواقع،ولكنه استمر في الكفاح،

وأخذت جميع القضايا تتسم بطابع منذ ان عين هتلر يوم ٢٨ ايلول ١٩٣٨ يوماً للهجوم . ولو ان هذا اليوم كان المفروض ان يكون « سراً » مكتوماً ولا يمكن تبليغه حتى الى الاركان العامة . ولكن لم يمض وقت طويل حتى اصبح الأمر معروفاً من قبل جميع حمالي وخادمات برلين . ويعتقد ان السر ذاع وانتشر عن طريق بعض الخدم في المستشارية .

ولما كان المعروف ان هتلر كان يكره قراءة المذكرات ، ويستأنس بالاحصائيات والخطوط البيانية ، لذلك جرت محاولة التأثير عليه من هذه الناحية . فأرسلت اليه الجداول ، والمخططات الملونة ، الخ (لم يوافق على حضور بيك) لاقناعه بأن تفوق الجيش على القوات الجيكية لم يكن كافياً ؛ وأن جميع القوات في الغرب ، بما فيهـــا فرق المشاة الاحتياط لا تسد الحاجة المطلوبة ، وان الاستحضارات الحربية لا يمكن ان تبقى سراً ، وان جميع الدول ستعرف الخطة ؛ ثمة نقص في الدبابات والاعتدة ، الخ الخ ، ولكن كل ذلك كان عبثاً لا فائدة منها . ولم تكن تلك الجهود الا لتزيد سخط هتلر تجاه بيك ، والاركان العامة ، وكانت تلك فرصة سانحة لزمرة هتلر في توسيع هذا النفور وتجسيمه ، وقد طلب بيك من براوشش عقد مؤتمر لجميع القادة . وقد تم عقد هذا المؤتمر في آب في برلين ، وقد أيد الجميع بان المشروع كان غير صحيح ويعتبر عملاً قطيعاً من الناحية العسكرية . ويبدو ان هتلر كان قد ذكر لأحـــد القادة ، في حفلة موسيقية أقيمت حديثاً ، عن هذا الهجوم المرتقب . وقد سأل بيك هذا القائد : هـــل أوضحت له ما يخالجك من شك وريبة في ذلك ؟ أجاب القائد بانه لم ير الفرصة ملائمة بحضور عدد كبير من المستمعين ، وانه غير ملزم بذلك فنهض بيك وسورة الغضب بادية عليه وصاح به : ايها القائد لقد كنت يوماً ضابطاً من الاركان العامة ، وأنت تعلم من واجب ضابط الاركان العامة الالماني ان يفصح عن رأيه بصراحة خالية من التحفظ لأي كان ، حتى ولو كان رئيس حكومة . انني أشفق عليك أشد الاشفاق لانك قصرت في ذلك .

وبعد هذا طلب هتلر تنحية بيك من منصبه ، وجاء خلفه هالدر ، الذي أشغل منصب مانشتاين قبل ذلك بقليل . ولم ينشر نبأ طرد بيك بل بقي سراً، واجبر على الذهاب الى بروسيا الشرقية فوراً، حيث كانت تجري هناك مناورات بحضور الملحقين العسكريين الأجانب، تغطية للنبأ في داخل الرايخ. وقد أصبح بيك في الأخير قائد الجيش الأول في الغرب ، ولكن العالم الخارجي كان حتى الآن يعرف بأنه رئيس اركان الجيش ، وكان هذا الاجراء من تدبير هتلر . وقبل ان يغادر بيك برلين كتب ما يلي : « لأجل ان اوضح موقفنا لمؤرخي المستقبل ولأجل الحفاظ على سمعة القيادة العليا ، اود ان اسجل ، بأني كرئيس اركان الجيش ، رفضت الموافقة على أي حرب تجازف بها الاشتراكية الوطنية، وأن النصر النهائي لالمانيا متعذر ومستحيل » .

كان هالدر كما يبدو للعيان ، أوقف معارضة اغراض هتلر. ولكنه في الوقت نفسه قام باجراءات دلت على ان حامية برلين ستتدخل لخلعه اذا هو استمر في عناده واعلن الحرب ، وكما ذكرت سابقاً بأن الجنود لا يرغبون القيام بأي عمل ضد الفوهرر . ومما زاد في حماس الشعب نحو هتلر هو اتفاقية مونيخ ، التي خيبت كل أمل في نجاح مثل هذه المحاولة

وكان من واجب السفير الفرنسي ، والبريطاني ، والايطالي ، في برلين وسكرتير الدولة للدائرة الخارجية ، فون فايز يكر von Weizsacker الاشراف على تنفيذ اتفاقية مونيخ ، وقد قام هذا المؤتمر بواجبه حسب التقاليد المرعية ، بالرغم من بعض تدخلات ربنتروب السخيفة ، والتي كان يتسترعليها فايز يكر باعتباره الرئيس ، وكانت الشائعات تدور بأن هتلر كان مسروراً من اتفاقية مونيخ ، وان شامبرلن قد « قضى على كل شيء » . وكان من الصعب تصديق ذلك لأن الوهم والغرور النفسي قد بلغا حداً لا يدركه العقل .

٣

تجريد الجيش من السلطة

القيادة العليـــا

يتبادر الى الذهن عند ذكر كلمة « القيادة العليا » بصورة عامة مجلس يضم عدة اشخاص يعملون سوية في زمن الحرب لتوجيه مصير الأمة . ويتألف مثـل هذا المجلس في الأصل من رجال السياسة والعسكريين ، ويصدر جميع القرارات الهامة بعد تبادل الأفكار ودراسة شتى الاراء المتناقضة دراسة دقيقة من جميع الوجوه . وربما كان هذا هو نظام جانب الحلفاء في واشنطون ولندن ، وقـــد يكون كذلك عندما اجتمع « الاقطاب الثلاثة » في الدار البيضاء او طهران . أما القيادة الالمانية في الحرب العالمية الثانية فكانت تختلف اشد الاختلاف . فلم يكن ثمة مجلس يعمل او ينعقد . ولم يجتمع حتى رجال حكومة الرايخ سوية في محل ما ولأي قضية طيلة مدة الحرب . وكانت القيادة العليا هنا تتمثل عملياً في شخص واحد ، يتمتع وحـــده بجميع سلطات الدولة السياسية ، والعسكرية والاقتصادية ، وهو هتلر ، وهتلر هـــو الذي يضع جميع الخطط العسكرية السوقية ، ويتمتع بحق قبول او رفض المقترحات ، وهو الذي يحتفظ لنفسه

يحق اصدار القرارات النهائية – ومن سوء الحـظ ليست القرارات الرئيسية فحسب وكان يجلس وراء تلك الواجهة المضللة رجـال عسكريون « القيادة العليا للقوات المسلحة » يصح تسميتهم بالاداة المنفذة لأوامر هتلر وتعليماتـه الى البحرية والسلاح الجوي والجيش . واخيراً الى جميع ميادين الحرب المختلفة .

والمفروض ان ضباط القيادة العليا للقوات المشتركة ، كايتل مثـلا ، بوصفه القائد العام لهذه القوات ، ومرؤوسه يودل بوصفه رئيس اركان السيطرة للقوات المسلحة ، لهما اطلاع كامل على ما كان يجري في الجبهات المختلفة وفي جميع الأوقات ، وربما يعرفون بما يضع هتلر من خطط ، ولكن الواقع كان عكس ذلك ، ففي قضايا القيادة كانت سلطتهم اقل بكثير من سلطة رئيس اركان جيش او جحفل جيش عند غياب قائده . وقد كشف النقاب لأول مرة في محاكمات نورمبرغ « لمجرمي الحرب » عن كايتل ويودل ، وظهرا وكأنهما يرتديان ثوباً جديـداً لم يستطيعا ارتداءه اثناء الحرب ، وقد ذكرا شيئاً قد لا يصدق حتى يومنا هذا ، ولكنه كان هو الواقع والصحيح ، وهو ان هتلر وحده كان يعطي القرارات العسكرية ، وكانت لا تشمل القرارات السوقية فقط ، ولكن من سنة ١٩٤٢ وما بعدها كانت في كثير من الاحيان تشمل حتى القرارات التعبوية ، ولم يفوض احداً غيره في ممارسة هذا الحق « حق السيادة » ، ولو لفترة ما .

ولا اريد ان ابحث باسهاب عن كيف اسبغ هتلر على نفسه حقـاً مطلقاً في اصدار القرارات ، وحتى العسكرية منها ، لأن ذلك سيكون معاداً لا ارتضيه لكثرة ما كتب وذكر عنه في كل مكان .. ولكن ارى من المناسب ان اتطرق بايجاز واسجل بعض الشيء في هذا الباب فأقول كان هتلر يعتقد بايمان « برسالته » . ولا ينكر بأنه كان ناجحاً في السياسة الداخلية والخارجيـة من سنة ١٩٣٣ الى ١٩٣٩ . اما كيف حقق ذلك النجاح فهـذا شيء آخر . وكان هتلر ١٩٣٣ يختلف عن هتلر ١٩٣٨ . حيث تمكن الآن من السيطرة على جميـع القوات

المسلحة . واتجه طموحه الآن نحو الانتصار العسكري ، وكان هتلر يعتقد بان قيادته هي الوحيدة التي تكسب النصر .

وكان يصف مستوى الضباط ، وخاصة ضباط الجيش ، بالنسبة له « ضعيف جداً لا يخرج من الوحل » وهذا الوصف يصح حتى على الأركان العامة والقادة . لأنهم برهنوا على خطأهم بتحذيراتهم له من أخطار إعادة منطقة الراين بدون سابق انذار ، وحل قضية السوديت بقوة السلاح ، ومحاولتهم تقليل السرعة التي قررها لإعادة التسليح . ومبالغتهم في تقدير قوة بولندا أولاً والجيوش الفرنسية ثانياً . بينما كانت جميع تقديراته وأعماله صحيحة ، فهل بعد ذلك يستمع الى هؤلاء الجبناء ، المترددين ومثبطي العزائم ، لقد كانوا يخشون الحرب ، بدلاً من أن يستبشروا بها، هؤلاء الذين هم آخر ما تبقى من الماسونيين ، كما كان يدعو الأركان العامة . هؤلاء الفرسان القدامى وقوانينهم الخاصة بالشرف والتي هي أوهى من خيط العنكبوت . وقد عبر هتلر مرة تعبيراً كله استخفاف واحتقار لقادته ، عندما عارضوا أوامره ، قائلاً هل عليّ أن أمتثل لنصائحهم وأخضع لقراراتهم ، وهل أنها ستؤدي الى النصر أم الى الهزيمة ؟ كلا ، كلا ، ثم كلا ! أنا زعيم الشعب الألماني في السلم ، وهذا ما يعترف به العالم أجمع ؛ حررتهم من عبودية معاهدة فرسايل؛ والآن أنا قائدهم في الحرب. وأنا الوحيد «سيد الميدان» Feldherr[1].

وإذا كان هتلر خلال حملة بولندا قد توارى عن الأنظار في الخلف ، نجد أن هذا الوضع قد تغير بسرعة ، وانطلقت الدعاية منذ خريف ١٩٣٩ تمجد هتلر

---

١ – تعني كلمة Feldherr الالمانية كلمة Lord of the field الانكليزية سيد الميدان ولم يدرك هتلر أن يوم سيد الميدان قد انتهى بانتهاء الحرب العالمية الأولى . وأصبحت ادارة المعركة الحديثة متعددة الجوانب والأساليب ، ولم تعد القوات المسلحة تلعب الدور الحاسم كما كانت في الماضي ، وأصبحت المعركة لا تكسب عسكريا فقط وانما بالخطط الاقتصادية والمعنوية ، ولهذا من العبث ان نبحث عن « سيد ميدان » في كلا الجانبين ؛ ولا يوجد سوى قادة قطعات لامعين ممتازين .

وتصفه بأنه أعظم « سيد ميدان ظهر في الوجود » وهكذا صارت ثقته بنفسه عظيمة بحيث جاوزت كل الحدود. وكان خلال التعرض في الغرب يتدخل كثيراً ؛ وكانت النتيجة نجاة قوة الحملة البريطانية في دنكرك ، ولم يقف عند هذا الحد بل تمادى في تدخله أكثر سنة ١٩٤١ ، وعندما اقترح الجيش توجيه الهجوم الرئيسي على موسكو ، رفض هتلر هذه الخطة، وأمر بأن يكون الاندفاع القوي الرئيسي على الأجنحة ، باتجاه أوكرانيا ولنين غراد أي بدلاً من أن يضرب بيد ممدودة قوية ، أصبحت الضربة بيد مفتوحة ضعيفة، وقد تحقق ما كان يخشى منه ؛ وهو أن القوات السوفييتية الرئيسية حول موسكو لم تقهر وبقيت سالمة . بالإضافة لذلك،رفض هتلر اقتراح ضرورة اتباع الدفاع المرن. خاصة وأن مدينة موسكو التي لاحت له في الأفق القريب جعلته شارد العقل مغروراً ، وبات يحلم في الاستيلاء عليها ، ولذلك أصر على متابعة الهجوم . ثم جاءت الهجمات المقابلة للجيش الروسي المبكرة المفاجئة ، وبرد الشتاء القارس ، كل ذلك مما أدى الى نكبة وأزمات . وكان يمكن تلافي ذلك بسحب الجيوش الألمانية المندفعة كثيراً الى الأمام وبذلك يتم سد الثغرات في الجبهة . ولكن هتلر رفض التنازل عن أي شبر من الأرض . وبذلك جعل الموقف يزداد حراجة وبسبب خسائر فادحة. وكان ضحية هذا الموقف « براوشش » الذي اتهم خلافاً للحقيقة والواقع، بأنه لم يؤمن تجهيز الجيش في الجبهة الشرقية بملابس الشتاء . وتسلم هتلر قيادة الجيش وأعطى أمره المشهور : « على كل فرد أن يبقى في المحل الذي هو فيه ، وأن لا يتراجع خطوة الى الوراء » ، وفي هذا يتحمل هتلر وحده وزر ذلك .

لقد أثبتت نجاح هتلر قدرته ، وقد رأى فيه ما يؤكد من جديد على قابلياته ، ولذلك أصبح لا يلتفت الى أي نصيحة . وأعلن قوله المأثور : « اثبت في مركزك مهما كان الثمن وهذه هي الطريقة الوحيدة للنجاة في الحرب » . وقد أخذ يضحي شيئاً فشيئاً بسبب تطبيق هذه القاعدة ليس بالفرق والفيالق فحسب وإنما بالجيوش وجحافل الجيوش ـ أجل ، حتى بجميع ميادين الحرب . إنه شيء

محير لا يمكن ادراكه ، ذلك أن هذا الرجل بالرغم من مواهبه الفذة التي كانت تصل أحياناً الى حـد الاعجـاز ، يعجز عن ادراك أن فن الحرب لا يشتمل على الثبات باصرار ، وإنما باتباع عنصر المبادأة والابداع . وعندما يتذكر المرء بعض صفات هتلر التي أصبحت واضحة ومألوفة ، لا يستطيع تحليـل شخصيته الا بالرجوع الى سيكولوجية علم الأمراض . فهناك مثلاً ، غلوه اللامتناهي في قدراته العسكرية ، فكان يعتقد ، وهو الجندي في خط الجبهة في الحرب العالمية الأولى ، أنه يعرف كل متطلبات الحرب من الحرف أ الى الحرف ي .

ولا ينكر بأنه كان مغرماً بقراءة العلم العسكري، وخاصة فيما يتعلق بالفنون العسكرية ، وأنه كان قد اكتسب خبرة ومعرفة من ميدان القتال الواسع [1] . وكان مع كل ذلك يمتاز بذاكرة قوية تحفظ أدق التفاصيل الممكنة ، وحبه الشديد للآلات الفنية جعله يغالي في تقدير أهميتها وقيمتها ، بينما أهمل تقدير قوة قطعاته المنهـارة فسنحت للعدو فرص كثيرة ، وكان قاسياً يحتقر الانسانية ويتملكه شعور بالنقص من ناحية الثقافة والمعرفة بحضور الخبراء وهذا أدى به ان يقلل من قيمة هؤلاء الخبراء . وكان خطيباً مفوهاً مطبوعاً ، يدعم آراءه ونظرياته بسيل من الأدلة والبراهين . واستطاع بهذه القدرة ان يسكت جميع القـادة بسهولة ويسر . كان يفكر عاطفياً وذاتياً ؛ وكان يمقت الأحكام الموضوعية والجـداول الجامدة التي تعتمد على الشكليات . كان يميل في طبعه الى التقليل من قيمة العـدو وكان لا يبني قراراته على الخبرة العسكرية لدراسة دوافع العدو واعمـاله . وكان

---

١ - كان يعتقد بامكانه ان يضيف الى تجربته في خط الجبهة في الحرب العـالمية الأولى دراسات مستيقظة ودقيقة عن النقوش والزخرفة ، ثم التحدث مع الضباط القادمين من الجبهة بصورة دقيقة ومفصلة تدعو الى كل اكبار وتقدير ، والحقيقـة كانت جميع الانتصارات في الهجوم في الجبهة الغربية ، وحتى النجاح في الدفاع ، تحرز بالرغم من تفوق العدو بسبعة أو عشرة أمثال ، وحتى في ظروف مماكسة اكثر من ذلك ، وهـذه هي التي خدعت هتلر وجعلته يعتقد بأن الجيوش الروسية ستنهزم .

لا يعتبر ان عامل الوقت والمسافة من العوامل الحاسمة في تقديراته . وأخيراً ، كانت تغلب عليه صفة المغالاة ، بعيداً عن الاعتدال أشد البعد ، وهذه مما دعته الى ان يبدد موارده في الحرب في جميع الجبهات . كان عناده يحول دون ادراكه للعواقب الناجمة من سير الحوادث باتجاه غير صحيح ، وكان لا يعتقد في كثير من الأحيان بأن تلك الحوادث غير ملائمة . وبدلاً من ان يفسح المجال للعدو فرصة اتخاذ المبادأة ، كان بامكانه ان يتراجع في الوقت المناسب وينسحب بانتظام من مواقع لا يمكن الاحتفاظ بها ، غير انه كان يرفض اتخاذ مثل هـذا الاجراء – واذا كان لا بد منه فيكون بعد فوات الأوان . وهكـذا كان مرة بعـد مرة يتكبد خسائر فادحة لا تعوض وسببت للقطعات انهاكاً شديداً ، واخيراً كانت سبباً في انهيار جميع الجبهات وتقويضها .

لقد ميزت كلمة « متأخر جداً » جميع قرارات واعمال قيادة القوات المسلحة من خريف ١٩٤٢ وما بعده . ولم تصدر تعليمات او وصايا عامـة ، وبدلاً من ذلك . كانت تركز فعاليتها على الحركات في الجبهة وتنهمك في اعداد تفاصيلها بينما ليس ذلك من واجبها ، والقاعدة الاساسية في الادارة هي ان تصدر الأوامر الى السلطات المرؤوسة ، تخبرها ماذا تعمل ثم تفسح لها المجال لتقرر كيف تعمل لتنفيذها .

ولكن هذه القاعدة اهملت ولم تتبع مطلقاً وبذلك قضي على هذه القاعـدة التقليدية في الجيش الالماني، وهي حرية العمل للضابط المرؤوس واستقلاله. وكان هتلر يتدخل في جميع قضايا القيادة لجميع القطعات في الميدان ، ولذلك كان هتلر يطلب معرفة قضايا وتفاصيل لا حصر لها كل يوم ، قد تكون تافهة وليست ذات اهمية بالنسبة له ولقراراته النهائية . ولم يحاول يوماً مـا ان يقوم بحركات جديدة لاسترجاع المبادأة التي فقدها واتخذ الوضع الدفاعي مرغماً ، لان القوات المتيسرة كانت لا تكفي للقيام بالهجوم . ولذلـك يكون الانسحاب الاجراء

الوحيد لديه هذا لو كان يفكر تفكيراً جدياً صحيحاً، ولكنه كان على العكس. كان كل اقتراح من هذا القبيل يكفي لاثارته ويجعله في سورة من الغضب والهياج .

ومن الاقوال المحببة اليه « ان القادة يريدون الحركات دائماً » وانا اقول لهم ان واجبهم هو البقاء في المحل الذي هم فيه ، ولا شيء آخر غيره . بينما كانت المساحات الشاسعة المحتلة في روسيا تجعل التخلي عن مناطق كبيرة منها وبصورة موقتة عملا مصيباً ، اذ المساحات ليست ذات قيمة مطلقاً ، ولا يمكن بعث الروح في فن قيادة القطعات الا بحرب الحركة . وبالرغم من شجاعة الجندي الالماني ، كانت حرب الحركة الوسيلة الوحيدة للتغلب بعض الشيء على الظروف المعاكسة كالتفوق علينا بالعدد والمعدات ، ولكن جميع هذه الاراء والمقترحات ذهبت ادراج الرياح منذ البداية . وهكذا كانت القطعات المنهكة والتي تحملت فوق طاقاتها مدة سنين طويلة ، مجبرة على الاحتفاظ بالارض التي استولت عليها سابقاً . وبذلك فقدوا حتى تلك الفرصة الوحيدة لديهم ، فأحاطهم العدو وتقطعت بهم السبل وابادهم .

كانت القيادة العليا وعلى رأسها هتلر ، تتصف بالتطرف والعناد . وكانت تتنكر لجميع مبادىء السوق والتجارب التي حققت الانتصارات للجيوش الالمانية في العهود الماضية وحتى في بداية الحرب العالمية الثانية . وقد فقدت القيادة العليا مبدأ المبادأة عندما فرض هتلر نفسه عليها، واصبح هتلر كنابليون الاول ، فريسة لانتصاراته . وكان القادة في الجبهة يتحملون واجبات يتعذر عليهم انجازها لانهم سلبوا وسائل تحقيقها ، اما الاستعانة بالوحدات المساعدة بصورة مستمرة كوحدات الانذار الثقيلة فقد اثبتت التجارب فشلها وخيبتها .



الصحراء الغربية





رومل أمام طبرق (تشرين الثاني ١٩٤١)



رومل يعطي أوامره



رومل مع المشاة الايطاليين أمام طبرق

كان قادة الجيوش وجحافل الجيوش يقاتلون في جبهتين ، جبهـــة العدو في المعركة ثم عليهم ان يدافعوا عن انفسهم تجاه قيادتهم العليا التي جردتهم من حرية العمل ، وكان عليهم ان يعتمدوا في هذا الكفاح على ما لديهم من موارد ، لأنـه من الصعب وصول الاسناد والامداد اليهم . وكان من واجب كايتل ويودل تقديم احتياجات الجبهة الى هتلر . ولكن كليهما كانا يجهلان هذه الاحتياجات لعدم خبرتهما العملية في الحرب العالمية الثانية ، حيث كان هتلر لا يسمح ليودل بزيارة الجبهة إلا نادراً . اما كايتل فلم يرها. وكان هتلر يدعي بأنه يتعذر عليه الاستغناء عن اي منهما ولو لبضعة ايام . وربما كان السبب الحقيقي هو عدم رغبته في ان يتعرضا لنقد شخصيته وقيادته .

اما ثقة هتلر بكل من كايتل ويودل فكانت ضعيفة محدودة . وكان كايتـل ضعيف الشخصية ، وكان هتلر لا يقيم وزناً لاحكامه وقراراته العسكرية ، وفوق كل ذلك كان كايتل يعرف قدر نفسه ، فلا يتظاهر بالكفاءات والقدرات الـــتي هي ابعد ما تكون عنه . وكان اشبه ما يكون بوزير في حكومة مستبدة،وكان عمله لا يتعدى المظاهر ، واصبح منصبه الرنان خاوياً ليس فيه سوى الصراخ والهياج . وفي الحقيقة لم يكن له دور يلعبه سوى الدور الذي عينه له هتـلر : وهو دور رئيس كتاب الذي يتقبل سورات غضب سيده دائماً بكل هدوء . ويبدو انه فقد كل شعور بالمسؤولية تجاه الشعب وتجاه الجيش،والتي نشأ وترعرع في ظلها ، والآن يتجاهلها ويتبرأ منها . لم يكن ذا موهبة عقلية ، ولكنه كان يدرك تمام الادراك بأنه كان يقف كالأعمى تجاه التأنيب واللوم الشديـــد الذي يواجهه . وكان في كل قضية يقف الى جانب هتلر ضد الجيش وضد زملائـــه القدماء في الوقت الذي هم احوج ما يكونون الى مؤازرته واسناده ، وضعفه وفقدانه الرأي جعلاه يرغب في التعاون مع هتلر في كثير من اوامره الجـائرة المقوتة كاوامر « الكوميسار » وأوامر « الليل والضباب » .

لا ريب ان كايتل نفسه لم يكن رجلاً سيئاً ، ولكن رعبه من العفريت الذي كان يخدمه أدى الى خنق شعوره ووجدانه .

وكان المراقبون لا يصدقون كيف تحمل كايتل والآخرون ذلك الجهد المضني مع هتلر طيلة مدة الحرب كلها . امـــا قادة الميدان ورؤساء اركانهم فكانوا يتضايقون اشد الضيق حين يدعون من الجبهة بين حـــين وآخر للمشاركة في « مؤتمرات تقدير الموقف » والتي كانت تستغرق الساعات ، وكثيراً مـا كان هتلر يلقي الخطابات الطويلة وفي مواضيـع لا تنسجم مع الظروف . وكان هؤلاء لا يدركون كيف يكون بامكان المرء ان يحيا سنة بعد اخرى مثل تلك الحياة الشاقة ، التي يتعذر فيها تقسيم العمل الفكري . صحيـح ان هتلر رفض قبول استقالة هؤلاء المرؤوسين الذين كان لا يرغب الافتراق عنهم ،ولعل السبب في ذلك هو اما انه استفاد منهم او لأنهم كانوا ينقادون لارادته بسهولة ، ولكن كل فرد اذا اراد التخلص من هذا الجو الخانق بصورة جدية فلا بد له ان يجد له سبيلاً ، حتى ولو كان بالمناوأة العلنية . وربما يكمن السر في معرفة هذا اللغز في قدرة هتلر الهائلة على التنويم المغناطيسي وتأثيره .

وربما كانت هذه القدرة وتأثيرها هي سلبت عزم وتصميم رجل مثل يودل . وطبعاً ، كانت تنقصه الروحية أيضاً ، التي أثارها وحركها فيما بعد بتقـديم استقالته .

وكان يودل لا ينفد صبره مع هتلر الا نادراً ، واذا حدث له ذلك فانه كان ينفس عن استيائه بخشونة وفظاظة البافاريين ، وبصورة عامة، كان يودل رجلاً وجندياً يختلف عياره عن كايتل أشد الاختلاف. لقد اعتقد بمواهب هتلرالسوقية في البداية،ولكنه أدرك في خريف ١٩٤٢ ،عندما نشأت الخلافات حول الحركات الشاذة في القوقاز ، أين كان هتلر يقودهم . ومنذ ذلك الحين أخذ يكافح كفـاحاً

عنيفاً في سبيل الحلول الصحيحة ويطالب باحتياجات الجبهة بقوة وصلابة، وكان يودل المرجع الوحيد لقادة جميع ميادين الحرب المختلفة ولعرض احتياجاتهم عليه. ومع ذلك قلما كان له أي تأثير في هذه الناحية .

لقد تحمل اعوان هتلر عبئاً ثقيلاً من الذنوب، أولئك الذين لم يجدوا وسيلة أجدى لهم، من هز الرؤوس بحماس وعبارات الاستحسان، لتأييده وتعظيمه فيما يقول. وكان هؤلاء التعساء الذين فقدوا كل مسؤولية وزمالة قد أساءوا الى القطعات المقاتلة وقادتها اشد الاساءة . وانها لخطيئتهم حين كانوا يهللون ويهتفون ، لأن ذلك قد شجع هتلر وجعله يعتقد بأنه معصوم من الخطأ وأن إرادته تعمل المعجزات . والدمار الذي نتج عن هؤلاء الأقزام أكثر بكثير مما ظهر وبان . وعلى كل ، فان هؤلاء لم يكونوا من الجيش .

نفوذ الجيش في الحرب

كانت ألمانيا قوة قارية ، وقد فرض عليها موقعها المركزي في أوربا ان تقاتل في حالة الحرب على أرضها في البداية . ولهذا السبب كان الجيش يلعب الدور الرئيسي في القوات المسلحة دائماً . وعندما ظهر البعد الثالث ، وتشكل السلاح الجوي Luftwaffe كصنف ثالث للقوات المسلحة ، وصار يتحمل مسؤوليات جسيمة ومهمة في إطار الدفاع العام . وأصبح الجيش والبحرية بدونه عاجزين لا يعملان ، وأضحت المعركة البحرية والأرضية مستحيلة بدون تعاون القوة الجوية معها . الا ان هذه الحقيقة لا تقلل من اهمية الجيش الألماني في الحرب العالمية الثانية . والجيش فمن ناحية عدده فقط يؤلف اقوى قسم من القوات المسلحة ، ولذلك من العدل والمنطق ان ينتظر قادته ان يكون لهم صوت مسموع قبل اتخاذ أي قرارات هامة ذات نتائج عسكرية . ولكن هذا لم يحدث مطلقاً . فمثلا ، كان التدخل العسكري الرومي ضد بولندا عام ١٩٣٩ مفاجأة تامة لقيادة

الجيش العليا[1] . وأصدر هتلر أوامره بالانسحاب . وقد كانت هذه الأوامر في كثير من الحالات تسبب للقطعات الألمانية التي لاتزال تقاتل قتالاً مريراً، صعوبات خطيرة وتؤدي الى خسائر فادحة . وكذلك كانت OKH مرة أخرى وكأنها في ظلام دامس ، من خطة الحركات ضد النروج. ثم كانت الحادثات حول دخول ايطاليا الحرب التي لم يشترك بها الا مقر هتلر وحده . وكذلك كان شأن المعاهدة العسكرية مع ايطاليا ، والحلفاء الآخرين فيما بعد ، قد تمت بدون اشتراك قادة الجيش فيها .

كان اعلان المانيا الحرب على الولايات المتحدة مفاجأة تامة لقيـادة الجيش العليا (OKH) ، حيث ان القيادة العليا للجيش لم تشترك في اعطاء القرارات السوقية الكبرى خلافاً لما كانت تمارسه قبل عهد هتلر وخلافاً لما يجري في الدول الأخرى . وقد كانت تحتفظ في البداية كقيادة عليا في مجال عملها فقط ، وهي ادارة المعركة الأرضية . ولكن هذا أيضاً لم يدم طويلاً وتغير كل شيء تغييراً كاملاً . وقد بينا سابقاً بايجاز كيف كان هتلر يتدخل في حركات الجيش خلال حملة الغرب وفي روسيا . ويعتبر تشكيل ما يدعى OKW[2] بالقيادة العليـا للقوات المسلحة لميـادين الحرب ، أول خطوة في تحديد سلطات القيادة العليـا للجيش OKH . وشرعت هذه القيادة OKW بجعـل ميدان حرب النروج تحت قيادتها ثم تبـع ذلك شمـال افريقيا ، وايطاليـا ، وجنوب شرق أوروبا ، والغرب ، وهكذا أصبحت القيادة العليا للجيش OKH عام ١٩٤٢ تقتصر على قيادة الجبهة الشرقية فقط . وكانت القيادة العليا للقوات المسلحة OKW تستلم

---

١ – سيذكر مختصر OKH بدلا من عبارة قيادة الجيش العليا وهي مختصر العبارة الالمانية Oberkommando des Heeres .

٢ – مختصر الكلمة الالمانية Oberkommando der Wehrmacht : القيـادة العليا للقوات المسلحة .

أوامرها من مقر هتلر مباشرة. وكان واجب الجيش تأمين القطعات ، والمعدات ، والتجهيزات ، وكانت تعطي معلومات عـامة غير كاملة ودقيقة عن الموقف في ميادين الحرب الى القيادة العليا للجيش .

أما قطعات SS[1] ، وعلى رأسها هملر ، فقـد أخذت تزداد وتتسـع بصورة مستمرة ؛ وكانت في نهـاية الحرب تتألف من ٣٦ الى ٣٨ فرقة ، تعدادهـا ١٫٠٠٠٫٠٠٠ جندي وكان من ضمنها وحدات من أقطـار أخرى . وقد باءت جميع الاعتراضات الفنية التي كان الجيش يوجهها لهذه القطعات بالفشل التام . واذا كان هتلر في البداية يصاب بصداع وآلام حين يحاول تبرير تشكيل هذه الوحدات ، لكنه أصبح لا يكترث بذلك في النهاية .

وعندما نضب معين المتطوعين ، صار هــذا الصنف يعبأ تماماً وفق شروط الجيش ، وبذلك تأيدت رسمياً حقيقة جيش ثاني . ونقل اليه الجنود المدربون حديثاً ووحدات تقوية ممتازة من الجيش . وكذلك كانت البحرية والسلاح الجوي لا تنتهي طلباتها من الجنود الماهرين والمدربين . وهكذا أصبح أكبر قسم من القوات المسلحة . أما الجيش فكان عليه أن يقوم بواجبه بما تبقى لديه من قطعات .

لقد كنا نشفق اشد الاشفاق على الذين ينتمون الى قطعات SS بالنظر لما كانت تتكبده من خسائر فادحة وربما كان السبب هو ان مستوى ضباط SS في التدريب العسكري والممارسة اقل مما هو لدى ضباط الجيش ، ويصدق هذا بصورة خاصة من آمر وحدة فما فوق. ولا ينكر ان كثيراً من آمري SS أثبتوا شجاعة نادرة ، وان قطعاتهم غالباً ما كانت تحرز انتصارات معنوية باهرة ،

---

١ – تعني الـ SS (Schutzstaffeln) حرس هتلر ذوي القمصان السوداء ، وقد نظم كتشكيل خاص من الجيش .

ولكن من يدري كم كان ثمن ذلـك باهظاً ! ولا ريب ان خسائر وحدات SS كانت اعظم بكثير من خسائر الجيش ، واصبحت مشكلة تدارك اشخاصهـا تزداد سوءاً وحراجة نتيجة الخسائر الفادحة في الجبهة الشرقية منذ عام ١٩٤٢ وما بعدها .

كان جيش الاحتياط في موقف يساعده على سد هـــذا النقص، اما السلاح الجوي فكان يحتفظ بعدد كبير من الجنود الشباب الذين لم يستخدموا مطلقاً ، وكان غورنغ يعارض كل محاولة للاستفادة من هذا المعين . ومن بين الاسباب التي كان يدافع غورنغ عن هؤلاء لاجلها،هو انه كان «يخشى على جنوده من نقلهم الى ذوي العقلية الرجعية » . وربما كان السبب بأنه كان يحلم في استعادة التفوق الجوي ، او انه اراد ان يلعب دوراً في المعارك الأرضية على الأقل . مـــا دام السلاح الجوي لم يعتبر عاملا حاسماً في خطط الحرب الالمانية . وكان هتلر يؤيد غورنغ ، وهكذا كانت فرق الجيش المحنكة تحترق وتذوب بدلاً من ان تعزز وتقوى . وبدلا من زج هؤلاء الشباب بين القطعات المدربة المجربـة ، شكلت وحدات جديدة منهم لا علاقة لها بالسلاح الجوي ، وتم تشكيل ٢٢ فرقـــة ميدان للسلاح الجوي ، وزيدت القطعات المظلية . وتحولت « كتيبة حرس غورنغ » الى وحدة اطلق عليها الاسم البشع « فرقة هرمان غورنغ المظلية المدرعة » ، والتي اصبحت فيما بعد فيلقاً ، ولما كان جنود السلاح الجـــوي لم يتدربوا على تعبئة المشاة الحديثة لذلك كان استخدامهم خاصاً ومحدوداً. وكانت فرق السلاح الجوي ينقصها الضباط ، وكانت النتيجة المؤسفة التي لا بد منها ان هذه الوحدات كانت تتكبد الخسائر الفادحة ايضاً . ولم تسلم هــذه الفرق الى الجيش إلا في سنة ١٩٥٤ بعد ان فقد غورنغ كل سيطرة وتأثير عليها وبعد ان اصبحت فرقاً ضعيفة مهلهلة في تشكيلها ومعداتها ، واسلحتها ، وبات لا ينتظر منها شيء سوى انها فرق مشاة .

كان غورنغ يحتفظ بالسيطرة على القطعات المظلية حتى آخر لحظة ، والتي توسعت حتى بلغت عشر فرق بمجموع قوتها ٢٥٠,٠٠٠ جندي ، وكان الجندي المظلي لا يعدو عن كونه جندي مشاة ينقل جواً ، وكانت سيطرة وقيادة غورنغ لهذه القطعات التي اخذت وشكلت من الجيش لا تبررها اي صفة فنية ، خاصة وانها لم تمارس حتى القفز بالمظلات ولذلك كانت فرقاً مظلية بالاسم فقط ، عدا فرقتين ، منها حيث كانت بمستوى عال جداً وذات قيمة عسكرية ممتازة .

لقد قاتلت جميع فرق SS والسلاح الجوي في ميادين الحرب المختلفة ضمن اطار الجيش . وكانت حتى عام ١٩٤٤ ، اعلى سلطة في الجبهة ، لهذه القطعات هي قيادات الفيالق . ثم شكلت قيادة جيش لكل منها ، قيادة لسلاح SS وقيادة لقطعات المظلات . وكانت قطعات SS والتشكيلات الارضية للسلاح الجوي تحت قيادة سلطات الجيش المحلية من الناحية التعبوية فقط ، ومعنى ذلك انها تستلم الاوامر في ميدان المعركة . وحيث كان على كل فرقة ان ترسل تقريراً يومياً الى غورنغ او هملر ، كثيراً ما كان هذان الرجلان يتدخلان تدخلا مشيناً ضاراً في قيادة الحرب في الجبهة . كانا يصغيان لأوامر هتلر ، وكثيراً ما حدث ان اصدر هتلر بانسحاب SS او السلاح الجوي من الجبهة بدون استشارة مع قائد الجيش ، ولذلك كان على جحفل الجيش ان يملأ الفراغ او الفتحة التي حدثت من جراء ذلك .

كانت سلطة الجيش على وحدات SS والسلاح الجوي لا تتعدى الناحية التعبوية . واما قادة جحافل الجيوش والجيوش فلم تكن لديهم اي سلطة على مراتب السلاح الجوي ، البحرية ، او SS . ولا باتخاذ الاجراءات الانضباطية او تشكيل المجالس التحقيقية ، وكان لا يسمح حتى لفيلد مارشال الجيش ان يعاقب جندياً من هذه القوات حتى بيوم واحد اعتقال ثكنة ، ولم يكن لسلطات

الجيش إلا اخبار غورنغ او هملر ، وهذان هما اللذان يقرران اتخاذ الاجراءات او عدمها . ولم يكن للجيش بعد سنة ١٩٤٢ اي كلمة في منح الاوسمة ، وكان يتقرر على قائد الجيش الغاء تعيين رجل من هذه الوحدات لعدم صلاحيته وملاءمته .

ان هذا الموقف المرعب ظل مخيما ولم ينقطع حتى ربيع ١٩٤٥ ، حيث تحطمت سلطة هملر ، وتبدل الموقف ، واصبح الارتباط مع القيادة العليا التي تميزت بعبارة « بعد فوات الاوان » كما مر ذكره سابقاً ، وفي مثل هذه الظروف والحالات كان قائد الجيش تساوره شتى الأحاسيس ، حين يستلم تحت قيادته قطعات من سلاح SS ومن السلاح الجوي خاصة وان تلك الفرق كانت اقوى بكثير من فرق الجيش ومجهزة تجهيزاً افضل ، وكان كثير من ضباط ركن الـ SS الممتازين يرغبون كبعض مراتبهم الانتماء الى الجيش ، ولكن هملر وطرق تدريبه قد خلقت عداء شديداً الى الجيش ونظرته .

وقد امتدت تحديدات سلطات الجيش حتى شملت سلطاته في المناطق المحتلة . فكان كل جيش يشترك في المعركة تجدد له منطقة حركات حسب ما جاء في النظامات ، وكانت لا تتجاوز عمقها خمسين كيلو متراً ، وفي هذه المنطقة فقط يمارس قائد الجيش سلطته التنفيذية . وكان هتلر يقلل هذه المنطقة بصورة مستمرة . حتى اصبح عمق منطقة القتال على الجبهة الشرقية يحدد بعشرة كيلو مترات تقريباً ، وكانت جميع المناطق الخلفية في روسيا تحت سلطة كوميسارية الرايخ المدنيين ؛ وكانت بولنده تحت قيادة حاكم عام وهو رجل مدني . وهكذا كانت النروج ، والدنيمارك ، وهولاندة ، واليونان يديرها موظفون غير عسكريين ، وكانت الادارة العسكرية التامة هي في فرنسا ، بلجيكا ، ويوغوسلافيا ، وكانت هذه السلطات العسكرية غير مسؤولة تجاه القادة الذين هم في الجبهة وانما لهتلر بصفته القائد العام للجيش .

وكانت سلطات قائد الجيش محدودة جداً حتى في اصغر منطقة حركات ، ولا يتمتع بالسيادة فيها . وكانت الشرطة ، كوحدات SS مسؤولة تجاه هملر فقط . وكانت خدمات الأمن SD [1] والجستابو تستلمان الاوامر منـه للقيام باعمالها الدنيئة .

وكانت هناك منظمات اخرى دوائرها المركزية في المانيا ولكنها كانت مبثوثة بكثرة في هذه المناطق ، وكانت جحافل الجيش تجهل كل شيء عن هؤلاء ولا يعرفون عملها ؛ وكثيراً ما كانوا لا يعرفون بوجودهم ، ولم تكن للجيش سلطة على الشرطة ، وموظفي السكك واعضاء منظمة تود وكذلك السلاح الجوي ، والـ SS ، وكانت السلطة الحقيقية في منـاطق الحركات تنحصر في النواحي الادارية ، وتلتهي عند الحدود الخلفية لقطعات الجيش المقاتلة ، امـا الاشخاص الآخرون في المنطقة فكانت لهم سبلهم وارتباطاتهم ومحاكمهم الخاصة بهم ، وكانت الشرطة السياسية تقوم بجميع الاعمال ، كالاستثمار الاقتصادي ، والاجراءات الثقافية ، وتسخير الشعب للعمل ، وكانت جميع هذه الاعمال من واجبات القوات المسلحة ولكنها سحبت منها وانيطت بالمنظمات السياسية . وقد ثبت بأن سكان المناطق المحتلة كانوا يشعرون بطمأنينة ويحيون حياة افضل عندما تكون الادارة على عاتق الجيش [2] ، وقلمـا يتعرضون لاعمال تعسفية وقد شهد بذلك كثير من الشهود . وثبت بان الذي كان يرتكب الجرائم المرعبة ويقوم باعمال السلب والنهب ، ومعاملة السكان معاملة العبيد والسطو على الكنوز

---

١ – SD (Sicherheitsdienst) خدمة أمن الـ SS .

٢ – سيطر الفاتحون على جميـع الأضابير الالمانية ونذكر واحداً منها . صدر أمر من القائد الاعلى في الغرب في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٤٤ ، للتهيؤ لهجوم الأردينز . واستشهدت به المحكمة الاميركية في نورمبرغ ، ومبين فيه ادنى كمية من الأرزاق والطعام للسكان غير العاملين من بلجيكا ولكسمبرغ وكانت كما يلي : ٣٢٠ غرام خبز ٥٠ غرام لحم ١٥ غرام سمن ٢٠ غرام سكر ٣٠ غرام مربى ٩٠٠ غرام بطاطه ٣٠٠ خضراوات في كل يوم .

النفيسة الخ . كل هذه الاعمال التي اساءت الى سمعة الالمان كانت في الحقيقة من اعمال منظمات الحزب وليس الجيش . حتى ان المحكمة العسكرية البريطانية اوعز اليها ان لاتنسى بأن القادة ذوي المناصب العالية كانوا اقل معرفة بما يدور ويحدث في المنطقة التي يسيطرون عليها ، من اشخاص اقل منهم مكانة وقدراً ، وكان منتسبو SD يحرصون اشد الحرص على اخفـــاء جرائمهم عن القوات المسلحة Wehrmacht .

وقد ثبت انه لم تكن لقيادة الجيش أي سلطة على منتسبي SD او الشرطة وغيرها . الا ان محاكم الحلفاء حاكمتهم وادانتهم كمجرمي حرب . بسبب غـلو وتطرف هؤلاء في اعمالهم ، ولا يسعنا الآن نقد اجراءات هذه المحاكمات بصورة مفصلة وانما يحتم الواجب تركها لأقلام اكثر خبرة واختصاصاً . ولكن لا بد لي من ذكر الملحوظات التالية :

كانت المحاكمات العسكرية تتعلق بحوادث حرب الانصار الشاذة على الجبهـة الشرقية والجبهة الجنوبية الشرقيـــة . وفي الحقيقة كانت الاحوال في روسيا ويوغوسلافيا تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه في الجبهات الاخرى والتي لا يمكن ان يقدرها إلا اولئك الذين شاهدوا الاوضاع بأعينهم ، اما المنتصرون الغربيون فلم يواجهوا مثل تلك الاوضاع بأعينهم ، لقد دعى ستالين شعبه « الى ابادة الغزاة الفاشست ابادة تامة » وقد تبين من التقارير الروسية ، ان الانصار وحدهم قتلوا ٣٠٠،٠٠٠ الماني في قاطع واحد من الجبهة خلال سنتين ، وقـــد يكون في هذا الرقم شيء من المبالغة ، ولكنه يحتوي على قدر من الصحة تكفي لتصوير قسوة وصرامة الحرب في الشرق . وقد يكون العامل المساعد في هـذه الاحكام هو ان القضاة كانوا لا يدركون ان السلطة الانضباطية والمحاكم العسكرية يصيبها فتور وانحلال واهمال وقت الحرب . وكانوا في بعض الحـالات يبدأون في محاكماتهم على فرض ان كثيراً من الجرائم التي ارتكبت في المناطق المحتلة لا

يمكن ان تبقى مكتومة مختفية ، ولذلك يبدو لهم ان القادة قد اغمضوا اعينهم عن قضايا كانوا يفكرون بعدم امكان الحيلولة دونها ومنع حدوثها ، ولذلـــك اعتبروا مذنبين بسبب هذا الاهمال . وقد ثبت ان بعض الافراد ادينوا بهـــذه الطريقة وكان دفاعهم بأنهم كانوا لا يفكرون لضعفهم وعجزهم ، وهـذا ليس بعذر . ولكنه كان من المؤكد بأن كل قائد جيش او جحفل جيش لم يكن مذنباً لارتكابه هذه الجرائم . وان اتهام السلطة العسكرية لهؤلاء الرجال فيه من الشدة والصرامة لأنه موجه ضد ارادتهم ولتدمير الشعب الالماني والى سكان الاقطار المحتلة .

اما الاحوال في الجبهة الداخلية ، أي في المانيا ، فكان وكيل القائد العام للجيش ، وجميع ضباط القيادات المختلفة ، ذوي سلطة تنفيذية في الاحوال الطارئة . وعلى ضوء سياسة هتلر بدا من المنطق أن يجردهم من هذه الوظيفة ويقلدها للدخلاء على الجيش Gauleiters وقد أعطى هؤلاء لقب « كومسارية الدفاع عن الرايخ » . وكانت تمر هذه التطفلات على الجيش بدون أي تعليق . وبعد ٢٠ تموز من ١٩٤٤ غدا هذا التدخل لا يجوز التسامح معه .

ان واجب قيادة القوات المسلحة الرئيسي في الحرب هو ملاحظة الاحتياجات اليومية ، وهذه الاحتياجات تصدر وصايا عامة من وقت لآخر لارشاد الخدمات المختلفة ، ثم يفسح المجال لهم لانجاز العمل حسب تلك الوصايا ، وهـــذه خير وسيلة عملية للتعبير عن طريقتهم الخاصة . ولا تتدخل القيادة العليا إلا اذا رأت ما يبرر هذا التدخل كالابتعاد عن أغراضها او ان الحركات اصبحت في خطر .

واذا كان تدخل هتلر كثيراً وفي غير محله خلال صيف وخريف ١٩٤١ في شؤون القائد الاعلى للجيش ، نرى انه قد اصبح مستمراً وكثيراً بعـــد تنحية براوشش ، ووضع نفسه في قمة الجيش ، وبذلك حطم ، وربما كان ذلك حسب خطة وتصميم ، كيان القيادة العليا للجيش. ورقى رئيس مساعديه الذليل وجعله رئيساً لدائرة مراتب الجيش Head of the Army Personnal Office وبذلك تسنى له السيطرة على جميع مراكز ومناصب الضباط في الجيش. واضحى

رئيس اركان الجيش مسؤولا عن التدريب والتنظيم والتجنيد فقط . وصار لا ينظر إلا في القضايا السوقية الخاصة بالجبهة الشرقية فقط .

ولكنه حتى في هذه الجبهـــة لم يكن سوى اداة منفذة . وعندما جاء زايتزلر Zeitzler خلفاً لهالدر في خريف ١٩٤٢ ، اصبح رئيساً لاركان الجيش بالاسم . ولم يكن في الواقـــع سوى رئيس اركان الجيش في الجبهة فقط ، وقد جاء بعده بعد حادثة ٢٠ تموز ١٩٤٤ كودريان Guderian ، وهو الوحيد الذي « تمتع بالواجبات » ولكنه لم يمنح المنصب ، ومن ذلك يبدو ان هتلر كان يتلاعب في سبيل حل الاركان العامة . وانه كان يغتنم الفرصة الملائمة . وقـــد رأينا بعد تنحية هالدر لاختلافــه الشديد مع هتلر في مارس ١٩٤٥ ، قد عين ضابطاً للتجهيز فقط خلفاً له ، اما تجهيز الجيش بالعتاد فقد انيطت منذ عـــام ١٩٤٠ بأيدي اعضاء من الحزب كتود وبعده شبير Speer ، واسند مسؤولية جيش الاحتياط الى كايتل ، وهكذا فقد الجيش السيطرة بصورة عمليـــة على احتياطه وتدريبه . وقد منح كايتل مسؤوليات اخرى من مسؤوليات القائد العام للجيش ، وعندما اصبح هملر مسيطراً على جيش الاحتياط بعد مؤامرة ٢٠ تموز ١٩٤٤ الفاشلة سحبت جميع تلك السلطات الضعيفة من كايتل . وجمع هملر في يده السيطرة على الجيش والشرطة معاً في داخل المانيا . وفي النتيجة يمكن القول ان القائد العام للجيش ورئيس اركان الجيش لم يعـــد لهما وجود بالمعنى الصحيح العسكري منذ خريف ١٩٤٢ . ولما كان هتلر لا يحتفظ لنفسه بجميع القرارات الهامة ، فقد خول كايتل « ادارة » جميع قضايا الجيش الهامة كوكيل عنـــه . وكانت الخطوة الحاسمة التي اتخذت في بداية ١٩٤٤ للقضاء على سلطة القادة هي اشراك « ضباط القيادة للحركة الاشتراكية » ، وكانوا نوعـــاً من القوميساريين السياسيين ، في كل قيادة من قيادة فوج فما فوق . وقد اتخذ هـــذا الاجراء في جميع الصفوف ، ولكنه كان موجهاً لقيادة الجيش بصورة خاصة ، لأن هتلر كان يشك في « ايمانهم بالنازية » .

واذا كان هناك أمل للتفاؤل حول العلاقات بين هتلر وقيادة الجيش لتصبح أكثر ودية لكونه قد اصبح الآن رئيساً لهم سرعان ما تبدد هذا الأمل وخاب، وأصبح هتلر يتخذ القرارات ضد الجيش دائماً ، سواء كانت قرارات الحركات ، وقضايا الاحتياط ، وقضايا الاوسمة ، وحتى تجهيز الجيش بالملابس، وبهذا العمل كان في الواقع يقرر ضد نفسه ، وكان لا يدرك ذلك ، لأنه كان من طبعه ان لا يدرك خطأه بنفسه مطلقاً ، وانما بواسطة هؤلاء الذين ينفذون اوامره ، وكان يحاول ان يرى ، ويجد المذنبين منهم دائماً ، « ويدعوهم للحساب » ولكنه كان لا يوجه هـذا البحث والتنقيب الى نفسه وقلبه .

لقد كان موقف البحرية والسلاح الجوي يختلف كل الاختلاف لأن عملهم ونجاحهم او فشلهم في البحر او الجو ، لا يؤثر تأثيراً مباشراً كما كان لمعركة الجيش ، ثم اذا كانت حمولة البواخر التي تغرق ، او عدد الطائرات التي تسقط مغايراً لما نشر واذيع ، فليس هناك احد يريد معرفة ذلك،اما اذا استسلم موقع في الجيش، او حتى اذا استسلم بضعة جنود ، فلا يمكن اخفاء ذلك عن القادة بل ويجب اطلاعهم .

كانت البحرية والسلاح الجوي تحتفظان كل منهما بقائدها الاعلى وبضباط قيادتهما ، وقلما يحدث تغيير فيهما ولذلك بقي تركيبهما سليماً قوياً. وكان غورنغ ودونيز بعد تنحية ريدر ، من الشخصيات التي « يعتمد » عليها ولهـذا السبب سلمت تشكيلاتهما من المضايقات والاغاظات . واحتفظت بحرية العمل والحركة في مجالها الخاص ، وكان كل من غورنغ ودونيز يتمتع بالمبادأة الـتي منحت له ، ولهذا كانا غالباً ما يعملان اعمالا لا ضرورة لها وعلى حساب الجيش . لأن الجيش كان يفتقد السلطة المركزية التي تمثله ، واصبح الجيش يتيماً . وان نتائج حملات التشهير الدنيئة التي كان يقوم بها غورنغ أحياناً ، وهملر دائماً ضد قادة

الجيش في الجبهة لم تكن فاشلة بل كان لها اكبر الأثر في الحط من قيمة هؤلاء في نظر هتلر .

ويكفي ان استشهد بمثلين لتصوير اساليب غورنغ وضعف تفكيره في القضايا العسكرية . الأول في عدم تمسكه بوعده بنصيحة رئيس ركنه وقائد الجبهة المحلية ريختهوفن Richtofen بامداد وتجهيز الجيش السادس في ستالينغراد من الجو[١] . ولكنه لم يأبه بهذه النصائح والتحذيرات مطلقاً ، لأنه كان عليه ان يجمع قوات النقل الجوي ويعيد تجهيزها وان تكون جاهزة قبل بداية النقل الجوي اذا تحقق بأسبوعين على الاقل ، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك . وبهذا ارتكب افظع اساءة لأنه أيد هتلر في عزمه على ترك القطعات هناك .

ولعل خير مثال على سطحيته هو تبجحه في الخطاب الذي القاه في مارس ١٩٤٣ ، حين قال ان باستطاعته قذف ايزنهاور من شمال افريقيا خلال بضعة أيام ، اذا أسند اليه هتلر القيادة العليا في البحر الأبيض المتوسط لمدة اربعة وعشرين ساعة !

وكان دونيز ايضاً يتحيز لمصلحة البحرية، ويعتبر مسؤولا عن اضرار الجيش مراراً ، ولكنه مع ذلك كانت اساليبه تختلف عن اساليب هملر وغورنغ .وفي مارس ١٩٤٤ اوضح لجنوده كما جاء في نشرة يومية ، انه اقنع هتلر بوجوب احتلال شبه جزيرة القرم .

وكانت نتيجة ذلك ان الانسحاب لم يتم في الوقت المناسب وادى ذلك الى فقدان الجيش السابع عشر بكامله . ومرة اخرى ، القرار السخيف الذي ينطوي

---

١ - فقد الجيش الالماني ٢٢ فرقة في ستالين غراد ، وكان معظمها ذا مستوى جيد ، وكان من بينها عدة فرق مدرعة Panzer وتشكيلات آلية ، وكانت ذات تأثير فعال على الجيش بحيث لم يستطع بعدها استرجاع قوته .

على فقدان الشعور ، وهو ترك جحفل جيش بكامله في لاتفيا ، تحديـــاً لمطالب كودريان الملحة والمتكررة، وصرح دونيز ان منطقة بحرلتفيا ضرورية لتدريب مـلاحي الغواصات . ورفـض ايضاً طلب روندشتيت في ترك السـاحل الهولندي لأن البحرية ادعت انها تحتاجه لأسباب سوقية بحرية .

ويتضح من ذلك ان الجميع كان بامـــكانهم السير في طريقهم بسهولة ويسر اكثر مما كان الجيش . واذا كان هتلر احياناً يوافق على تلبية بعـض مطاليب قادة الجيش ، فانه سرعان ما يبدل رأيه حال وصولهم الى الجبهـــة ، ومهما يكن ، فان الشخص الذي كان يستطيع ان يؤثر عليه هـــو آخر شخص يتحدث معه .

وليس من الغريب ان نرى الصنوف الأخرى من القوات المسلحة تتهرب ولا تريد الانضواء تحت قيادة الجيش في الجبهة . ولهـــذه الاسباب ايضاً لم يتحقق توحيد القيادة في ميادين الحرب المختلفة . ولم يتمكن حتى رومل ، في شمـــال افريقيا او في أي محل آخر ، من ان يجعل السلاح الجوي والبحرية تحت قيادته. والاستثناء الوحيد من ذلك هو ما حدث في ايطاليا ، حيث توحـــدت القيادة لفترة قصيرة.عام ١٩٤٣،حينما وضعت الخدمات الثلاث تحت قيادة الفيلد مارشال كسرلنغ.وكانت تلك الحالة تصور الموقف العام اصدق تصوير،فهذا الاجراء لم يدم إلا بدوام كسرلنغ بقيادة السلاح الجوي ، وقد استطاع غورنغ بجهوده الغاء هذا الارتباط للسلاح الجوي فيما بعد ، وفي وقت كانت الحاجة ماسة اليه . أي عندما اصبحت ايطاليا نفسها ساحة المعركة .

وبعد ذلك بقليل وضعت الوحدات البحرية المخصصة للحرب الايطالية ثانية تحت قيادة دونيز المباشرة . وصار من الآن وما بعده يطلب من القوات الجوية

والبحرية ان تتعاون مع الجيش ، وان على القائـد العام لجحفل الجيش ان يبين رغباته ، وان لا يعطي الأوامر اليها مباشرة .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان قادة الصنوف الاخرى للقوات المسلحة بذلوا كل جهد لانجاز جميع طلبات الجيش في جميع الجبهات ، ولكن مثل هـذا التطوع الاختياري في التعارن كان ذا قيمة محدودة بل كان غير كافٍ في الحالات الطارئة وهناك كثير من الامثلة على هذه الاجراءات الناقصة وما يتسبب عنها من صعوبات اثناء التطبيق .

والآن قد حان الوقت للاجابة عن السؤال الذي برز في الفصل الأول وهو لماذا كان الجيش مجرداً من سلطته بالرغم من تضحياته العظيمة وانجازاته الرائعة. ان سبب هذه الحقيقة الجائرة المفزعة ينطوي في شخص القائد العام فقط .

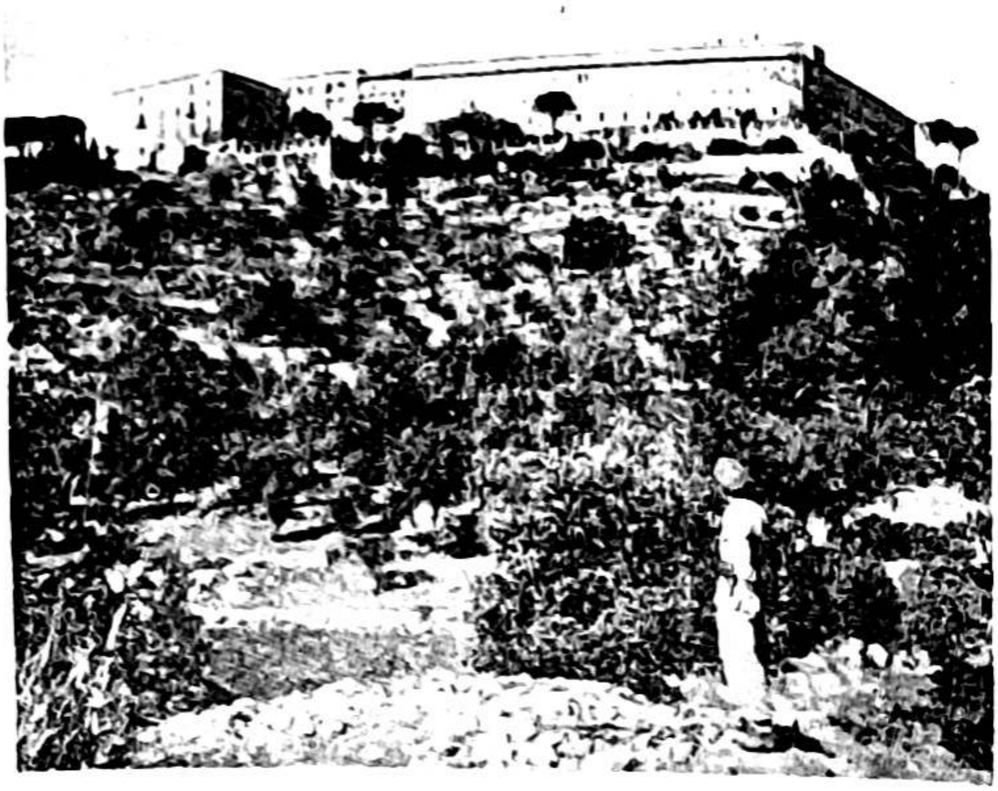
كان هتلر لا يثق بالجيش ، ولا بضباطه ، وكان لا يثنيه شيء عن شكه الدائم في قواته القوية المحافظة . وقد خاب أمله كثيراً في ان لا يجد من الجيش ذلك الاعتقاد الاعمى الذي تعرد ان يراه من موظفي الحزب ، وكان يدرك ان جميع الضباط كانوا لا يؤيدون قيادته القاسية للحرب ، وكانوا يحاولون الحفاظ بكل قواهم على تقاليد الجيش الالماني القديمة . وكان لا يتحمل الاعتراضات والخلافات المستمرة لانها تحول دون الوصول الى غاياته ، ولذلك عمد الى تجريد الجيش من سلطته في الحرب ، ولذلك ايضاً دعى نفسه بالقائد العام ، ثم انشأ سلاح SS ليصبح جيشاً ثانياً ، وهذا هو السبب الذي سمح لغورنغ بتشكيل قوات ارضية مسلحة . وكان هو السبب ايضاً في تشكيل القيادة العليـا لميادين الحرب OKW وبذلك لم يجعل القيادة العليا للقوات المسلحة في قبضة اركانـه الشخصيين فحسب بل تحت القيادة العليا لجيش ثانٍ . وبهذه الطريقة قضى على قيادة القوات المسلحة نهائياً ، وعلى أي عنصر من عناصر القيادة التي يمكن ان



الفيلد مارشال فون روندشتيد في ١٩٤٤

فون روندشتيد يعطي أوامره الأخيرة قبل غزو الأردين . والجنرال وستفال يقف إلى جانبه ؛ وفي أقصى اليسار يقف الفيلد مارشال مودل





مونت كاسينو كما يُرى من الاسفل



منظر للدير من الأعلى

تحسب وتقدر حاجيات القوات المسلحة وميادين الحرب المختلفة ، وهذه القيادة الجديدة OKW لا تصدر الاوامر إلا الى الجيش ، بينما كانت البحرية والسلاح الجوي لا يرتبطان بهذه القيادة وانما كان لهما طريقهما الخاص بهما وكان القائد العام لكل منهما هو الذي يذهب لتفتيش بما دعيت « قرارات الفوهرر » وقد رفضا رفضاً باتاً السماح لكايتل او يودل ارسال الاوامر عن طريقهما .

ومع ذلك لا يعني هذا ان قادة الجيش كانوا يتقبلون كل شيء بالرضى وعدم المعارضة ، وانهم كانوا يؤدون التحية وهم قائلون « يا فول » نعم سيدي ولو كان الأمر كذلك لما كان هناك عذر لدى هتلر في عدم الثقة بهم ، وفي اظهار حقده وبغضه لهم وفي مراقبتهم وتحديد سلطتهم الى ابعد الحدود . وكان القادة الذين يشعرون بالمسؤولية – ومعظم هؤلاء – لم يستسلموا بسهولة في هذه المعركة. فقد كانوا يدافعون عن آرائهم وعقائدهم كلما سمحت الظروف بذلك . لأن صراعهم كان صراع موت او حياة ، وكانوا بالطبع يعتقدون بان هناك حدوداً لمقاومتهم ومعارضتهم لهتلر وهي الطاعة العسكرية التي يحتمها الواجب عليهم . والتي كانت في نظر مونتغمري سليمة . وكان جميع الضباط بما فيهم القادة ملزمين لاداء الخدمة في نظر القانون ، وليس باستطاعتهم الامتناع عن اداء الخدمة كما هو الحال للجندي الاعتيادي او الجندي الاحتياطي ، واذا وجه اليهم اللوم والحساب لأنهم لم يلقوا اسلحتهم ، فمن الأوفق ان يوجه نفس اللوم الى العلماء والمخترعين الذين عملوا في سبيل المجهود الحربي، والى عمال الاعتدة ورجال السكك الخ . لأنهم لم يقوموا بالاضراب ، ولكن الحقيقة ان حظهم دفعهم ان يسلموا كما سلم الشعب الالماني بكامله، ويصبحوا في قبضة يد رجل يحسن الاستفادة من الاخلاص ، والعقيدة ومن الجهل السياسي للشعب وعدم تمرسه فيها .

والدليل على ان قادة الجيش لم يكونوا كلهم كالعميان رجال – نعم Yes - men – يظهر في الارقام التالية : من بين الـ ١٨ فيلد مارشال في الجيش، تسعة منهم أبعدوا عن مناصبهم الواحد بعد الآخر .

واذا كان حريصاً في البداية على عدم اراقة الدماء ، فانه جعلها تجري انهاراً بدون أدنى شك او حيرة . واذا كان قد اصبح يكثر من الحديث عن الهجمات المركزة ، نجد انه هو الذي بعثر قواته وقدمها لقماً سائغة على خمس جبهات مستقلة متفرقة ، ومن الواضح ان قواته كانت لا تكفي حتى لجبهة واحدة . واذا كان ينتقد الجيش الالماني في الحرب العالمية الأولى لأنه كان منهمكاً في اربع سنوات في حرب موضعية ، اصبح يرتكب نفس الخطأ حين وضع خطته لاكتساح روسيا في ضربة واحدة ولم يتحقق ذلك طبعاً . لا بل اغرق جيشه في لجة أعمق ، وجعل جيشه على عكس ما كان سنة ١٩١٤ – ١٩١٨ يخوض معركة دامية قاتلة ، كانت في الاساس عديمة الجدوى والفائدة . وهكذا افلتت من يده فرص ربما كانت تؤدي الى نتائج حاسمة. ثم انه فتح الحرب الجوية على بريطانيا بعد تردد طويل ، ولكن باهداف خاطئة . فلم توجه على لندن ، وانما على شرايين بريطانيا ، كموانىء التجهيز التي اصبحت اهدافاً للقاصفات الالمانية ، ثم ادرك ضعف الامبراطورية البريطانية في البحر المتوسط عام ١٩٤٠ – ٤١ ، ولكنه لم يغتنم هذه الفرصة الفريدة بتوجيه بضع فرق ، وقوة كبيرة من الطائرات ، ويجمع كل ما يتيسر من القطع البحرية الخفيفة ويستولي بها على مالطة والسويس . وعلم كذلك ان محاولة التغلب على القوة الجوية البريطانية قد باءت بالفشل ، وكان عليه ان يدرك مدى خطورة ذلك في المستقبل ، ومع ذلك أفسح المجال للوقت الثمين الذي لا يعوض ان يمر سريعاً . اما توزيع الفولاذ كما بينه هو سنة ١٩٤١ وحسب الاسبقية فكان : القوات المدرعة Panzers ، الغواصات U-boats ، الطائرات بينما لم يقتنع إلا في بداية ١٩٤٤ بأن الخطر المميت هو من تفوق العدو الجوي . بينما أفسح المجال للتضحية بأعز ما يملك من السلاح الجوي وملاحيه ومعلميه ، في عمليات تموين القطعات المحاصرة جواً والتي وقعت في الحصار نتيجة عدم كفاءته في القيادة . وكان يدرك تمام الادراك ان من اهم الأمور للقيادة هو تيسر منطقة واسعة تكفي لاكتساب الوقت في

سبيل اختراع وتطور اسلحة جديدة ، ولكن الذي قام به هو عكس ذلك تماماً ، فبدلاً من ان يجعل قواته كاملة صحيحة جعل جيشه يستنزف دماءه حتى الموت في دفاع خائب لا فائدة منه ، وهكذا تقوض وتحطم عام ١٩٤٤ .

لقد كانت الفترة ما بين ربيع ١٩٤٤ وحتى النهاية فترة عصيبة لأن الجيش الالماني كان يواجه خلالها معركة الموت . وكان الهجوم الروسي الصيفي يكيل الضربات ويوجه الموت والكوارث والنكبات للجيش الالماني الذي لم يواجه مثلها في الماضي . وكان جحفل الجيش يذوب ويتلاشى في الجبهة الشرقية الواحد بعد الآخر . اما في الغرب فكان التفوق الجوي الساحق سبباً في نجاح الغزو ، وكانت قواتنا في ايطاليا ضعيفة جداً بالرغم من صلابة وشدة المقاومة ، وفي البلقان كان قسم كبير من الجيش منهمكاً في معركة لا تؤثر على نتيجة الحرب في قليل او كثير ، بينما كانت هناك قوات كبيرة عاطلة في النروج .

لقد اتسعت شقة الخلاف بين هتلر وقادة الجيش الالماني واصبح رتقها وتسويتها متعذرين نتيجة للصراع والخلاف المستحكم بين التفكير الجامد والتفكير الصريح المجرد ، بين الموضوعية الرزينة العاقلة وبين الخيالات والاحلام ، بين التفكير والحساب المنطقي المبني على الحقائق وبين محاولة اقحام الحقائق وملاءمتها للرغبات المستحيلة. لقد كان كل عسكري الماني مفكر في الم نفسي ممض لأنه كان ليس بالامكان تجنب الفاجعة والكارثة العسكرية المحدقة بهم بينما يرى كل شيء يبدد ويضاع بلا نتيجة او فائدة .

ولأن شعار « الرايخ الثالث » . « الموت للاختصاص » وخاصة اذا كان

عسكرياً ، ولم يؤمن بهذا الشعار هتلر وحده وانما كل قائد حربي يعتقد انه ذو قابلية لاعطاء قرارات صحيحة في جميع القضايا المتعلقة بادارة الحروب ، وتفوق قابليات قادة الجيش قاطبة . ولهؤلاء الحزبيين السوقيين نذكر لهم قول الرومان القديم :

Dulce bellum inexpertis

ويعني الجهل المطبق بفنون الحرب وهو خير ما ينطبق عليهم .

★

القسم الثاني

قيادة الجيش في ميادين الحرب الثلاثة

٤

في الغرب ١٩٣٩ - ١٩٤٠

هل كان الجيش متهيئاً للحرب ؟

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية بعد اكثر من خمس سنوات على بداية اعادة التسليح الالماني . وقد خاضها الجيش الالماني بقوة مؤلفة من ٩٨ فرقة - عدد كبير ولا شك - ولكن ماذا كانت حقيقة تلك الفرق؟.. كانت اثنتان وخمسون منها فرقاً فعالة (خط أول) ، وخمس عشرة فرقة احتياط (خط ثاني) وواحد وعشرون من المليشيا (خط ثالث) ، وعشر فرق مستودع (خط رابع) . كانت الفرق الفعالة تؤلف اكثر من نصف الجيش ، وكانت متهيئة للقتال، وكانت اثنتا عشرة فرقة منها آلية ، اما الفرق الباقية وعددها ست واربعون فكانت غير مهيئة وتختلف اختلافاً كبيراً عن الفرق الأولى ، فكانت تشتمل على عشر فرق من الخط الرابع التي شكلت من افواج وبطريات جيش السلم ، وكانت قدرتها على القتال محدودة ، اما الفرق الباقية وعددها ست وثلاثون فكانت من الاحتياط والمليشيا ولا تصلح للخدمة مطلقاً بالرغم من انها كانت مجهزة بنفس تجهيز فرق المشاة الفعالة .

كان تجهيز قوة المليشيا وعددها واحد وعشرون فرقة دون المستوى المطلوب بكثير . وكان لا يوجد في كل فرقة سوى ثلاث بطريات مدفعية فقط ، وكانت

الفرق لا تزال مجهزة برشاشات بطيئة الرمي ، رشاشات الحرب العالمية الأولى . وكانت نسبة موجود الجنود النظاميين في جميع سرايا الفرق البالغة ستاً واربعين لا تتعدى ٨ ٪ ، وكان اغلب الجنود ممن خدم في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ولذلك كانت اعمارهم تتجاوز ٤٠ سنة ، وقد جرت عملية اعادة التسليح بسرعة كبيرة كما أسلفنا، وشملت على كثير من هؤلاء وتدربوا لفترة قصيرة ، وكان عدد الضباط الحربيين قليلاً لا يتعدى ١٥ ٪ من مجموع القوة وكان كثير من الضباط ذوي الرتب الصغيرة من مقاتلي الحرب العالمية الأولى .

لقد جرت عملية تعبئة هذه القوات ببطء شديد ، وكانت تدعو الى الحيرة والقلق احياناً، لقد خصص اربعة ايام لعملية التعبئةوهي مدة قصيرة غير كافية، وكانت في جملتها عملية تختلف عن تعبئة ١٩١٤ التي كانت تعتبر من اروع عمليات التعبئة والتي تميزت بالدقة والاحكام ، بينما تميزت العملية الأخيرة بالنقص من جميع النواحي . وليس من الغريب ان يحدث ذلك ، لأنه لم يمض على تنظيم المستودعات سوى بضع سنوات فقط ، ومهما يكن فان القيادة العليا للجيش كانت تتوقع ذلك ، وعليه لم تفاجأ بهذه النتيجة . أما التعبئة الجزئية للقطعات البافارية ، والتي صدر الأمر بها قبل التقدم نحو النمسا في عام ١٩٣٨ فكانت الاستحضارات لها ناقصة بصورة تدعو للقلق والفزع .

ولم تتمكن الفرقة (من الخط الثاني) التي عينت ضابط الركن الأول فيها والتي اجتمعت في سكسونيا السفلى ، من التهيؤ للحركة إلا بعد عشرة ايام ، وعندما سارت بعد نزولها من القطار مسيرة طويلة ، تكسرت السيقان الامامية لعشرين حصان من خيل سحب المدافع بسبب وعورة الطرق في آيفل ولعدم تمكن السواقين من امتطاء سروج الخيل .

والحقيقة كان اكثر من نصف جيش الميدان متهيء للمعركة ، ولو ان هذه القطعات تدربت لمدة اطول في الخلف لما اصبحت بهذا المستوى الرديء المزري.

ومهما يكن . فان القادة السياسيين استهدفوا السرعة في دحر بولندا وعليه استوجب استخدام جميع قوات الجيش الفعالة في الشرق. وبناء على ذلك زجت في الهجوم على الجيش البولندي[1] بتاريخ ١ ايلول ٤٤ فرقة فعالة وبجميع التشكيلات السريعة الحركة . وطبقت خطة « انفتاح أبيض » التي وضعت في اوائل عام ١٩٣٩ ، علاوة على هذه الفرق زج في المعركة عدد من فرق الخط الثاني والرابع ، والتي لم تمارس اي حركات سابقاً . كانت جميع الحدود الغربية من آخن حتى «بال» ،خلال الحملة البولندية محمية بـ٢٥ فرقة من الاحتياط والمليشيا والمستودع .

كانت الاستخبارات الالمانية تقدر الجيش الفرنسي بمائة وعشر فرق[2] تستطيع خمس وثمانون منها الدخول في القتال فوراً ضد المانيا بعد الانتهاء من التعبئة ، وتعلم ان مدفعيته قوية ويملك عدداً كبيراً من الدبابات ، ومن الناحية العددية فقط ،كانت القوة الالمانية المدافعة تقرب من ثلاثين فرقة وهي لا تكفي لصد هجوم القوات الفرنسية المتفوقة تفوقاً كبيراً ، اضافة لذلك ،كان ما يقرب من ثلثي الجيش الالماني الغربي غير مدرب وغير قادر على الخدمة ، ويمكن للمرء ان يتصور الموقف وحالة هذه الفرق في ايلول ١٩٣٩ كان الضباط والجنود لا يعرف كل منهم الآخر . وكان الكثيرون منهم ضعيفي الثقة بأنفسهم وبكفاءتهم كجنود وعسكر . وكانت الثقة المتبادلة بينهم مفقودة تماماً . الثقة التي بدونها يتعذر على أي قطعة الثبات في المعركة . وفي الحقيقة كان الوقت ضيقاً وقصيراً ، ولا يكفي لانماء هذه الثقة وتقويتها . ولم تتمرن أي سرية او بطرية على الرمي مطلقاً . وكان يتعذر ملافاة هذه النواقص على كثير من الفرق ، لانه كان عليها

---

١ – كان الجيش البولندي يتألف من ثلاثين فرقة فعالة وعشر فرق احتياط و ١١ لواء خيالة احدهم آلي ، وكان الجيش لا يزال في حالة التعبئة ولا يملك سوى بضع دبابات قديمة .

٢ – ثبت ان التقدير كان صحيحاً جداً ، كان الجيش الفرنسي يتألف من ٥٧ فرقة مشاة وخمس خيالة وفرقتين آلية وفرقة مدرعة وخمس واربعين فرقة احتياط .

ان تتحرك لاشغال المواضع بقصد الدعاية واظهار ان القطعات الالمانية اشغلت الجبهة الغربية بالجنود . وفي الحقيقة كان ذلك العمل لا يعدو عن كونه استعراضاً وعملاً شكلياً ليس إلا . وقد بقيت الجبهة على وضعها هـذا الى ان عاد القسم الرئيسي من الجيش الفعال من بولندا، أي حتى شهر تشرين الاول. ولكنه لم يكن ثمة دبابة واحدة حتى شهر ايلول في اي قسم من اقسام الجبهة الغربية الالمانية ، وكان كل ماهو متيسر من عتاد لا يكفي اكثر من معركة ثلاثة ايام، ولم يكن لقيادة الجيش العليا احتياط صالح في الخلف ، وكانت جميع وحدات السلاح الجوي مشتركة في معركة بولندا ، ولم يترك في الغرب سوى بضع طائرات استطلاع ومقاتلات قديمة الطراز .

وكان جميع القادة الذين هم في الجيش الغربي في ذلك الوقت يتملكهم الرعب والفزع حين يتصورون ذلك الموقف وهجوم الجيش الفرنسي الفوري عليهم . ولا ندري لماذا لم يحصل مثل ذلك الهجوم . ولعل السبب هو عـدم معرفة قادة الفرنسيين بضعف الدفاع الالمـاني الفظيـع . ولو ان الفرنسيين زجوا بقواتهم في الهجوم في ايلول ١٩٣٩ لاستطاعوا الوصول الى نهر الراين خلال اسبوعين . لأن القوات الالمانية المتيسرة في الغرب كانت ضعيفة جداً ولا تقوى على سد الطريق امام الهجوم الفرنسي وكان يتعذر عليها حتى تهديد اجنحة الهجوم تهديداً خطيراً. وكان من الطبيعي ان تنسحب وحدات من بولندا وتنقل الى الغرب بسرعـة . ولكن كان بامكان القوات الجوية الفرنسية والبريطانية تخريب وتدمير خطوط المواصلات داخل المانيا بحيث تؤخر عملية النقل الالماني هذه .

لقد كانت الاركان العامة الالمانية تعد تمريناً سنوياً ويدير التمرين « بيك » نفسه وكانت اغراض التمارين تتوخى صد واعاقة كل هجوم فرنسي، مع الاحتفاظ بقوات المانية كبيرة في الشرق بالنظر لموقف جيكوسلوفاكيا وبولندا غير الأكيد. وكان يفرض في جميع هذه التمارين ان الجانب الفرنسي يندفع من المنطقة الضيقة

التي لا يتجاوز عرضهـــا مائتي كيلو متر بين موسل والراين ، ثم يتقدم بعدئذ على امتداد الضفة الشمالية لنهر الموسل ويعبر في النهاية الراين الأعلى في منطقة كارل سروهه . وكان في أي حالة قادراً على تحقيق الاختراق والوصول الى الراين في مدة بضعة اسابيع ، مع العلم كان المفروض في هذه التمارين اشتراك عدد كبير من الفرق الالمانية ، وخاصة الفعالة منها في الدفاع الالماني . والآن وقد اصبح الموقف الذي ألفه جميع ضباط الركن القدامى حقيقة واقعة . غير انه لم يحدث شيء - لا شيء مطلقاً - اذا تجاهلنا بعض الهجمات الفرنسية الضيقة التي كانت تحدث جوار ساربروكن وبرل Perl ، وهكذا اثبت هتلر مرة اخرى بأنه كان مصيباً وان مخاوف قادة الجيش كانت باطلة لا أساس لها وان تقديرات الاختصاصيين وحساباتهم كانت خاطئـــة ، وأن « حدس » هتلر كان هو المصيب .

وكانت نتيجة هذه الهزائم و« انخذالات » القادة الاخرى وخيمة قاتلة ، لأنهم أفسحوا المجال لرسوخ عقيدة هتلر بقابلياته العسكرية ، وجعلوه لا يلتفت الى نصح واقوال الاختصاصيين .

وهل نحتاج بعد كل ذلك ان نبحث اكثر للاجابة عن سؤال هل كان الجيش الالماني متهيئاً للحرب عام ١٩٣٩ ؟ ان الارقام والحقائق المجردة تروي لنا القصة واضحة بينة ، وتكفي لاعطاء الجواب المقنع .. والآن ماذا كان يحدث لو ان فرنسا زجت بالقسم الاكبر من جيشها لمساعدة حليفتها بولونيا في النصف الاول من ايلول ١٩٣٩ ؟ كيف كان يصبح الموقف العام في اوربا ؟.. لقد اصبح لدى هتلر بعد دحر وتمزيق بولندا جميع القوات حرة جاهزة للقتال في الغرب . وكان بامكانه في ربيع ١٩٤٠ ان يسترجع المنطقة التي ضمتها فرنسا اليهـا وان يستعيد مرة اخرى حدود الرايخ الغربية . ولنترك الدمار الذي سيخلفه القتال في المنطقة الواقعة غرب الراين والى صناعتها . فان الحكومة النازية ربمـا واجهت الانهيار

المحقق في خريف ١٩٣٩ ، وحتى لو استطاع هتلر الهيمنة على الوضع في داخل المانيا ، فانه يصبح في موقف لا يساعده على شن التعرض الكبير عام ١٩٤٠ الذي اجتاح به هولاندا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وربما كان بامكانه الاختراق حتى يصل الموز ، ولكنه من المحتمل ان يواجه خطر حرب موضعية . وما معنى ذلك بالنسبة للقوات الغربية ؟ كان بامكانهم الحصول على أثمن ما يصبون اليه ، وهو الوقت لاعادة تسليحهم ولكسب حلفاء جدد . وتصبح القوات الالمانية في موقف ربما تكون غير قادرة على احتلال النروج ، وحينئذ قد لا تجد الدول البلقانية رغبة في الانضمام الى جانب المانيا التي لا تزال تواجه عدواً غير مغلوب في الغرب . وربما لم تنفذ اتفاقية الفولاذ مع ايطاليا . ويبرز سؤال بعد مجريات هذه الحوادث وهو ماذا سيكون موقف روسيا ؟ ولا اكون مغالياً اذا قلت بأن عدم قيام الحلفاء بشيء ما في الغرب في ايلول ١٩٣٩ قد سبب ضياع الفرصة في تغيير مصير أوربا في اتجاه آخر .

الجدار الغربي

كانت مبادىء السوق الفرنسية في عام ١٩٣٩ متأثرة بتجارب الحرب العالمية الأولى كل التأثير ، ولذلك أعدوا خطة هجومية تميزت بالبطاءة اجتناباً لكل المخاطر ، بينما كان الجيش الالماني يعتمد على السرعة الفائقة . واستغرقت التعبئة العامة واستحضارات جميع وحدات الجيش للقتال وقتاً طويلاً . وربما كان ذلك سبب اتخاذ فرنسا الوضع الدفاعي ، ثم ان الجنرال الفرنسي غاملان كان في نفس الوقت متأثراً بوجود الجدار الغربي . وفي الحقيقة انشأت منظمة تود اكثر من ثلاثة آلاف موضع من الاسمنت بين آخن والحدود السويسرية في خريف ١٩٣٨ ، اي خلال الستة اشهر المقررة . وكانت سرعة العمل وعدد المواضع المنجزة من الاعمال الباهرة ، وكانت دليلا ساطعاً على ان المنظمة كانت من الطراز الاول وذات خبرة وابداع . وكان بناء المواضع في ازدياد مستمر ،

واصبح العمل مستمراً ليلا ونهاراً في شتاء ١٩٣٩ - ١٩٤٠ على حدود بلجيكا ولكسمبرغ .

ولا ننتقص من هذا الانجاز الفني الرائع اذا قلنا انه كان من الناحية العسكرية ، لا يعتبر جداراً منيعاً من الاستحكامات لا يمكن اختراقه ، كما كانت تصفه دعايتنا . وكانت الدفاعات لا تؤمن جميع المتطلبات التعبوية الحديثة من الاستحكامات الدائمية. ولا تنطوي قيمة هذا الجدار على عدد المنعات فيه فقط وانما هناك اهم من ذلك وهو مقاومتها للقنابل والقذائف . وتساند المنظومة الدفاعية ، ثم مدى ملاءمتها وانسجامها مع الارض ، وقوة السلاح ، وتدريب القطعات في حرب الاستحكامات .

وتعطينا الدراسة المفصلة على ضوء هذه المتطلبات النتائج التالية : - كانت معظم المنعات ذات سقوف كونكريتية سمكها ثمانون سنتيمتراً فقط وهذا السمك لا يؤمن الحماية من القنابل الثقيلة ، وكان كثير من المواضع لا تتيسر فيها سوى مزاغل للرمي من الأمام فقط وتعتبر هذه من المساوىء التعبوية ، لانه كان يتعذر على جنود هذا الموقع من ستر الأرض المحصورة بينه وبين منعة اخرى ؛ ومن الناحية الاخرى يتمكن العدو من تعطيل الموقع عن العمل بالرمي المباشر نحو المزغل ومن مسافة أمينة ، بدلاً من القيام بهجوم من مسافة قريبة ويكون صعباً باهظ الثمن . لقد كان من الصعب بناء المنعات بصورة ملائمة للأرض وحسب رغبة التعبويين ، لعدم تيسر الوقت الكافي ، وكان كثير منها كائنة في المنحدرات الامامية وليس في المنحدرات الخلفية التي هي اكثر ملائمة لذلك . اما موانع ضد الدبابات فلم تكن الا في محلات قليلة نسبياً ، وكان بعض المنعات لا يتوفر فيها أي مزغل وهذا مما كان يدعو للقلق ، ولذلك لم تستعمل الا كملاجىء . وكان القادة يخشون هذه المنعات لأن بعض القطعات التي لا تتحمل أعصابها هدير المدافع يمكن أن تختفي بالتجائها الى هذه المنعات وبذلك لا يستفاد منها في

القتال ولذلك منع هؤلاء من استخدام هذه الملاجىء . ولكن السؤال الذي يواجهنا هو هل أن هؤلاء كانوا يستحرمون هذا الأمر اذا احدث الأسوأ فالأسوأ ؟ وان سبب بناء الملاجىء ، وخاصة للذين يعرفون الفنيين لم يكن سرياً – وهو ان بناء المنعات بدون مزاغل يتم بصورة اسرع مما لو كانت تحتوي على مزاغل . وهكذا يمكن اخبار هتلر بمعدل أعلى في انشاء هذه الاستحكامات وكان هتلر فى موقف لا يمكنه من تدقيق كل ما كان ينشىء بصورة مفصلة ، وهل انها كانت ذات فائدة حقيقية وأخيراً كان عدد القطعات التي دربت على حرب الاستحكامات قليلاً بحيث تكاد لا تذكر .

لقد حقق هتلر ، بلا ريب ، هدفه ببناء الجدار الغربي . وكان لظهور هذه الاستحكامات على امتداد بضع مئات من الكيلومترات من الحدود انطباعاً عميقاً على السياسيين الفرنسيين والبريطانيين في خريف عام ١٩٣٨ ، ولا شك كان لها بعض التأثير على شروط اتفاقية مونيخ التي جاءت ملائمة لألمانيا .

وربما كان للجدار الغربي ، ايضاً ، فعل مخيف مرعب في بداية الحرب مما جعل الفرنسيين يتهيبون منه وقوى عزيمتهم على ان لا يتسرعوا وأن يلتزموا جانب الحذر ، وهكذا استطاع هتلر أن يبدأ وينهي الحملة البولندية بجميع ما لديه من جيش فعال ، واكتفى بوضع عدد قليل من فرق الخط الثاني والرابع ، والتي كان معظمها غير متهيىء للقتال ، وكانت تقوم « بواجب الحراسة في الغرب » من وراء تلك التحصينات التي لم يتم منها الا قليلاً ، وهنا مرة اخرى قام هتلر بأعظم بلف وإيهام ، بل أعظم خدعة عسكرية . وهكذا أنجز الجدار الغربي المهمة الثانية التي كان ينتظرها هتلر منه من غير حاجة الى فحص قوته الحقيقية . ويبدو ان دوره أوشك على الانتهاء ، لذلك شرع في صيف ١٩٤٠ بتجريده من أسلحته في سبيل بناء « جدار الاطلنطيكي » حتى أمسى بعد ذلك لا يمكن الدفاع فيه .

كان روندشتيت من اولئك الذين لا يؤمنون بقيمة الجدار الغربي ولا يرون فيه أهمية كبرى حتى في سنة ١٩٣٩ ، ولكن بعد الانتصار على فرنسا عـاد هؤلاء وادعوا بانه ليس من رجاحة العقل تقويضه وكثر اللغط والضجيج حول ذلك ، وقيل بأنه يتعذر على المرء ان يدرك ذلك حتى تدعو الحاجة الملحة اليه .

فترة الانتظار

انتهت الحملة البولندية في نهـاية ايلول ، وقضي على الجيش البولندي قضـاءً تاماً . وأصبح الآن بالامكان نقل جميع الفرق الفعالة الالمانية التي اشتركت في القتال الى الغرب، بعد أن وضعت الحكومة كلها بحماية وحدات المليشيا والحرس الداخلي .

وقد شرع في عملية النقل في نهاية ايلول ، وأصبحت القطعـات تصل الى الغرب ، وبات الجيش الهيكلي يكتسب بوصولها لحماً ودمـاً لأول مرة ، بعد أن بقي حياً الى ذلك التاريخ ، وهكذا انتهت الأزمـة في الغرب ، وأصبح كل هجوم فرنسي بعد تشرين الثاني لا أمل له في النجاح .

وفي ٢٧ أيلول ، ١٩٣٩، أصدر هتلر أمراً الى قادة القوات المسلحة ورؤساء اركانهم العامين للحضور في مستشارية الرايخ ، وهناك اخبرهم بأنه قرر الهجوم على فرنسا ، وانه لن يحتمل انتظار هجوم القوات الغربية عليه ، وان البقاء في الوضع الدفاعي ، مما يعرض ، منطقة الرور ، التي هي قلب صناعة الأسلحة ، للتهديد وخطر أسلحة العدو ، عاجلاً ام آجلاً ، بينما يحتم الواجب ابعادها عن كل تهديد مهما كانت الظروف .

كان حياد بلجيكا غير حقيقي ، لأنها شيدت الاستحكامات على حدود المانيا فقط ولم تشيدها على حدودها مع فرنسا . واكتفت بوضع قطعات هزيلة عليها ،

بينما حشدت جميع قواتها على حدود المانيا . وادعى هتلر بأن لديه أدلة قاطعة على وجود اتفاقية بين هيئة اركان القوات الغربية على دخول القوات الفرنسية ـ الانكليزية بلجيكا . وبقدر ما يتعلق الأمر بهولاندا ، كان لا بد من اجتياز الذيل ماستريشت ولا يمكن اجتنابه ، ولذلك سيحسم هذه القضية سياسياً مع هولاندا .

اما الحركات ضد فرنسا فيجب أن تتم باندفاع الجناح الأيمن باتجاه لون « Laon » . وعلى الجيش أن يخبرنا بأقرب يوم للشروع بالحركات . وقد فضح هتلر هذه الأغراض قبل اجراء اي مباحثات سابقة مع براوشش اوهالدر . وكلاهما كانا راغبان في الاستمرار على الوضع الدفاعي ، لأنهما كانا يعتقدان بأن خرق حياد هولاندا وبلجيكا لا يمكن تبريره او الدفاع عنه ، ولأنهما كانا يعتبران القوات الالمانية ضعيفة يتعذر عليها اختراق خط ماجينو بهجوم جبهوي .

وقد تم اجتماع آخر بين هتلر وقادة الجيش في النصف الاول من شهر تشرين الاول . وفي هذا الاجتماع أكد هتلر مرة اخرى ضرورة بلجيكا وهولاندا كمنطقة دفاعية عن الرور وكدرع لها تجاه الهجوم من الجو. وكان في اعتقاد هتلر ان قوات الدول الغربية قد تدخل بلجيكا في اي لحظة وبرضى من حكومتها . وكان هناك دليل قاطع على ذلك . ولذلك كان من الضروري حرمان العدو من دخولها اولاً . وعلاج ذلك بالسرعة الفائقة ، وكان براوشش يدرك انه عاجز عن اقناع هتلر بالعدول عن خطته ولذلك اعطى اقرب يوم يكون فيه الجيش متهيئاً هو ١٢ تشرين الثاني .

بعد وصول القطعات من الشرق جرى اعادة تنظيم الجيش . وأصبح جحفل الجيش الآن يتألف من ثلاثة جحافل جيوش بدلاً من واحد ، وأضحت تشتمل على سبعة جيوش بدلاً من ثلاثة .

واذا كان كل شيء قد اعد في السابق لحرب موضعية طويـــلة الأمد ، فان الخطة قد أصبحت الآن معكوسة تماماً . وان القادة ، الذين كانوا يواجهون مشاكل جمة في تهيئة فرق المليشيا وفرق الاحتياط للدفاع ، راعهم الآن ان يجدوا أنفسهم أمام أمر لم يتوقعوه وهو قيادة هذه القطعات اللدنة الضعيفة في الهجوم وكانوا يعتبرون ان قطعاتهم غير متهيئة لهذا الواجب ولذلك توقعوا لها الاندحار والفشل . وفي الوقت ذاته جاءت نية انتهاك حيـاد الاراضي المنخفضة صدمة عنيفة للكثيرين . وكانت النتائج السياسية القاسية لغزو بلجيكا عام ١٩١٤ لا تزال عالقة في أذهـــان كثير من الضباط . وقد رفعت جميع هذه المخاوف والشكوك الى قيادة الجيش العليا ، وهذه مما شجعتها على تأخير موعد الشروع بالهجوم اكثر ما يمكن لعلها تكسب وقتاً يتغير فيه الموقف السياسي . لأن قادة الجيش كانوا لا يزالون يعتقدون بأنه من الممكن الوصول الى تسوية سلمية وبذلك يمكن تجنب حرب عالمية ونتائجها الوخيمة غير المتوقعة . وكانوا يدركون أن نظرتهم هذه انما تمثل وجهة نظر الرأي العام الالماني بأكمله .

وكان الفيلد مارشال فون ليب von Leeb من بين القادة المشهورين في الجيش الالماني الغربي ، الذي حاول تأييد القيادة العليا للجيش في معارضتها لهتلر بكل وسيلة ممكنة ، وقد عرضت المذكرة التي ارسلها الى براوشش في محكمة نورمبرغ ، ومما كتب في ٣١ تشرين الأول ١٩٣٩ الى القائد العام للجيش : « ان من واجب القائد العام للجيش الذي تؤيده الاركان العامة بأكملها ، وجميع فروع الجيش المسؤولة ، ان يوضح آراءه رسمياً وان يصر ويؤكد عليها ... وانني مستعد ان ادعمك في الأيام القادمة ، وان اقوم بأي عمل تراه مناسباً وضرورياً » .

وفي ٥ تشرين الثاني ١٩٣٩ اخبر براوشش هتلر نتيجة استشاراته مع جحافل الجيوش بأن الهجوم المزمع الشروع به يوم ١٢ تشرين الثاني يجب تأجيله ، وبين له الأسباب الموجبة ، رداءة الطقس ، النواقص الخطيرة في تنظيم الجيش ، والحاجة الى تشكيلات اخرى من القطعات ، وتطوير وسائل فنية لاختراق خط ماجينو ،

والحاجة الى وقت اكثر لتدريب الجيش وتقوية روح الضبط فيه . هـذه المقابلة كانت مفعمة بالسخط والغضب بين براوشش وهتلر . وقد سحب هتلر في النهاية أمره بالهجوم يوم ١٢ تشرين الثاني عندما اتضح بان العدو استطاع معرفة هـذا التاريخ . واصبح هتلر في الأيام التالية لذلك يصدر اوامر جديدة بالهجوم بين فترة وأخرى، وكان يسحبها ايضاً حتى حل الشتاء القارس لعام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ والذي جعل من المستحيل القيام بأي تعرض .

وفي ٢٣ تشرين الثاني أمر هتلر قادة الجيوش وجحافل الجيوش بالحضور في مستشارية الرايخ ، وخطب فيهم قائلاً : إنني احملكم الواجب لأنكم تمثلون تلك الروح السامية التي تجلت فيما مضى في الحرب العالمية الاولى، ومما زاد في اعتقادي هذا شهامة الضباط في حملة بولندا .

لقد كان قادة الجيش يعارضونه في كل اعماله الناجحة سواء كان ذلك في اعادة احتلال الراين ، ودخول الجيش للنمسا ، او اجراءاته لضم جيكوسلوفاكيا . والحقيقة يعود له الفضل وحده في خلق الجيش الحديث في مثل هـذا الوقت القصير وامام معارضات قادة الجيش . وشكراً له لانتهاء الحملة البولندية بالنصر وبسرعة فائقة . والآن راح كل واحد يلتمس الاسباب والاعذار ليفند فيها لماذا يجب عدم القيام بالهجوم على فرنسا . ولكنه أبى ان يصغي اليهم ويخدع نفسه بهم . ولذلك طلب منهم الموافقة التامة لآرائه والاذعان له والانقياد المطلق . وقد قيل ان هتلر بعد هذا الخطاب صرخ قائلاً : من هم هؤلاء القادة ، أهؤلاء الذين ادفعهم الى الحرب دفعاً بدلاً من ان يدفعوني اليها ؟ وقد قدم براوشش في مساء ذلك اليوم استقالته ، ولكنها لم تقبل .

وحسب الخطة الاولى للحملة كان يجب ان يستند مركز الثقل على الجناح الأيمن اما الانفتاح فكان مشابهاً لانفتاح ١٩١٤ . ولكن كان قد صدر في شباط ١٩٤٠ خطة جديدة ، وقد تجنبت هذه الخطة اعادة ما حدث في عام ١٩١٤

واوضحت بأنه يجب تدمير القوات الفرنسية والانكليزية التي تدخل بلجيكا اولاً ، ثم يتم بعد ذلك دحر القسم الباقي من الجيش الفرنسي . وكانت هذه الجديدة تتطلب تحويل ثقل الهجوم الرئيسي من الجناح الأيمن الى جنوب الجبهة ، اي نحو جحفل جيش روندشتيت. وسيباغت العدو لأنه لا يتوقع اندفاعاً مدرعاً قوياً في منطقة الاردينس الوعرة والصعبة .

وكثيراً ما قيل بأن سبب تغيير الخطة الأصلية هو ان طيارة لنقل البريد كانت تحمل الوصايا الأولية للخطة قد وقعت في ايدي البلجيكيين وهذه رواية لا أساس لها .

لقد كان للجيش الغربي فترة انتظار طويلة لمدة سبعة اشهر . وقد استغلت هذه المدة استغلالاً جيداً في تدريب الجنود وفي تقوية ضبطهم. وخلال هذه المدة أصبحت فرق الخط الثاني والثالث والرابع مدربة وجاهزة للحركات لأنها تحولت من رعاع مسلحين الى قطعات مدربة ، بالاضافة لذلك تشكلت فرقاً من خطوط اخرى وأصبحت جاهزة للخدمة خلال شتاء ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ، وكان قسم من معداتها من الغنائم التي استولوا عليها في بولندا .

ومن طريف ما حدث في هذا الوقت مع موسوليني . هو ان هتلر في احدى المقابلات بينهما طلب من موسوليني ان يشارك بقوات كبيرة في الهجوم على فرنسا . وأفاد التقرير ، أن موسوليني انفعل كثيراً ازاء هذا الطلب وتحركت نخوته وحماسته ووافق على ارسال من عشرين إلى ثلاثين فرقة الى منطقة الراين الأعلى. ثم تعبر الراين معقبة الجيش السابع الالماني ثم تندفع نحو وادي الرون لمساعدة القوات الايطالية الرئيسية في اجتياز جبال الألب الغربية . وقد تألفت فعلاً لجنة خاصة من قبل الاركان العامة للجيش لتهيئة الاستحضارات لنقل الفرق الايطالية ولتنسيق عملها في الهجوم على الراين الأعلى . وعندما وصلت هذه الاستحضارات الى مرحلة تكاد تكون نهائية بات من الضروري الاتصال برئاسة

الأركان الايطالية . وعليه ارسلت رسالة الى روما ، الرسالة التي كانت مثار استغراب شديد ، وأفادوا بأنهم يجهلون كل شيء عن هذا الوعد الذي تفضل به موسوليني . ويحتمل ان موسوليني لم يفهم اقتراح هتلر ، او انه فكر من الأفضل أن يتناساه او ان مستشارية العسكريين أقنعوه بالعدول عن تنفيذ ذلك ، وعلى كل ، لم نسمع عن اشتراك الايطاليين بالهجوم الالماني اكثر من ذلك .

لقد كان شتاء ١٩٣٩ – ١٩٤٠ قاسياً جداً وطويلاً بحيث يجعل كل هجوم الماني خلاله مصيره الفشل المحتوم . ويتعذر ادارة حركات بنطاق واسع في منطقة آيفل ذات الطرق المنحدرة الوعرة والثلجية ومهما كان مستوى التدريب والنظام .

بالاضافة لذلك ، كان لا بد من الحفر في ارض كانت تغطيها الثلوج بارتفاع متر ، ويصبح الجنود الالمان معرضين الى برد الشتاء دون ان يسترهم او يقيهم شيء ، بينما يجلس المدافعون وراء استحكاماتهم الكونكريتية بكل راحة وطمأنينة . ولذلك تنفس القادة والقطعات الصعداء ثانية عندما اتضح لهم بأنهم لن يشنوا هجوماً لا يحقق النصر وانما يؤدي الى خسائر فادحة جداً .

وفي ١٠ مايس ١٩٤٠ ، انتهت « حرب المواضع Sitzkrieg » وفي هذا اليوم ، انطلقت مائة وست وثلاثون فرقة [١] كاملة العدد تقريباً ، نحو الغرب ، وشرعت بعرضها الأكبر ، وهنا نتذكر مرة اخرى كم كان يصبح مصير أوربا

---

١ – كانت ثمانية وعشرون فرقة من هذه الفرق نحو القاطع الشمالي ، واربع واربعون فرقة في الوسط ، وسبع عشرة فرقة نحو الجنوب ، وسبع واربعون فرقة كانت احتياطاً لدى القيادة العليا . اما العدو فقد استخدم فرقاً أخرى ولكنها كانت قوتها أقل ومن هذه كانت عشر فرق هولاندية ، واثنتان وعشرون فرقة بلجيكية ، وعشر انكليزية ومائة وعشر فرق فرنسية ، أي كان مجموعها مائة واثنتين وخمسين فرقة .

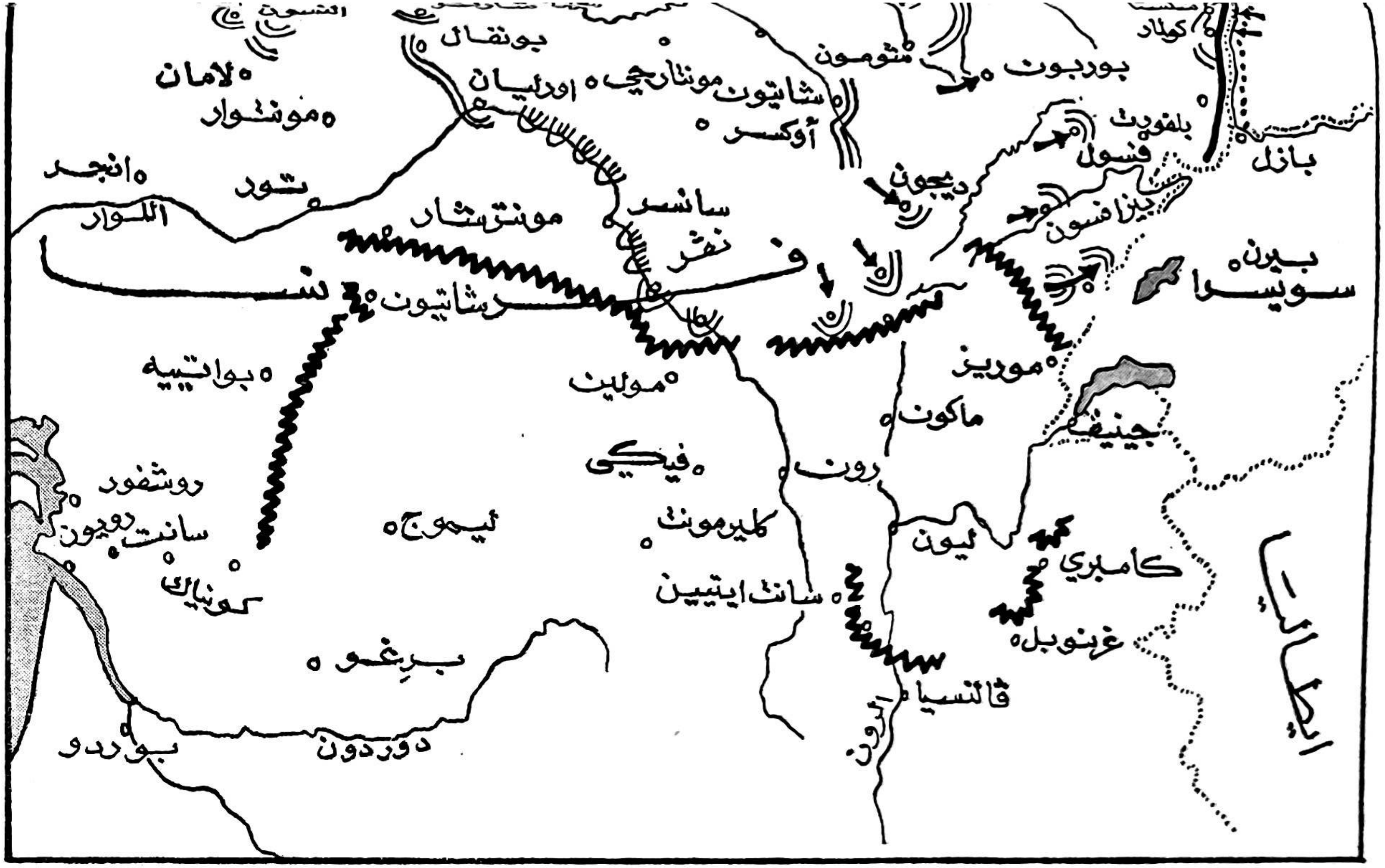
مختلفاً كل الاختلاف لو ان الجيش الفرنسي زج بكل قواته لنصرة حليفته بولندا في أيلول ١٩٣٩

من الراين الاسفل الى اللوار

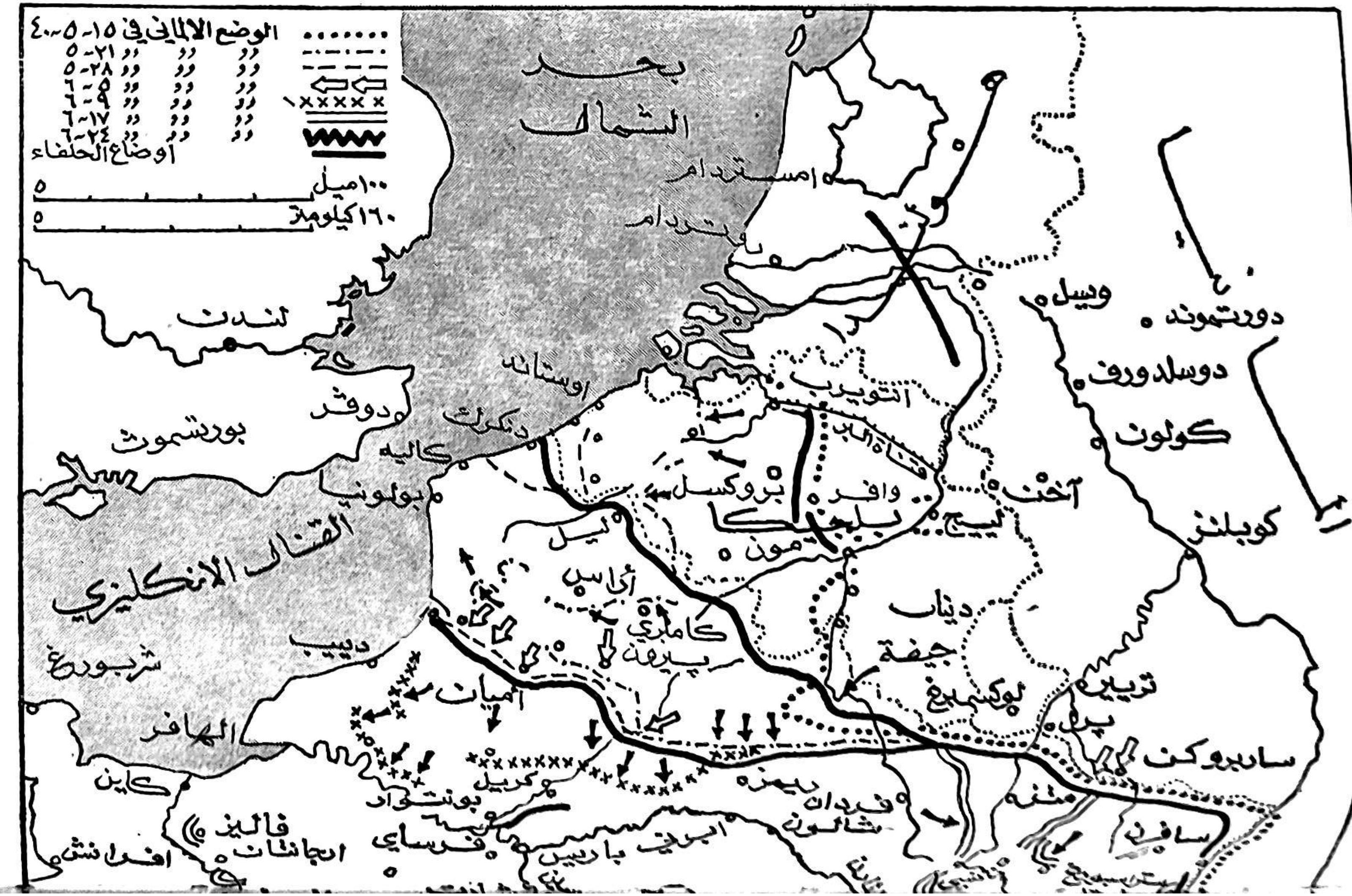
لا تتيسر العناصر الضرورية للبحث عن الحملة الغربية لعام ١٩٤٠ بحثاً كاملاً ولذلك سيقتصر الحديث بصورة رئيسية على جحفل الجيش الذي تقدم في البداية من الراين الاسفل قرب كليف Kleve الى منطقة دنكرك Dunkirk ثم بعد عبور الأيسن Aisne شمال رايمز Rheims ، قام بالاختراق إلى اللوار Loire .

وتتألف الصفحة الأولى من الحملة. من القتال ضد الجيوش الهولندية والبلجيكية علاوة على الجيش الفرنسي ، وقوة الحملة البريطانية . اما الصفحة الثانيـــة فهي اشتراك الجحفل في دحر الجيش الفرنسي النهائي ، والذي كان في ذلك الوقت وحيداً لا حلفاء له .

شرعت القطعات الالمانية بهجومها في الساعة ٥،٤٥ من صباح يوم ١٠ مايس والجو متلألىء رائق . بعد ان استلمت الامر بعد الظهر من اليوم السابق ، وبعد ذلك الانتظار الطويل ، وبعد تلك الأوامر العديـــدة السابقة — صدر ستة عشر امراً ثم سحبت. ولذلك كان الهجوم متنفساً عظيماً ، لأن الجميع ضجر المؤتمرات العديدة ومل التجارب والممارسات . وهكذا تمت حركة القطعات الــتي كانت شرق الراين الى نقاط انقضاضهابكل هدوء ودقة،ولم يشعر بها الابعض الوحدات الهولندية . وكان الواجب الأول لجحفل الجيش ، الوصول بعد الظهر من اليوم الثالث الى الجسر في موردييك Moerdijk والاتصال بالقطعات الهابطة بالمظلات والزلاقات وراء الخطوط الهولندية . وكانت قوة القطعات الهابطـــة فرقتين، ويعتبر هبوطها اول هبوط جوي في التاريخ العسكري . واصبح موقفها حرجاً جداً ، وعرف ذلك من النداءات الخاصة بطلب النجدة التي ابتدأت مساء يوم



الجبهة الغربية في أيار - حزيران سنة ١٩٤٠



الوضع الالماني في ١٥-٥-٤٠
٢١-٥
٢٨-٥
٥-٦
٩-٦
١٧-٦
٢٤-٦
أوضاع الحلفاء
١٠٠ ميل
١٦٠ كيلومتر
بحر الشمال
امستردام
روتردام
لندن
دوفر
بورتسموث
اوستاند
دنكرك
كاليه
بولونيا
القنال الانكليزي
دييب
شربورغ
الهافر
كاين
انتويرب
قناة البر
بروكسل
وافر
بلجيكا
ليج
موز
ليل
أراس
كامبري
بيرونه
أميان
ديناب
جيفة
لوكسمبرغ
ترير
آخن
كولون
دوسلدورف
دوتموند
ويسل
كوبلنز
ساربروكن
ريمز
شالون
سواسون
باريس
فرساي
فاليز
المانيا
افرانش

١٠ مايس ، واصبحت طلبات ضرورية فورية ساعة بعد ساعة . ولذلك كان الاتصال بهم حاجة ضرورية ملحة بالنسبة اليهم ،وقد تم الاتصال بهم في مورديجك بعد الظهر من يوم ١٢ مايس .

وقد تحقق هذا الاتصال لسيطرة الجحفل على جسر على نهر الموز قبل نسفه وتخريبه ثم لسقوط موضع الهولنديين في Peel في اول هجوم .

وفي ١١ مايس توقف الجيش الهولندي عن القتال وعن أي مقاومة منظمة ، وبالرغم من ضعف(١) الجيش الثامن عشر الالماني وقلة عدده فقد استطاع ارغام الجيش الهولندي الباسل على ان يلقي سلاحه في غضون بضعة ايام . وكان هذا الانتصار السريع مباغتة حتى للقائد الالماني . وكان الفضل في ذلك يعود الى السلاح الجوي الذي رجح كفة الميزان . ولا يعني ان هذه الأيام القليلة كانت خالية من المشاكل الخطيرة بل كانت على العكس اياماً عصيبة وتبين لنا كلمة القائد العام لجحفل الجيش الشمالي للقطعات التي قاتلت في هولندا مدى الخطورة بجلاء ووضوح قال : « ان النصر كان معلقاً بشعرة » .

وقد عبر الجحفل الحدود البلجيكية في ١٤ مايس ، وكان واجبه الآخر هو الاستيلاء على جزيرة فالشرن Walcheren والاحتفاظ بميناء « انتفرب Antwerp » .

وكان الواجب الاول تحفه المخاطر والصعوبات ، لأن الهجوم كان يجب شنه في منطقة تتخللها جسور مقطعة في محلات عديدة وكان الهجوم البحري متعذراً لعدم تيسر الاسناد الجوي والبحري . ولذلك لم يتم الاستيلاء على

---

١ – كان الجيش الثامن عشر أضعف جيش في الجيش الغربي وكان يتألف من أربع فرق احتياط وفرقة مشاة ، مع فرقة واحدة خيالة ، وفرقة مدرعة Panzer وفرقة واحدة SS وكان عليه ان يستر جميع القاطع من كرونننغن Groningen الى انتفرب Antwerp .

فليسنجن Vlissingen إلا بعد مرور خمسة ايام ، أي في ١٨ مايس ، وقد دخل الجحفل انتفرب في نفس اليوم بسهولة ويسر لأن الدفاع عنها يكاد يكون منهاراً.

وكان البقاء فيها شيء مزعج لعدم وجود الجسور على «شلت» لشدة تيار الماء في النهر ، وعليه كانت جميع السابلة تستخدم في عبورها النفق الوحيد تحت ماء النهر ، وقد نسف هـذا النفق ايضاً ، اما الجسر العسكري الذي انشىء عليه اخيراً فكان يجب تقصيره او اطالته بالنسبة لحالة المد ، وكثيراً ما تأخر عبور القطعات بسبب ذلك .

والمعارك التي تلت ذلك كانت ضد الجيش البلجيكي ، الذي بقي وحيداً اذ انقطعت كل صلاته بحلفائه لبضعة ايام وكان يقاتل على امتداد قنال غنت تيرنويزن ، ونهر «ليس» ، وقنال «ليس» ، قتالاً عنيفاً دامياً استخدمت فيه كميات هائلة من العتاد ، وكانت الخسائر فادحة ، ومن الغريب ان نجد الجنود البلجيكيين يقاتلون بهذه الشدة والبسالة والعناد كلما اقتربت النهاية واستسلمت القوات البلجيكية في ٢٨ مايس ، وكان لقرار الملك ليوبولد باعتباره القائد العام للجيش مشاركة مصير قطعاته أعمق الأثر على الجانب الالماني . وكم كان الملك ليوبولد مصيباً في تصريحه الذي نشر حديثاً ، وهو أن جيشه أصبح في موقف لا خيار له سوى القاء سلاحه بعد أن أصبح يقاتل في منطقة ضعيفة ، وعزل عزلاً تاماً عن عتاده ومستودعاته الأخرى نتيجة التقهقر السريع ، واخترقت جبهته بعرض عشرة كيلومترات ، وبات لا ينتظر أي مساعدة عسكرية من البريطانيين او الفرنسيين .

واندفعت مقدمة الجحفل في نفس اليـــوم نحو اوستند Ostend ونيبورت Nieuport . وكانت الطرق التي يستخدمها الالمان في محاولة قطعها وسدها بوجه البريطانيين الى الساحل مزدحمة بالقطعات البلجيكية المتدفقة نحو مدنهم وبيوتهم وكانت حالتهم مؤلمة حقاً ومناظرهم تدعو للاشفاق والألم المحض حتى مرت بنـــا ساعات لم نشعر بنشوة انتصارنا .

وبعد ذلك واجهنا أقسى صفحة من القسم الأول من الحملة فقد كانت القطعات البريطانية التي تستر انسحاب قوة الحملة تقاتل بشجاعة نادرة وتضحية عظيمة. وكان من الصعب جداً أن نجد أسيراً بريطانياً غير جريح ، وكثيراً ما وجدنا في المواضع التي استولينا عليها جنوداً منتحرين باطلاق طلقتين أو أكثر في رؤوسهم .

وفي هذه الصفحة من الحملة ، توجه الجيش الالماني نحو ما تبقى من الجيش الفرنسي ، الذي كان لا يزال يقدر بستين فرقة . وفي بداية حزيران ، شن هجوماً غرب باريس ، عبر نهر السين الأسفل والى الجنوب . واستمر بعد هذه الحركة ، في يوم ٩ حزيران بهجوم عبر نهر آسن Aisne .

وكان الجحفل يشترك في الاندفاع الرئيسي في المنطقة شمال رايمز Rheims ، وكان واجبه صعباً شاقاً ، لأنه بالاضافة الى النهر نفسه ، كان امامه عبور قنال أسن Aisne ومانع مائي آخر ، وكانت القطعات الملونة السوداء تقاتل هنا قتالاً عنيفاً مريراً وكانوا يتصيدون من الاشجار والمخابىء وكان لذلك أسوأ الأثر . وسببت الهجمات الجوية الجريئة التي كانت تقوم بها الطائرات الفرنسية والبريطانية خسائر فادحة . ولكن بعد أن نجحنا في تأسيس رأس جسر في الضفة الجنوبية من النهر ، نستطيع أن نقول بأن المقاومة قد ضعفت بل وانهارت ، ولم يكن بعد ذلك سوى قضية مسير ومسير ، ومسير ، في سبيل اللحاق بالعدو المنهزم بالرغم من تقطع الجسور فوق المارن Marne ، واوبه Aube ، والسين الأعلى Upper Seine . وقد كان التقدم يصيبه بعض التباطؤ الخطير أحياناً من جراء سيول اللاجئين المتدفقة في البداية من الشمال الى الجنوب وبعد من الجنوب الى الشمال .

وفي ١٤ حزيران ، انسحب الفرنسيون من باريس ، بعد أن أعلنوا لأول مرة

بأنها مدينة مكشوفة ، وتجمعوا وراء اللوار Loire . وفي ١٦ حزيران ، ساد الاعتقاد بأن العدو قارب على نهايته وانه سيكف عن المقاومة .

وقد أخذت تتوارد قطعات كاملة وتسلم نفسها كأسرى . ولذلك لم يكن غريباً عندما اخبر المارشال بيتان Pétain الحكومة الالمانية بتاريخ ١٧ حزيران بأنه عزم على القاء السلاح ويطلب شروطاً للهدنة . أما هتلر فقد أخبر الجيش الالماني بأنه لا يعطي الجواب على ذلك الا بعد التداول مع موسوليني . ولذلك استمرت الحركات على شدتها وصرامتها. وكان من الضروري السيطرة على المنطقة شمال خط فردون – تول – بلفورت ، والمناطق الساحلية لبرست وشربورغ ، ومركز الأسلحة في لكرويست Lecreusot بأسرع ما يمكن .

وفي الساعة ١٫٣٥ من صباح يوم ٢٥ حزيران تم توقف اطلاق النار بصورة عامة بعد أن وقعت اتفاقية الهدنة الفرنسية الايطالية . واستغرقت هذه الحملة أربعة وأربعين يوماً فقط تم خلالها اقتحام أمنع الحصون ، وأقوى النقاط ، واختراق استحكامات خط ماجينو ، وعبور الأنهر العديدة في معارك ومناوشات لا تحصى . وقطع مئات من الكيلومترات ، وأسر جيوش ثلاث أمم ، وأصبحت جميع خطوط الساحل الأطلسي والقنال العائدة لفرنسا ، وبلجيكا ، وهولاندة في قبضة المانيا . مع العلم أن جميع قادة المانيا العسكريين كانوا لا يعتقدون بامكان تحقيق غرض هتلر هذا بمثل هذا الوقت القصير . وهكذا ثبت مرة اخرى أن خوف وريبة الأركان العامة ، والقادة الذين كانوا يخشون من حرب طويلة دموية، انما كانوا مخطئين ويصبح هتلر مرة اخرى هو المصيب . وكان هتلر هو الشخص الوحيد الذي يعتقد « بالنصر الخاطف » وكان اعتقاده يستند على تحليل جيد لمقاومة القوات الفرنسية . وفي الحقيقة انكشفت آراء قادة الجيش وثبت بأنها كانت قديمة وكان مبدأهم هو التهيب من العدو والنظر اليه اكثر مما يستحق ويتوقعون منه أبرع الأعمال ، وكان كل هذا سبباً في فشلهم وأفول نجمهم في

بولندا اولاً وفي فرنسا ثانيـــاً . وكانت جميع الحقائق تقف ضدهم بكل جلاء ووضوح .

ومع ذلك ، لم تكن هذه كل الحقيقة . فقد لعبت الظروف دوراً كبيراً فمثلا كان التسليح الفرنسي رديئاً ضعيفاً ، وكان هذا غير معروف قبلا والآن وقد تعرى وانكشف . وظهرت الدبابة وهي كثيرة العدد ومسلحة تسليحاً قويـــاً وذات درع سميك وكلها كانت بطيئة جداً ، وبالرغم من طلبات الجنرال ديغول de Gaulle المتكررة حول وجوب استخدامهـــا بوحدات كبيرة نرى انها استخدمت فرادى او مزدوجة ، اما القوة الجوية الفرنسية فكانت كثيرة العدد ولكن سرعة الطائرات وقدرتها على التسلق كانت تجعلها لا تضاهي الطائرات الحديثة ، وكانت الطائرات الالمانية تتفوق تفوقاً تاماً في هذه الناحية ، والمفاجأة الاخرى التي ظهرت هي سهولة تقوض روح القتال للقطعات الفرنسية خاصة عند مقارنتها بما كانت عليه في الحرب العالمية الأولى ، وأخـيراً ، قلة الابداع لدى القادة الفرنسيين ، ومثال واضح على ذلك ، هو عدم قيامهم بشن أي هجوم على الجناح الجنوبي للاختراق الذي وصل حتى أبيفيل Abbeville بالرغم من بقائـه واهناً ضعيفاً جداً لبضعة أيام .

ولهذا حقق التعرض الالمـــاني انتصارات باهرة بالرغم من عـــدم تفوقه العددي . وفي الحقيقة ، لم تشترك ثلاثون فرقة المانية بأي حركات مطلقة طيلة مدة الحملة ، وكل ما قامت به هو المسير لتعقب قوات الجبهة ، وكانت كمية العتاد المعروفة من قبل الجانب الالماني في هذه الصفحة من الحرب في الغرب قليلة جداً تدعو الى العجب . وكانت أقل مما كان مقدراً وضرورياً لقتال ستة أيام كاملة .

ان الحكومة الفرنسية قد أساءت لنفسها اساءة كبيرة في اخـــلاء السكان المدنيين ، لأن اللاجئين كانوا لا يضايقون تنقل القطعات الالمانية فحسب إنمـا القطعات الفرنسية ايضاً ، وكثيراً ما اصبحوا ضحية للهجمات الجوية لعدم امكان

تميزهم من الجو . وسبب هرب الكثيرين من سكان الارياف قبل موسم الحصاد وتركهم الغلة والمحصول بحالة سيئة جداً الى نتائج خطيرة في تجهيز الطعام للمدن. ولم يبق احد لرعاية الابقار والماشية ، وكثيراً ما كانت الابقار العطشى تجري في الحقول واضرعها ملأى . ولم تقدم اي مساعدة في حينه بالنظر لسرعة الحركات وتطورها .

وقد حدث كما يحدث في كل زمان ومكان ، ان قام الغوغاء الذين بقوا في الخلف بنهب وسلب كل شيء في المدن بعد احتلالها ، ولذلك كانت القطعات والاركان تدخل الدور والمحلات فتجدها فارغة خاوية ، وعندما كانت تسنح الفرص كانت بطاقات السكنى الخاصة بالجنود تسلم الى عمدة المدينة قبل حركة القطعات للتأكد من محتويات الدور وعدم اتلافها من قبل الجنود الالمان ، ولكن ما الفائدة من ذلك والسكان المحليون اسرعوا الى تلك الدور حالما تركتها القطعات وسرقوا كل شيء من تلك الدور والقصور . اما قادة الجيش الالماني فكانوا يعاقبون جنودهم اشد العقوبات عن قضايا السلب ، ولكن الجيش الالماني في ١٩٤٠ كان يتحلى بضبط متين ، ويعترف الفرنسيون انفسهم بذلك ويؤكدون ان مثل هذه الحوادث كانت نادرة . واتذكر جيداً بهذه المناسبة كيف ان القائد العام للجيش صادق على تنفيذ حكم الاعدام رمياً بالرصاص بحق رئيس اول احتياط حكمت عليه محكمة عسكرية خلال الحملة الغربية بسبب وضع يده على اموال فرنسية ، وقد نشرت المحاكمة والعقوبة واصبح الجميع يعرفونها وكانت بمثابة تحذير وعبرة للآخرين بينما كان القتال مستمراً . وبعد هذه الحادثة حكم على مقدم بالسجن لمدة عشر سنوات لسرقته أثاثاً ونقله الى شرق بروسيا .

وعندما دخلت « ابرناي Epernay برفقة قائدي » وقد باغتنا بعض الجنود الذين كانوا يسرقون محلاً للجواهر وقد حوكموا في نفس اليوم وصدرت بحقهم احكام بالسجن لمدة طويلة . وكان ممنوعاً على أي فرد منعاً باتاً

ان يأخذ اي نوع من البضاعة من فرنسا ، وكان يجري التفتيش الكمركي على كل جندي الماني في الحدود ولا يسمح لهم إلا باستصحاب المأكولات فقط ، ولم يجر تساهل في هذه الناحية إلا بعد ان قابل غورنغ هتلر وطلب منه تخفيف القيود المفروضة على الجيش .

لقد كانت العلاقات بين الجنود الالمان والسكان المحليين مرضية جداً في هذا الوقت واستمرت على هذا النحو لفترة من الزمن . وبرهنت هذه العلاقات على ان العداء الموروث بين الشعب الفرنسي والالماني لم يكن له وجود . ولكن الذي خلق التباعد والنفور بينهما من جديد هو شروع حركات الانصار من ناحية ، وغلو وكلاء هملر ، وسوكل ، وروزنبرغ في ارتكاب الجرائم من الناحية الاخرى .

لقد اكتسب الجيش خبرة عظيمة خلال القتال الذي استمر لمدة ستة اسابيع وخاصة في التغلب على المواقع المائية والدفاعات الدائمية ، وكذلك في التعاون مع السلاح الجوي الذي كان تأثيره فعالاً على العدو وكان السبب الرئيسي للنصر السريع .

وقد ثبت بصورة عامة ، ان تدريب القطعات كان في الاتجاه الصحيح ؛ وكان تنظيمها سليماً صحيحاً ، وان الفرق المدرعة Panzer قد اثبتت جدارتها ، والذي يفوق كل ذلك بهجة وحبوراً هو ان الخسائر كانت قليلة جداً .

وقد ثبت مرة أخرى صحة المبدأ وهو يجب على القادة في حرب الحركة ان يقودوا قطعاتهم اذا ارادوا ان تكون قيادتهم واوامرهم موافقة منسجمة مع متطلبات الموقف الذي قد يتغير من لحظة الى اخرى . اما قيادة القطعات من مقرات بعيدة في الخلف يكون من المتعذر معرفة النجاح الاولي ، واستثماره بالاجراءات الملائمة والاطلاع بصورة مستمرة على الوضع التعبوي والسوقي. وعلى

العموم ، ثبت ان التعرض هو خير انواع الحركات من حيث الفوائد والحسنات. وذلك تجنباً لتكرار الحرب الموضعية الرهيبة لسنة ١٩١٤ - ١٩١٨. والسبب في ذلك هو ان السلاح الجوي والقوات المدرعة كانت مجهزة بوسائط هجومية جديدة ولم تتغلب عليها أي اسلحة دفاعية. وعلاوة على ذلك، لما يكون المهاجم مجهزاً بالاسلحة الملائمة الصحيحة يكون متفوقاً على خصمه الذي يساويه بالقوة دائماً. وذلك لأنه يتمتع بالمبادأة ، وهي ان المهاجم هو الذي يقرر مكان ووقت المعركة الحاسمة. ويتحكم في نتائجها ، اما المدافع ، من الناحية الثانية ، فيجد نفسه مضطراً لأن ينقاد الى رغبة المهاجم.

وهنا نثبت ان الجنرال غاملان كان مخطئاً عندما قال : اذا تهجم تخسر.

دنكرك وخطة « اسد البحر »

لقد كان الانتصار العسكري للحملة الغربية باهراً وعظيماً ، ولكنه لم يتوج بالجائزة النهائية بل حرم منها ، لأنه تعذر اعاقة انسحاب قوة الحملة البريطانية ، ولم تقع في الاسر ، ولو تم ذلك لحرمت من اشتراكها في الحرب مرة أخرى. والآن ما هو السبب في هذا الفشل ؟

كان الجيش الثامن عشر القادم من الشمال ، في نهاية مايس ، يخوض معركة عنيفة مع البريطانيين الذين كانوا يقاتلون قتالاً مستميتاً ، وكانت مقدمة جحفل فون كلايست المدرع قد اخترقت مؤخرة البريطانيين من الجنوب وهددت طريق هربهم الى دنكرك ، واصبح غلق هذا الطريق غلقاً تاماً مرهوناً بأيام. وفي ٣٠ مايس اصبحت القوتان الالمانيتان قريبة الواحدة من الاخرى بحيث اصبح من الضروري الاتفاق على الخطوط التي بعد عبورها تتوقف احداهما عن الرمي لاجتناب رمي الواحدة الاخرى. وقد اصبحت قطعات اللورد غورت الآن

في ممر ضيق وخاب كل أمل في نجاتها ، وهنا حدث ما ليس بحسبان قادة خط الجبهة. أمر كلايست بالتوقف ومنع من التقدم خطوة اخرى الى الشمال. وطلب منه حتى سحب بعض وحداته المتقدمة ، وبهذه الطريقة فسح المجـال للقطعات البريطانية ان تصل الى دنكرك . وابتدأت الشكوك تساور النفوس وقيل كيف يمكن للجيشين الالمانيين ان يعطيا طريقاً للانكليز المنسحبين ؟ وما هو السبب لهذا العمل ؟ ومن أعطى هذا الأمر ؟ . انه هتلر الذي تدخل في هذه الآونة ، فقد كان يخشى ان تتكبد قوات كلايست المدرعة خسائر فادحة في المعركة مع غورت بحيث تصبح غير قادرة على الاشتراك في التصفية النهائيـــة مع الجيش الفرنسي . ويظهر ان هتلر ، بهذه النظرة ، كان متأثراً بفكرة خاطئة تمامـاً ، وهي انه كان يجهل حقيقة منطقة الفلاندرز[1] وهذا التفكير الخاطىء نتيجة تذكره للحرب العالمية الأولى ، حيث كان يخشى ان تغوص الدبابات في الاراضي الرملية وفي المناطق المغمورة بالماء ، وربما اراد هتلر ان لا يعيد ما حـــدث للالمان في سنة ١٩١٤ .

لم يتمكن براوشش من اقناع هتلر بالعدول عن اصدار أمر التوقف . امـا هتلر فقد أراد ان يظهر ان ارادته هي المنتصرة وانه أقوى من معارضه القائد العام للجيش . ولذلك أرسل ضباطـــاً من مقره من ضمنهم كايتل الى جميـــع القيادات للتأكد من تنفيذ أمره . وقد يكون اصراره نتيجـــة لوعود غورنغ واقناعه بأن السلاح الجوي قادر على منع البريطانيين من النجاة . وكلاهما قـــد تجاهلا الحقيقة ، وهي ان السلاح الجوي له حدوده . وانه قد يستطيـــع عرقلة التنقلات الأرضية وأن يجعلها باهظة الثمن ، ولكن لا يشلها تماماً .

ومن سوء الحظ ان الجو أصبح غير ملائم جـــداً ، ولهذا لم يخصص السلاح

---

١ – كان يظن في ذلك الوقت هو أن هتلر اراد ان يترك الباب مفتوحاً للتصالح مع بريطانيا. ولكن خطابه في الرايخستاغ يوم ١٩ تموز لا يؤيد هذا الظن .

الجوي لهذا الغرض خلال الأيام الحاسمة سوى قوات ضعيفة نسبياً ولفترات قصيرة. وكانت هذه الفترة كافية للجيش البريطاني أن يتخذ مواضع حول دنكرك لستر انسحابه وهكذا استطاع غورت ان ينقذ القسم الأكبر من قطعاته ويعيده الى انكلترة [1] .

وقد كان الانسحاب من الاعمـــال الرائعة ، حتى ان الملك أنعم على اللورد غورت بأسمى الأوسمة العسكرية . ولم تستطع حتى طبول غوبلز أن تقلل مـــن شأن هذا الانتصار . ولو ان هتلر لم يصدر ذلك الأمر المشؤوم بوجوب وقف دبابات كلايست ، مما أفسح المجال لغورت بالهرب والنجاة ، لكان على جميـــع البريطانيين أن يختاروا بين الموت في المعركة أو الأسر . ولكن الذي حدث ، ومع أن انكلترة كان عليها انتضحي بكميات كبيرة من المواد الحربية ، لكنها استطاعت أن تنقذ القسم الأكبر من جنودهـــا ، وأن تجعلهم نواة للدفـــاع عن الجزيرة البريطانية ، والأكثر من ذلك ـ وهو الأهم ، ان هؤلاء النخبة من الجنود البواسل والمدربين يصبحون أساساً متيناً لجميع التشكيلات الاخرى التي تشترك في معارك افريقيا ، وإيطاليا ، وأخيراً في اوربا الغربية ، ولكن كم كان يصبح موقف بريطانيا مختلفاً لو أنها فقدت معظم قواتها الفعالة هناك . ولذلك كان تدخل هتلر في حركات الجيش في منطقة الفلاندرز في مايس ١٩٤٠ له اكبر الأثر على مجرى الحرب فيما بعد .

لقد انهمك هتلر ، بعد ان القت فرنسا سلاحها ، باعداد الحرب ضد انكلترة. وقد أدت مداولات ومقترحات الأركان العامة للجيش بقرار القيـــام بالانزال في انكلترة. كان الاسم الرمزي لعملية الانزال (اسد البحر) « Sea Lion » وشرع بالاستحضارات في حزيران لنقل جيشين على الساحل الجنوبي من انكلترا مبدئياً،

---

١ ــ لقد استخدم حتى أصغر الزوارق وأردأها لنقل ما ينيف على ثلاثمئة ألف جندي من الانكليز والحلفاء الى بريطانيا . والغالبية كانت من منطقة دنكرك والبعض من منطقة بريطني .

وكان جحفل جيش روندشتيت يشتمل على الجيش التاسع والسادس عشر ، وكان عليهما أن يقلعا من ساحل نورماندي وينزلا في مكان بين الدوفر وبورتسموث . وكان على الجيش السادس ان يتبعهما فيما بعد للاسناد . ولكن لم تتيسر بواخر انزال كافية ، ولذلك جمعت كل الوسائط الممكنة حتى زوارق النهر وأصبحت جاهزة في موانىء هولاندة وشمال فرنسا . وكانت تلك البواخر والزوارق لا تستطيع العبور اذا ازدادت سرعة الريح عن الشدة ، ولا يمكن ان يكون مثل هذا الجو الملائم ولو لبضعة ايام الا في نهاية ايلول . وقد قدر بانه اذا سارت الحركات حسب الخطة يمكن انزال قوة كبيرة مؤلفة من ١٢ فرقة خلال ستة أسابيع .

ولا ريب ان الاسطول البريطاني كان يؤلف التهديد الاكبر لنجاح الانزال ، وكان الاسطول الالماني نفسه أضعف من ان يشل الاسطول البريطاني عن العمل ، اضافة لذلك ، هل كان السلاح الجوي قادراً على منع تدخل الاسطول الانكليزي. وعلى كل ، كان الجيش يرغب في التعجيل بتنفيذ المهمة لأنه كان متفائلا من النتيجة اكثر من البحرية ، وقد دعى براوشش حركة « اسد البحر » انها حركة « عبور نهر بمقياس واسع » . وقد أخذ هتلر على عاتقه البحرية ، لأنه كان غير مطمئن منها وكان لا بد من وجود أسباب لهذه الشكوك والمخاوف ، ولكن يوم الشروع كان يؤجل باستمرار ، حتى أصبح الجو في نهاية ايلول رديئاً لا يساعد على الانزال مطلقاً ، والحقيقة كان هتلر منذ البداية يبدو وكأنه غير راغب في الانزال في بريطانيا . وربما كان لا يزال يأمل الوصول الى اتفاق مع بريطانيا . ومن الجائز ايضاً انه اتخذ قراراً باتاً منذ أوائل صيف ١٩٤٠ بمهاجمة روسيا . ان هتلر كان يتمتع بقدرة عظيمة على اخفاء نواياه حتى على اولئك المقربين منه والحائزين على بعض ثقته منهم وهذه الصفة فيه جعلت من الصعب جداً حتى على هؤلاء ان يعرفوا الأسباب التي دعت هتلر أن يعدل في الاخير عن فكرة الغزو . وفي النهاية كانت الاستحضارات مستمرة وربما كانت بقصد التهديد فقط .

اننا نعلم اليوم بان القيادة العليا الالمانية كانت مصيبة في اعتقادها في ذلك الوقت وهو ان المقاومة اثناء الانزال وبعده قد لا تكون قوية جداً ، ولنفرض ان الانزال قد نجح . حتى ولو كان بثمن باهظ وخسائر فادحة . ولكن عندما نتأمل وندرك شدة مراس الشعب البريطاني ، يتضح لنا انه من المستبعد جداً انتهاء الحرب باحتلال بريطانيا العظمى ، بل من المحتمل جداً ان الحكومة البريطانية ستستمر في كفاحها من كندا .

لجنة الهدنة

لقد وقع كل من كايتل عن الجانب الالماني والجنرال هنتزيكر Huntziger عن الجانب الفرنسي اتفاقية الهدنة في ٢٢ حزيران ١٩٤٠ في غابة كومبين Compiègne . وبعد يومين تم الاتفاق في روما على الهدنة بين فرنسا وايطاليا . ولكن الفرنسيين كانوا يوقعون الاتفاقية مع ايطاليا والألم يحز في نفوسهم ، لأنهم لم يقاتلوا الجيش الايطالي إلا نادراً ، ومع ذلك ، انهم الآن يخضعون لسيطرتهم في شواطىء البحر الأبيض المتوسط ، وفي مراكش ، والجزائر ، وتونس ، وفي سوريا. وقد صرح الجنرال هنتزيكر في غابة كومبين: ان فرنسا قبلت شروط المنتصرين ، وعلى أية حال ، إذا كان هناك أمة أخرى أعلنت علينا الحرب ولم تقم بها ، وتقدم على طلبات مشابهة ، فعندئذ تفضل فرنسا أن تفنى على أن تسلم لهم. وإن الاغراء الألماني، وتخلي موسوليني عن القسم الذي سمح له باحتلاله في جنوبي فرنسا نجحا أخيراً بالحصول على توقيع فرنسا .

لقد كانت محتويات اتفاقية الهدنة الفرنسية – الالمانية عسكرية ، وقد تشكلت « لجنة الهدنة الالمانية » للاشراف على مراعاة نصوصها ، وكنت احد اعضائها ، وقد عهد الى هذه اللجنة ايضاً التأكد من انسجام تنفيذ بنود الاتفاقية الفرنسية – الالمانية والفرنسية – الايطالية . وقد كان مقر اللجنة والبعثة الفرنسية المرتبطة باللجنة في فيسبادن . ولا ينكر الفرنسيون المعاملة الحسنة

والترحاب بهم اثناء وجودهم في المانيا ، وانهم لم يجدوا أي مضايقة او انزعاج من السكان المدنيين ، وكانت لهم الحرية المطلقة في التنقل ضمن دائرة قطرهـا خمسون كيلو متراً ، ووضعت تحت تصرفهم عجلات كافيـة للاستفادة منها في اغراضهم . وكانت المواصلات بينهم وبين مقر حكومتهم في فيشي جوية مستمرة وكانوا يحـلون في « فندق روزه » الشهير ، وكان رئيس البعثة الفرنسية هو الجنرال هنتزيكر الذي امتاز بالفطنة والوقار عند عرض وجهة نظره وبهـذا نال احترام وتقدير الجميع له .

كان الفرنسيون يحاولون محاولات عقيمة للحصول على خير ما يمكن لأنفسهم ، ولكنهم مع ذلك نفذوا بنود المعاهدة بصدق وأمانة ، اما لجنة الهدنة الالمانية فكانت حريصة اشد الحرص على التمسك ببنود اتفاقيـة « كومبين » ؛ وكان رئيس اللجنة في البداية الجنرال فون شتولبناكل ثم خلفه الجنرال فوكل Vogl وكانت اللجنة تتوخى العدل والانصاف في التطبيق ، بل كثيراً ما كانت تميل الى مساعدة الشعب الفرنسي ، وكانت نتيجة ذلك ان ثار عليها قادة « الرايخ الثالث » واصبحت موضع شك وريبة . ورأى كايتل انه من الضروري ارسال برقية الى « شتولبناكل » يذكره فيها بأن لا يتحيز الى الفرنسيين وان لا يعطيهم أي اسبقية ، اما غورنغ فقد ذهب ابعد من ذلك حين ارسل برقية اكثر قساوة فقد اتهم اللجنة بالضعف وبأنها لجنة متفرنسة ؛ وليس من الغريب بعد هـذا ان تحدد وتقيد اللجنة ، وكانت اللجنة بصورة خاصة شوكة في جسم روبنتروب ، لأنه كان يعتقد ان العسكريين لا يقدرون على صيانة مصالح الرايخ – كما يعرفهم ويفهمهم .

ولهذا السبب سحبت من اللجنة جميع الشؤون الاقتصادية وأنيطت بهيئـة خاصة تابعة للدائرة الخارجية بصورة مباشرة . اضافة لذلك ، انشأت سفارة المانية في باريس للقيام بواجباتها الخاصة . وكانت هذه ومنظمات أخرى – تشكلت حديثاً او انها كانت تعمل من المانيا مباشرة – كهيئة العمل ووحدات خطة

السنوات الأربع المشؤومة التي تعود الى روزنبرغ او منظمة سوئل . وكانت جميعها تتدخل تدخلاً فعلياً ، وخاصة في شؤون القائد العسكري في فرنسا . مع ان السلطة التنفيذية قد سحبت من القائد العسكري بعد تعيين « قائد كبير من الـ S S والشرطة لفرنسا » . وهكذا أصبحت السلطة المضاعفة عامة وفي كل مكان وكانت تتجلى في فرنسا ، ايضاً ، بصورة بينة واضحة . وكانت هناك عدة دوائر المانية تعمل دائماً جنباً لجنب في نفس القاطع ، او بالاحرى ، كانت تعمل الواحدة بعد الأخرى . وقد أدرك الفرنسيون هذا الاختلاف والتضارب، وشرعوا يستفيدون منه بحذق وبراعة في سبيل أغراضهم . وصاروا يؤلبون الواحدة على الأخرى . اما التدخل الذي كان يجري خارج ميدان العمل العسكري فكان في كثير من الحالات يؤدي الى تحطيم السمعة الالمانية ، وكان الفرد العسكري يأسف ويتألم لهذا اكثر من اي فرد آخر ، ومن أمثلة ذلك ، الأعمال الشائنة التي رافقت الترحيل من الالزاس واللورين بقيادة كولايترز بركل وفاجنر . وكان في كثير من الحالات يطرد « المخطئون » وهم الذين لهم ميل نحو الالمان – من البيت والمسكن بانذار بضع ساعات – وجميع هذه الاجراءات ، التي لا يمكن ان تنسى بسرعة ، كانت تجري بدون علم لجنة الهدنة والقائد العسكري ، الذي لم يكن يعرف عن هذه الحوادث الا من المصادر الفرنسية .

لقد أصبح موقف الشعب الفرنسي ، بعد السقوط ، وخاصة البحرية موقفاً عدائياً صريحاً لبريطانيا العظمى ، لأنهم شعروا بأن انكلترة بسحبها قوة الحملة قد تركتهم في الفخ . وهم يتذكرون جيداً القصف البريطاني للاسطول الفرنسي وهو في مراسيه في مرسى الكبير ودا كار ، وعلى العكس من ذلك نجد ان موقف لجنة الهدنة الالمانية الجيد التي كانت الدوائر العسكرية الالمانية في فرنسا تؤيد اللجنة في موقفها . وشعورها مما جعل القسم الاكبر من الشعب الفرنسي يعمل الى جانب المانيا في الحرب وخاصة البحرية الفرنسية ، ولم تقع حوادث تخريب

في ذلك الوقت الا نادراً بالنظر للموقف الفرنسي الفردي ، ولذلك لم يجد الالمان ضرورة في اتخاذ اجراءات صارمة في حينه .

كان القادة السياسيون الالمان ، من الناحية الثانية ، يساورهم شك دفين ، لا مبرر له في ذلك الحين ، تجاه الحكومة الفرنسية. وعمد كل من هملر وربنتروب، بصورة خاصة الى اثارة شكوك هتلر وتغذيتها . وعلى سبيل المثال قدم تقرير في نهاية عام ١٩٤٠ - ١٩٤١ ، وكان ذلك التقرير مزوراً لا أساس له ، كتبه هملر، وكان التقرير يتعلق بحركة جيش مزعوم يتألف من مليوني جندي فرنسي من الوسط نحو ساحل البحر الابيض المتوسط . وبناء على هذا التقرير ، جاء نداء تلفوني من كايتل ، وقد أجبته أنا ، وكان كايتل يوجه التحذيرات النابية باسم هتلر الى لجنة الهدنة ، على اعتبار ان اللجنة لم تخبر بشيء من ذلك . لعل هذه القضية ترينا كم كان من السهل التأثير على هتلر من « اعوانه » . لقد كان غرض العسكريين الالمان التعاون مع الفرنسيين دائماً ، ولكن ريبة هتلر وشكوكه كانت السبب الوحيد في عدم تحقق ذلك الغرض . اضافة لذلك، لم تبين الحكومة الالمانية لفرنسا ما هو مغزى معاهدة السلم بالنسبة اليها ، وقد حرصت بدلاً من ذلك على أن لا تلتزم باي شيء قبل انتهاء الحرب مع بريطانيا.ولذلك يتعذر عليها الآن ان تعين شكل معاهدة السلم الفرنسية - الالمانية، ولكنها لن تكون بكل تأكيد معاهدة انتقامية .

كان هذا موقف هتلر ، ولذلك من الطبيعي ان تكون نتيجة المقابلة في مونتوار Montoire غير ناجحة ، ولذلك استنتجت فرنسا - مصيبة كانت او مخطئة - بان هتلر كان يريد ان يعوض لنفسه ، على حساب فرنسا ، عندما تكون نتيجة الحرب غير مرضية. فيطلب بعض الامتيازات، فمثلا تدعو الضرورة لغرض الدفاع ان تتخلى فرنسا في ذلك الوقت عن الالزاس واللورين ، كما كان يخشى ان يتعدى ذلك الى ضم اراض اخرى . وفي الحقيقة ، بالرغم من تعيين

خط الحدود بين المناطق المحتلة وغير المحتلة ، فان هتلر قد رسم خطاً « اسود » او خط « الفوهرر » الذي يبدأ من السوم وباتجاه الجنوب الشرقي نحو الحدود السويسرية ، وكان قد منع جميع اللاجئين الفرنسيين من العودة الى المنطقة شمال هذا الخط . وكانت الحكومة الفرنسية تخشى من فقدان هذه المنطقة ايضاً . ولكن امر هتلر لم يتحقق بصورة فعلية ، لعدم تيسر قوات كافية لغلق الحدود، وهكذا استطاع اللاجئون من التسرب تدريجيا الى وطنهم حسب موافقة سلطات الاحتلال الضمنية التي طالبت بوجوب عودة الحياة التجارية الاعتيادية في المنطقة .

ولم يؤد هذا الامر في النهاية سوى الى الاغاظة ، وهذا الامر كغيره من الاوامر المتعذرة التطبيق ، قد سبب الى اضعاف السلطة الالمانية ، وبالرغم من ذلك ، لم تنجح المحاولات في الغاء هذا الامر رسمياً .

وقد كانت الحوادث تأخذ نفس الاتجاه والمجرى في ادارة منطقة با دي كاليه ونورد ، وكانت هاتان المنطقتان الواقعتان شمال شرق فرنسا ، في صيف ١٩٤٠ ، خاضعتين اداريا الى القائد العسكري البلجيكي. وأفهم الفرنسيون بأن هذا الاجراء كان ضرورياً لتصبح جميع الأراضي التي يقفز منها لغزو بريطانيا تحت قيادة واحدة ، ولكنه عندما اتضح بأنه ليس ثمة انزال على انكلترة واسيستمرار هذا الفصل،لذلك اعتقد الفرنسيون بأنهم سيخسرون هاتين الادارتين بصورة دائمية .

لقد قسمت فرنسا الى قسمين بواسطة خط الحدود بين المناطق المحتلة وغير المحتلة ، ولكن هذا الخط لم يكن محكماً لا يمكن النفوذ منه كما هو الحال بين المنطقة الغربية والشرقية في المانيا . ولكنه مع ذلك كان يؤلف مانعاً وعائقاً كبيراً وذلك لعدم السماح للبريد او البضائع او الاشخاص بالعبور بدون اذن خاص . ولذلك طالبت الحكومة الفرنسية برفع السيطرة عليه، او اجراء بعض

التساهل فيها على الاقل . وقد ايدت السلطات العسكرية الالمانية هذا الطلب ، ولذلك جرت مفاوضات في اوائل صيف ١٩٤٠، ولكن فشلت هذه المفاوضات لأن الحكومة الايطالية اصرت على توسيع السيطرة الكمركية على الحدود الفرنسية - الايطالية وعلى ساحل بحر الابيض المتوسط الفرنسي ، ولكن الفرنسيين ، لم يوافقوا على ذلك . ولكنهم كانوا من الناحية ، يوافقون على قيام سيطرة كمركية المانية متسترة في المنطقة غير المحتلة . أما القادة والسياسيون الالمان فقد وجهوا اهتماماً كبيراً الى طلبات الايطاليين الثقيلة وبعد التداول معهم وتخفيف هذه القيود والطلبات بدرجة كبيرة يمكن ان يحتملها الفرنسيون ، ولكن الفرنسيين أعلنوا من جانبهم بأنهم لا يحتملون الخضوع للسيطرة الايطالية مهما كان نوعها ، وانهم يفضلون اعتبار خط الحدود الموجود حالياً هو المعمول به ، وهكذا كان بالرغم من وجود ثغرات عديدة في هذا الخط ولكنها كانت لا تؤلف عقبات خطيرة .

وكانت هناك مشكلة خطيرة اخرى بالنسبة للحكومة الفرنسية وهي التعويضات ، وكان على فرنسا ان تدفع في البداية عشرين مليون مارك يومياً ، ما يعادل اربعة ملايين فرنك ، ولكن رئيس لجنة الهدنة ، الجنرال فون شتولبناكل ، والذي أعدم للدور الذي قام به في مؤامرة ٢٠ تموز ١٩٤٤ ، اعتبر هذا المبلغ كثيراً جداً وانه سيحطم التجارة الفرنسية واقتصادها ، ولكن النتيجة كانت في ايدي الدائرة الخارجية ، ثم ان غورنغ كان المشرف على خطة الاربع سنوات ، ولذلك لم تخفض اثمان هذه التعويضات كثيراً في اوائل عام ١٩٤١ .

كانت اتفاقية الهدنة ، تسمح لحكومة بيتان بالعودة الى باريس اذا رغبت في ذلك ، وقد حاول بيتان مرتين الاستفادة من هذه المادة عام ١٩٤٠ ، ولكن ريبنتروب طلب في كلتا الحالتين تأجيل الانتقال . وطلب ريبنتروب تأجيل

الموافقة الى فرصة أخرى . وفكر البعض أن الموعد كان عيد الميلاد ولكنه سرعان ما الغي هذا الموعد وأرجىء الى عيد الفصح ، وكان يعتقد بأن الحكومة الفرنسية ستكون شاكرة لهذه المنحة ، وفي الحقيقة كان من الصواب جداً أن تكون العلاقات جيدة ، وأن تكون حكومة بيتان صحيحة سالمة في المنطقة المحتلة بدلاً من المنطقة غير المحتلة .

سمح لفرنسا بالاحتفاظ بجيش مؤقت مؤلف من مائة الف جندي في « المنطقة الحرة » ، على أن يكون تأليفه وتسليحه مشابهاً للجيش الألماني بعد فرسايل . وجميع الجنود المحترفين الذين لم يكونوا في هذا الجيش الصغير – لارتباطاتهم أو فيما اذا كانوا لا يزالون أسرى حرب – كانوا يستلمون رواتبهم المقررة لهم حسب القانون حسب موافقة هتلر . وقد شكل هذا الجيش الموقت في أوائل ١٩٤٠ وكان خاضعاً الى اشراف الماني واسع جداً . وعلى جميع المواد الحربية الكثيرة التي كانت لديهم أثناء الاستسلام أو التي كانت موجودة في المستودعات لجيش المستعمرات الفرنسي وكذلك الأسطول ، جرد من أسلحته ولم تسلم اليهم . وقد سمح لبعض القطعات الأخرى ، مع قسم من القوات الجوية لأنها كانت تعود الى شمال أفريقيا ، والى سوريا ، والصومال الفرنسي وأفريقيا الغربية الفرنسية ، والهند الصينية . وكانت قوات شمال أفريقيا ، في مراكش ، والجزائر ، وتونس تبلغ ١٥٠٫٠٠٠ رجل بما فيها الوحدات المحلية ، وقد حاول الفرنسيون ، عند المساومة ، الدفاع عن هذه المناطق بكل ما لديهم من قوة تجاه أي هجوم .

وقد عهد للايطاليين الاشراف على جميع القوات الفرنسية في منطقة البحر الأبيض المتوسط،وكانت معاملة الايطاليين أبعد ما تكون عن المروءة والشهامة. ولكن الفرنسيين حاولوا جهدهم لتحسين هذه المعاملة . فمثلاً طلب الفرنسيون في شمال أفريقيا الأجهزة اللاسلكية التي كانت تعود للمشرفين الايطاليين وبهذه الطريقة استطاعوا انقاذهم من الموقف المحرج الذي كانوا يواجهونه بسبب تدخل

حلفائهم الألمان. ولم يتحسن موقف الايطاليين في شمال افريقيا الا بعد عام ١٩٤١ عندما أصبحت السيطرة مشتركة بين السلطات الألمانية والايطالية ، وكان الايطاليون ، في حالات أخرى ، يطلبون التأييد والمؤازرة عندما يصل التدخل الألماني حداً بعيداً لا مبرر له . وكانت لجنة الهدنة الألمانية تجابه موقفاً صعباً مربكاً ، لأنها كانت إما ان تنكر حليفتها وإما ان تأخذ بوجهة نظرها المخالفة لقرارها ورأيها . وكثيراً ما كانت هذه المشكلة تؤدي الى نتائج خطيرة .

ومن أمثلة هذه الصعوبات محاولة الايطاليين تقليل القوة الفرنسية دائماً في ممتلكاتها في البحر الأبيض المتوسط ، بينما كان ذلك في نظر الألمان من الأمور الخطيرة . وكانت لجنة الهدنة الألمانية تعتقد ، أن من صالح ألمانيا وايطاليا العسكري ان يكون دفاع المستعمرات الفرنسية ناجحاً ، أما اذا قطعت هذه القوات وأصبحت ضعيفة فلا يمكن أن نتوقع من الفرنسيين إبداء مقاومة عنيفة تجاه أي هجوم . ومن الطبيعي أن يكون ثمة خطر قيام القائد الفرنسي المحلي بانتهاك الثقة المودعة فيه والانضمام الى العدو . ولا ريب ان هذا الخطر عظيم ، وفي الحقيقة قد يكون التحريض أكبر وأعظم ، اذا اتبعت خطة التمزيق هذه والتي تنطوي على الاساءة الى شرف الجندي الفرنسي العسكري. حيث لا تتمكن المانيا او ايطاليا من اجراء أي شيء لمنع أي قصور أو ارتداد، مثلاً، في مراكش أو الجزائر ولذلك ، كان بلا ريب ، من الأفضل والأكثر صواباً وفطنة أن نلتقي مع فرنسا في منتصف الطريق ، وأن لا نسيء اليها بحيث تفقد سجيتها وطبعها ، فلو أن القوات الفرنسية خارج فرنسا تخلت عن بيتان وانضمت الى دي غول de Gaulle فليس المهم في هذه القضية انتقال مائة وخمسون الف جندي أو مائتي الف جندي و ٥٠٠ أو ٨٠٠ دبابة ، كانت على كل حال قديمة ، الى الجانب الآخر .

ومن سوء الحظ ، أن آراء لجنة الهدنة لم تنل الموافقة التامة للقيادة العليا

للقوات المسلحة . ومع ذلك كان موقف القيادة بلا ريب أكثر لطفاً وسخاءً من الايطاليين . وقد أظهرت القوات الفرنسية خلال الدفاع عن سوريا في أوائل ١٩٤١ تحت قيادة الجنرال دينتس Dentz ، والذي حكم عليه بالاعدام أخيراً ، تصميماً وعزماً على الصمود ، ويعزى السبب الرئيسي لاندحارهم الى نقص العتاد والمعدات غير الملائمة ، وكانت السيطرة الايطالية هي المسؤولة عن هذه النواقص ، وقد اتخذت اجراءات المانية لتعزيز تلك القطعات ، كنقل القطعات ، والعتاد ، والطائرات من فرنسا بالرغم من معارضة الايطاليين ، ولكن تلك الاجراءات كانت متأخرة ، وقد يكون السبب المفاوضات التي استغرقت وقتاً طويلاً بين لجنتي الهدنة . لقد كانت حلقة مغلقة من الشرور والفساد ؛ فمن ناحية كانت الأمانة المطلقة هي الغرض المطلوب ، ومن ناحية أخرى كانت لا تتيسر الوسائل المطلوبة لتحقيقها .

لقد كانت حكومة الأدميرال دارلان Darlan ترغب في التعاون مع المانيا حتى صيف ١٩٤١ - وكان هذا الموقف متأثراً بعداء شخصي لرئيسها تجاه البحرية البريطانية . ولذلك من الطبيعي ان لا يعني هذا الميل والتعاون بأن الحكومة الفرنسية كانت بأي حال من الأحوال «متألمنة» أو «نازية» . وقد كان دارلان ، والمارشال بيتان طبعاً ، فرنسيين وطنيين ، وكانت مشكلتهما ، مشكلة ليست نادرة في أوروبا : وهي إما أن يهاجرا عن وطنهما وإما أن يتعاونا في سبيل انقاذ ما يمكن انقاذه . أما قرارهما الذي كان يستند على فكرة خاطئة تماماً ، وهو أن المانيا ستربح الحرب ، فكان قضية أخرى . ولكن مع ذلك لم ينظر اليهما ضابط الماني غير متحيز نظرة الازدراء والاحتقار كما كان ينظر الى المتعاونين أمثال « الكويزلنكيين » المرتزقة . أما لافال فكان من الوزراء الذين يتمتعون بقوة الحجة والجدل .

ويمكننا أن نجزم أن سبب قبول فرنسا في مايس ١٩٤١ طلب الألمان في

استخدام قواعد الطائرات والغواصات الكائنة على سواحل الأطلس لمراكش وفي داكار واستخدام ميناء بيزرته في تونس لتموين رومل ، هو اعتقاد مجلس وزراء دارلان أن من صالح فرنسا التعاون مع المانيا . مع العلم أن الحكومة الفرنسية طلبت بدورها - وكان معها كل الحق في ذلك - بعض الامتيازات والتنازل . فقد طلبت أولاً اطلاق سراح عدد كبير من أسرى الحرب ، ثم تقليل السواحل المحتلة ، وأخيراً تقليل كمية المواد التي تطلبها القوات المسلحة الألمانية وقد صرح دارلان أن حكومته اذا فشلت في اقناع الشعب الفرنسي بوجهة نظرها، وخابت في تبرير خطواتها ، فانها ستسقط عاجلا أو آجلا . ولم تجابه حكومة دارلان أي طعن ازاء هذه التصريحات الشديدة ، خاصة وأن حكومة دارلان لم تبد ما يثير « الشك » فيها وعدم الرضى منها . وعلى كل فان الحكومة الألمانية لم تقدم سوى امتيازات طفيفة ، كانت في نظر الفرنسيين زهيدة تافهة بالنسبة لفقدانهم القواعد ، وكان هذا ، أمراً طبيعياً ، ولكن الألمان لم يتوقعوا احتمال الاجراءات البريطانية المقابلة الفعالة والتي كانت لا بد منها بدون فقدان بعض الفوائد والمحاسن . لذلك فقد الألمان فرصة توجيه الحرب نحو البواخر البريطانية من القواعد الملائمة وتسهيل مهمة تموين قطعاتنا في شمال أفريقيا .

وكان عدم استعداد الالمان لترضية الفرنسيين سبباً في خيبة أملهم وتحطيم اسس التعاون معهم . وكان تصرف حكومة هتلر في البداية ارغام الشعب الفرنسي ثم حكومته للتخلي عن القوى الغربية ، ولكن اندحارات الايطاليين في اليونان، والبانيا ، وفي شمال افريقية كانت سبباً في التباعد والنفور بينهما ، ثم ان الهجوم الالماني على روسيا لم يكن موفقاً مكللاً بالنصر وهذا ايضاً قد لعب دوراً كبيراً في ذلك التباعد ، وعلى كل ، فان السياسة الالمانية قد فشلت ، بالرغم من عدم وجود كراهية بين الشعبين . ومما يثبت ذلك ان فرنسا قد اظهرت استعدادها بعد فترة سقوط المانيا للتصالح معها ، وكانت هذه فرصة ثمينة للقضاء على سوء

تفاهم طيلة عصور ، ولكن لم تغتنم تلك الفرصة ، وخسر هتلر هذه المعركة السياسية لجهله وغبائه .

وقد يبدو انه من الصعب جداً ان يلتقي المنتصر بعدوه المهزوم في منتصف الطريق ويعامله معاملة عادلة . وعلى شعبنا ان يدرك هـذا حق الادراك . وان هذا الخطأ لم يرتكبه القادة العسكريون الالمان تجاه فرنسا في الحرب العالمية الثانية ، ولكن لم يكن بمقدورهم تحسين الوضع اكثر من ذلك .

٥

في الصّحراء ١٩٤١ - ١٩٤٣

بداية القصة

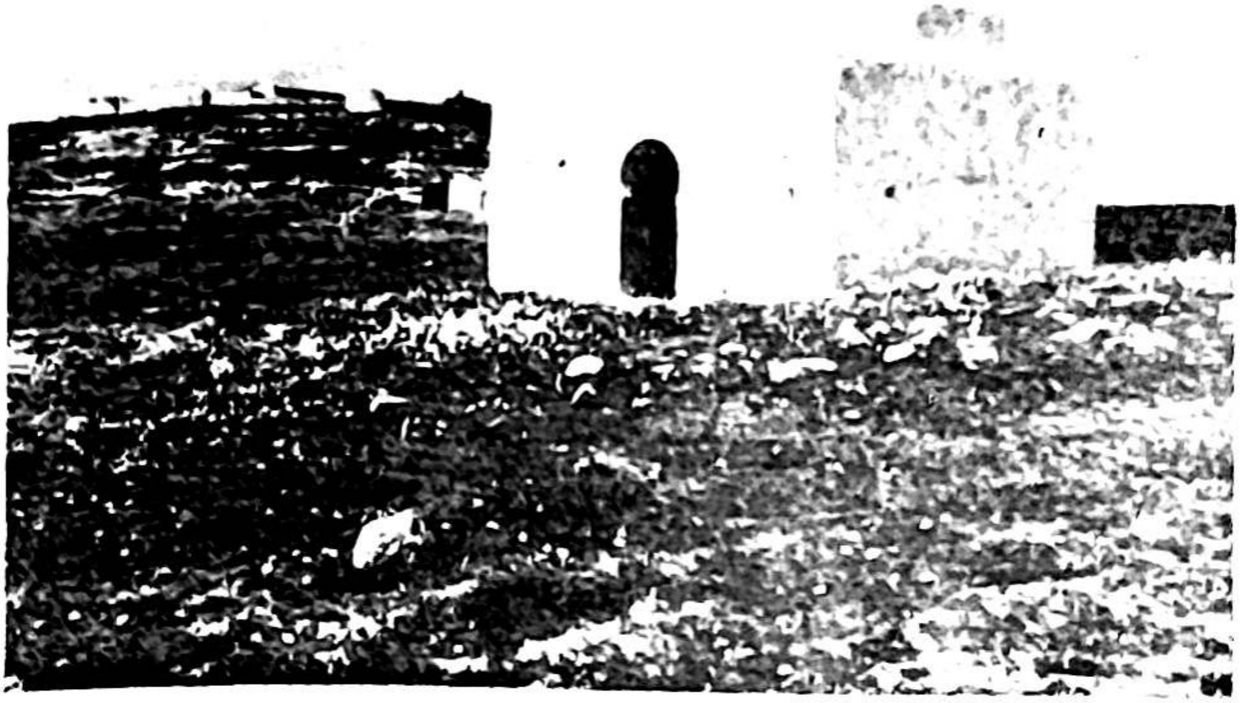
دخلت ايطاليا الفاشستية الحرب في ١٠ حزيران ، ١٩٤١ ، قبل الهدنة الالمانية الفرنسية بأيام قلائل . وكان الجيشا لالماني يتوقع - ليس هناك فقط - بان الحليفة ستشن الهجوم فوراً . كيف لا ، وان موسوليني كان كثيراً ما يشيد بعظمة قواته المسلحة ، ألم يتحدث موسوليني عن مقاتليه الذين يبلغون ثمانية ملايين ، والذين يمتازون بشجاعتهم ورباطة جأشهم ؟. ولكن الحقيقة لم يحدث شيء الى الآن . ان موقفهم العدائي في الألب لا يمكن أن نعتبره طموحاً ؛ واكثر من ذلك ان توقيته فقط قد تم في الوقت المناسب ، فالمعركة الحاسمة مع فرنسا قد انتهت من مدة طويلة . ووجه الاخصائيون انظـارهم الى مالطا . وربما تحاول ايطاليا الاستيلاء على هذه القلعة الحصينة ، التي تهدد مواصلاتها مع الشرق وشمال افريقيا ، ولتصبح خطوة اولى في تأسيس الطريق البري الى ممتلكاتها الشرقية في افريقيا. ولذلك كان جهدها الاول يهدف الى تحقيق غرضها الاول وهو الاستيلاء على مالطا ، واستئصال هذه « الشوكة من جسمها » .



رومل مع الجنرال وستفال في الصحراء (كانون الثاني ١٩٤٢)

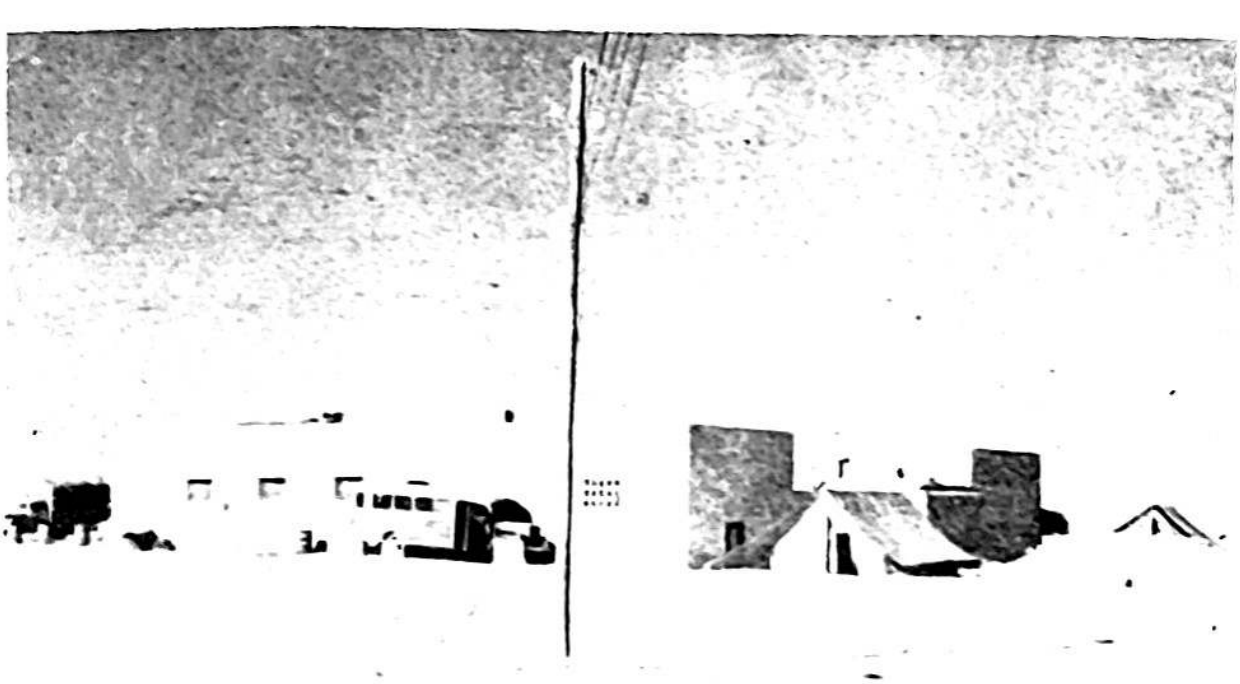
رومل في جنازة أحد كبار الضباط في الصحراء





مزار في الصحراء

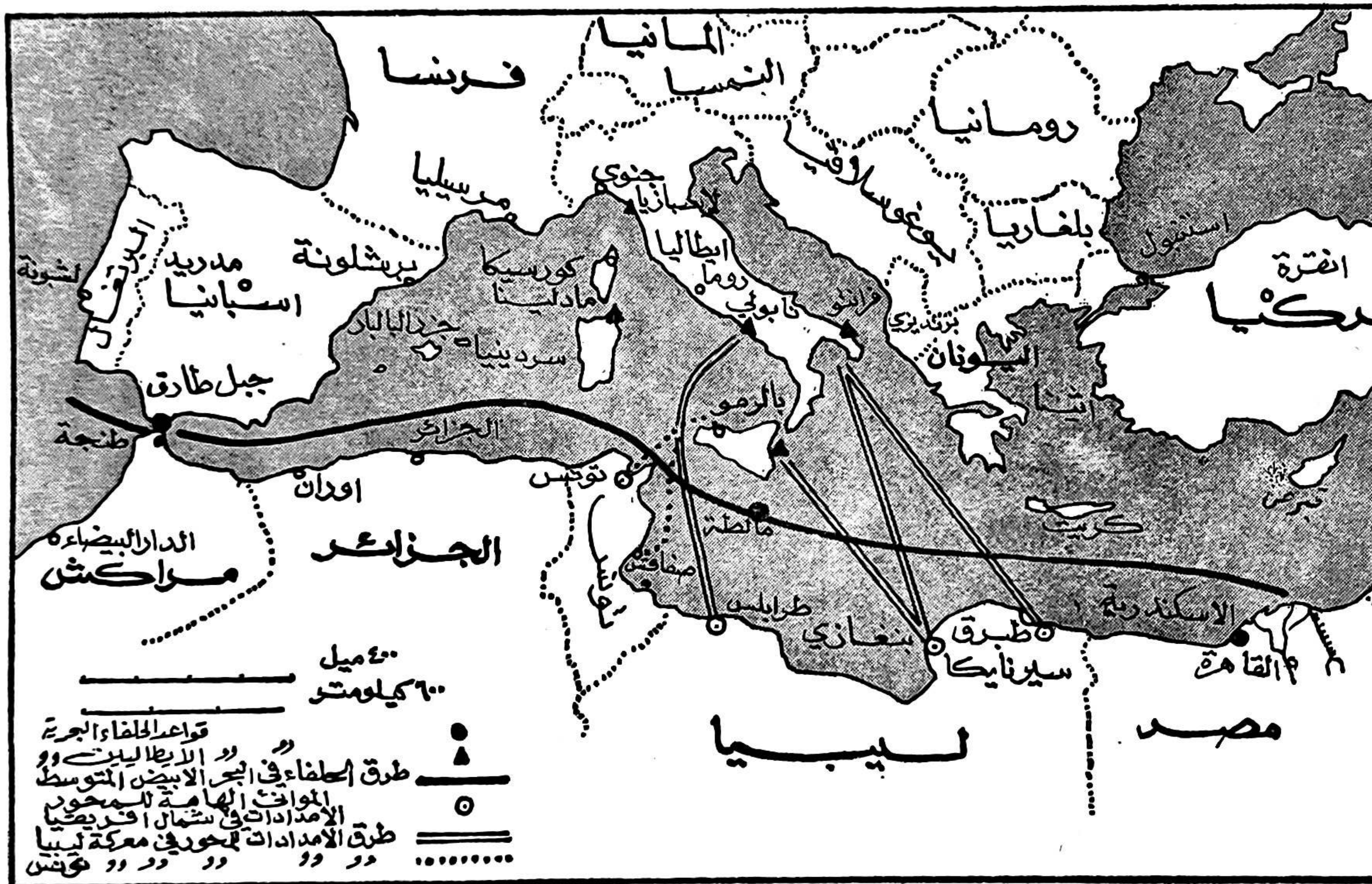
مقر رومل الأمامي في « فيا بالبيا » مكتب الفيلد مارشال خلف النافذة المشبكة



ومع كل ذلك ، لم تقم بالحركات المتوقعة ، ولم تنجح محاولات القيادة العليا الالمانية في اقناعهم ، والحقيقة ان هتلر وريبنتروب ، كانا قد عقدا مؤتمراً طويلا مع « كيانو » في سالزبورغ في ١٢ آب ، ١٩٣٩ ، ولكن هذا المؤتمر لم يكن له اهمية عسكرية . وفي بداية عام ١٩٤٠ ، التقى هتلر وموسوليني في ممر برينر ، ولكن نتائج محادثاتهما لم تكن كما كان يتوقعها العالم الخارجي ، فلم يجر الاتفاق على خطة حربية مشتركة ولا على اي تعاون سوقي .. لماذا ؟ ان الاسباب لم تكن عسكرية ، ولم تكن سياسية خالصة في شكلها ، وانما كانت شخصية ، فقد أراد هتلر اجتناب الامور التي تثير حساسية موسوليني مهما كان الثمن . فكان البحر الابيض المتوسط يعتبر ملكا ايطاليا ، ولم يرغب في التدخل في هذه القضية . وقد كان لهذا الاعتبار تأثير كبير ومستمر حتى سقوط موسوليني . وفي خريف ١٩٤٠ ، أخبرني نائب يودل بأن هتلر قرر اجراء الحرب شمال الألب ، بينما يقوم الايطاليون بالحرب جنوبه ، ولم يكن هناك اي تحديد آخر او تنسيق للعمل .

والشيء الذي يصعب علينا ادراكه حتى اليوم هو لماذا كل هذا الاهمال لمبادىء الحرب بين الحليفتين . والآن ماذا كان موقف ايطاليا العسكري في اوائل صيف ١٩٤٠ ؟

كانت بريطانيا العظمى ، بعد استسلام فرنسا، العدو الوحيد في ذلك الحين، وكان الهدف السوقي الخطير هو البحر الابيض المتوسط وكانت انكلترة في أمس الحاجة للطريق البحري القصير من جبل طارق ماراً بالسويس ، وهو بمثابة الشريان للامبراطورية ، ولهذا السبب كانت تحتفظ بمالطة مهما كان الثمن . وكان لايطاليا مستعمرات في شمال وشرق افريقيا وكان عليها ان تدافع عنها ، وكانت البانيا وايطاليا نفسها غير مهددتين . ولذلك كان كل ما عليها هو حماية مواصلاتها مع مستعمراتها وقطع طريق انكلترة البحري المار بالسويس . وكان هذا يتطلب



قواعد البحر الابيض المتوسط وطرق الامدادات

منها الهجوم والاستيلاء على مالطا . وكان ميزان القوى في ذلك الحين بجانب الايطاليين، والضغط الخطير الذي يمكن ان توجهه بريطانيا براً هو في المستعمرات فقط . وكان التفوق الجوي الايطالي في منطقة البحر الأبيض المتوسط مطلقاً ، وكان تفوق اسطولهم على الاسطول البريطاني في البحر الابيض المتوسط تاماً كذلك . ولم يبق سوى عامل الوقت الذي يمكن ان يقلل من شأن هذا التفوق بالنسبة « لايطاليا » . وعليه فان العمل الفوري من الامور الجوهرية في حينه ، والآن لنستعرض ماذا فعلت ايطاليا ؟ ..

شنت القوات الايطالية في ليبيا في ايلول ١٩٤٠ هجوماً بثماني فرق بقيادة المارشال غرازياني على مصر ، اما الفرقة المدرعة التي قدمتها القيادة العليا الالمانية والتي أعيد تجهيزها في المانيا بما يلائم المناطق الحارة فقد رفضها موسوليني، لأنه كان يعتقد انه يتمكن من تحقيق أغراضه بدون الاسناد الالماني ، وقد جاء الدليل بسرعة على خطأ هذا الاعتقاد .

اصطدم غرازياني على الحدود في البداية بمواقع ستار بريطانية ضعيفة ، وتغلب عليها ، واندفع مخترقاً حتى بلغ سيدي براني Sidi Barrani . وهناك توقف ، فطال عليه طريق الساحل ، ومد انبوباً من الماء من السلوم الى سيدي براني ؛ وبدلاً من ان يتقدم الى الامام ظل ينتظر . وربما كان السبب الأصلي لهذا التردد هو تجهيزات قطعاته الرديئة ولأنها كانت تتألف من السكان المحليين بصورة رئيسية .

وفي ٩ كانون الأول ، ١٩٤٠ ، وقعت الواقعة ، وهبت العاصفة ، وأصبح جيشه غارقاً في طوفان ، أدى به الى تحطيم وتدمير كامل . وكان الاندحار تلو الآخر بسرعة فائقة ، وأبيدت له أربع فرق كاملة في الحال ، وأحيطت أربع فرق اخرى في بارديا ، ولهذا لم يبق في ليبيا كلها سوى فرقتي مشاة. واحدة في طبرق ، والاخرى في بنغازي . وقد سقطت السلوم في ١٦ كانون الأول وبعدها

بقليل بارديا ، وباتت أبواب طبرق ، أمنع قلعة في ليبيا ، امـــام المنتصرين في اوائل ٢١ كانون الثاني من السنة الجديدة . وبعد اسبوع دخلت الفرقـة المدرعة السابعة البريطانية « جرذان الصحراء » التي اكتسبت شهرة عظيمـة بلغت حد الخرافات في حملة افريقيا ، مدينة درنة ، وبذلك أصبحت في ليبيا .

لقد اقتحمت رؤوس الرمح البريطانية الصحراء من اثر المخيل السلوخ وبذلك قطعت خط الرجعة على القوات الايطالية المتقهقرة . وسقطت بنغازي في ٦ كانون الثاني . لقد اعادت الوحدات الايطالية تنظيمها في موضع مرسى البريكا في سيرته . وكانت الخطة تقوية طرابلس ، لتكون الوقفـة الأخيرة لايطاليا المستعمرة على ارض شمال افريقيا .

وكانت القيادة الايطالية تساورها الشكوك في مـــدى قدرة فرق المشاة الأربعة التي كانت متيسرة في طرابلس، وكم من الوقت يمكنها الصمود امام العدو في المنطقة الواسعة الباقية لديهم . وكانت ثمة نتيجة واحدة يمكن للمرء انيدركها بعد ان فقد الجيش الايطالي كل الاراضي وما يزيد على ١٣٠,٥٠٠ جندي أسير ومعنويات القطعات ضعيفة منهارة . ولم تكن الامدادات بالمعدات الحديثة من ايطاليـــا موجودة . وكان العامل الرئيسي في انهيار جيشهم هو تخلف المعدات الايطالية عن المعدات الغربية في حداثتها وجودتها ، ولم تكن الوحدات المحلية وحدها بدون اسلحة حديثة عندما جابهت الدبابات الانكليزية في سيدي براني، وانما كانت حتى الفرق الايطالية الخالصة ، التي كانت جميعها غير آلية عـــدا المدفعية ، ولهذا كانت لا تستطيع مباراة عدو حديث في الصحراء .

لقد كان من اليسير جداً طرد الجندي الايطالي لا لعجزه واخفاقه، ولا لجبنه وتخاذله في الحرب العالمية الثانية ، وانما تكمن الاسباب في امور أبعـد غوراً وعمقاً ، ولا بد من كشف بعضها . لم يكن للقوات المسلحة ولا للشعب اهداف حربية يسعون لتحقيقها ، والجندي في ايطاليا محروم من أي تشجيع معنوي ،

ولم يجهز او يهيأ للحرب مع خصم أوربي مسلح بكل الاسلحة الحديثة ، وهذا هو السبب الذي جعل انجازات الجندي الايطالي اقل من انجازاته في الحرب العالمية الأولى . وكانت قوات الدبابات الايطالية رديئة جداً في الدرع ، وفي قوة النار ، وفي قدرتها على المناورة في المناطق الوعرة[1] . وكانت قوة اختراق اسلحة ضد الدبابات ، ومداها ، وعيارها ، وتسديد مدفعيتها ، بما فيها مدفعية ضد الجو كلها أحط وأدنى مما للعدو . وكان قسم كبير من مدفعيتها من مخلفات الغنائم التي استولت عليها ايطاليا عند انهيار النمسا وهنغاريا في خريف ١٩١٨ ، وكان أقصى مدى لهذه الاسلحة ما يقرب من ثمانية كيلو مترات . اما معدات المخابرة والآلات الفنية الأخرى فلم يطرأ عليها تحسن يذكر . وكان الضباط وحدهم مدربين على التجهيز ، وكانت الاجهزة اللاسلكية الايطالية لا تستطيع الارسال والاستلام في حالة الحركة ، وكان يتطلب أحياناً بعض الوقت لنصبها وتأسيسها . وكانت عجلات التموين للقطعات غير ملائمة تماماً ، ولهذا كان يتعذر حمل كميات كافية من العتاد ، ولم تتيسر مطابخ سفرية للميدان ، وكانت ارزاق الجنود ، تختلف عن ارزاق الضباط ، وهي ارزاق البؤس والشقاء، حيث تتألف من قهوة الصباح مع قطعة من الخبز الصلب ووجبة غداء ظهراً فقط .

اما الضباط فكانوا على الغالب يعيشون في عالم خاص بهم ، وكانت صلتهم بجنودهم ضعيفة جداً ، وبصورة عامة كان الضباط القدماء فيهم مدربين تدريباً جيداً ، ولكن كانت تعوزهم وسائل حرفتهم . كانت القوة الجوية الايطالية لا تتمكن ان تعيش كما كان يصفها موسوليني ويتبجح بها . وتكاد تكون جميع طائراتها من النوع القديم ، وقد اشتركت المقاتلات ذات السطحين حتى أواخر ١٩٤١ في القتال وكانت سرعتها القصوى لا تزيد عن ماية وسبعين ميلاً في الساعة . وكانت أحدث طائراتهم هي طائرة الطوربيد والمقاتلة ما كشي ٢٠٢

١ – كانت دبابات الجيش الايطالي ذات زنة ثلاثة ، وأحد عشر ، وثلاثة عشر طناً فقط .

« Macchi 202 » والتي لم تشترك في القتال إلا في النصف الثاني من عام ١٩٤٣ . وكان الاسطول ضخماً ، بالمقارنة ، ورب قائل ، أنه كان كافياً . غير ان البواخر كانت مبنية بدرع خفيف ، من أجل زيادة السرعة ، ولم يتدرب ملاحوها تدريباً كافياً في الحرب الليلية ، التي اصبحت من مميزات الحرب الحديثة في البحر . ومع كل ذلك فقد اظهر كثير من افراد الصفوف الثلاثة بسالة وشجاعة نادرة وخاصة جنود زوارق الطوربيد ووحدات الاسطول الخفيفة الأخرى . وقد ذهبت جميع القوارب ضحية اثناء تأدية واجب القوافل الى شمال افريقيا . وتكبد الجيش كذلك خسائر فادحة في افريقيا ، وقد قتل في سنة ١٩٤٢ فقط ، ثلاثة قادة برتبة جنرال .

كان القادة العسكريون الالمان يعرفون ضعف القوات الايطالية . ويعرفون كذلك طبيعة معداتهم البدائية وتدريبهم البسيط ، وهم يعلمون اكثر من ذلك ، ان الصناعة الايطالية كانت عاجزة عن تأمين حاجيات القوات في حرب طويلة الامد . وكان هتلر من الناحية الاخرى يعتقد ان النظام الفاشستي قد جعل الجندي الايطالي قادراً على صنع المعجزات . وعندما اطلع هتلر في سنة ١٩٣٨ على مذكرة اعدتها الاركان العامة للجيش ، ومما جاء فيها ، بعض الشكوك في قوة ايطاليا العسكرية ، وكان ذلك مما يعارض رأيه ، فغضب أشد الغضب حتى انه أمر بسحب المذكرة واتلافها .

وجدت ايطاليا نفسها ، في نهاية ١٩٤٠ ، في احرج المواقف ، ولم يمض على دخولها الحرب ستة أشهر ، ولم يكن هذا الموقف في شمال افريقيا فحسب ، وإنما تحولت الحملة ضد اليونان الى تقهقر مريع ، بدل ان تتوج بالانتصارات السريعة كما كان متوقعاً منها . وقد برهن الجيش الايطالي انه دون مستوى خصمه اليوناني الذي كان يعتبر حتى ذلك الوقت - ظهر الآن عكس ذلك تماماً - اضعف قوة عسكرية في اوربا .

وكان ثمة خطر دحرها واخراجها من الأراضي الألبانية وقذفها في البحر . وحتى البحرية لم تحرز اي انتصار او نجاح . وفي الحقيقة كان عام ١٩٤٠ بالنسبة للمحور عام شؤم ونحس في البحر الأبيض المتوسط . وقد اصبح من المتعذر على ايطاليا وهي حليفة المانيا ان تبقى متفرجة فقط ، بينما كان لا يزال أمل التخلص من الكارثة المحدقة بالعمل الموقوت ، خاصة وان المانيا اخذت الآن تزيد من مسؤوليتها في ادارة حرب البحر الابيض المتوسط . وهكذا اصبحت فكرة هتلر بأن يترك الحرب للايطاليين جنوب الألب لا يؤيدها الواقع ولا يمكن اتباعها .

وكان الواجب الخطير هو ان نحول دون استمرار تردي الموقف في شمال افريقيا . وقد فكرنا في البداية في الدفاع فقط ، ولذلك عزمنا على تقوية القوات الايطالية بقوة المانية دفاعية بقيادة اللواء فون فونك. وقد صدر الأمر باستطلاع الموقف . وعندما اطلع هتلر على الصورة التي رسمها فونك عن الموقف بعد رجوعه ووجدها متشائمة جداً بحيث قرر تبديله واسناد قيادة القوة الالمانية المساعدة الى اللواء رومل ، الذي كان في يوم ما آمراً لمقر هتلر وبعدها قاد فرقة مدرعة ، وكانت قيادته ناجحة مظفرة خلال حملته على فرنسا . وقد وافق هتلر في نفس الوقت على وجهة نظر فونك . وهي عدم كفاية لواء واحد لاعادة طرابلس – ولم يكن لدى هتلر اي اعتراض آخر في حينه ، وقرر هتلر ان تكون قوة الحملة الالمانية مؤلفة من فرقتين ، وهكذا كانت الفرقتان نواة «للفيلق الافريقي» الذي اكتسب شهرة عظيمة فيما بعد . ونقل بالاضافة لذلك ، الفيلق الجوي العاشر الى منطقة البحر الأبيض المتوسط . واصبح في الوقت نفسه من الضروري انزال جميع اللوازم والاستحضارات العسكرية التي شرع بها في خريف ١٩٤٠ لغرض الاستيلاء على جبل طارق – بصرف النظر عن الوضع السياسي – كان موقف فرانكو غير مشجع – ولم يكن في الامكان تخصيص قوات للقيام بهذه المهمة ، وهناك الحملة الشرقية التي لا مفر منها .

سنة النجاح

شرع رومل ، قائد الفيلق الالماني الافريقي ، الذي ترفع الآن لرتبة فريق ، في شباط ١٩٤١ ، في اعداد العدة لميدان الحرب الجديـد ، الميدان الذي أسبغ عليه شرفاً عظيماً . وجعل منه علماً يعرفه العالم أجمع . وفي هذا الميدان ايضاً ، واجه رومل أصعب الواجبات التي رآها في حياته .

لقد كانت الآراء متباينـــة متضاربة في طرابلس ، فكانت القيادة العليـا للقوات الايطالية في شمال افريقيا ، بقيادة الجنرال غاريبولدي Gariboldi . تفكر في الدفاع فقط ، وكان أبعد ما يكون عندها هو التفكير بالهجوم بالقوات المتبعة لديها .

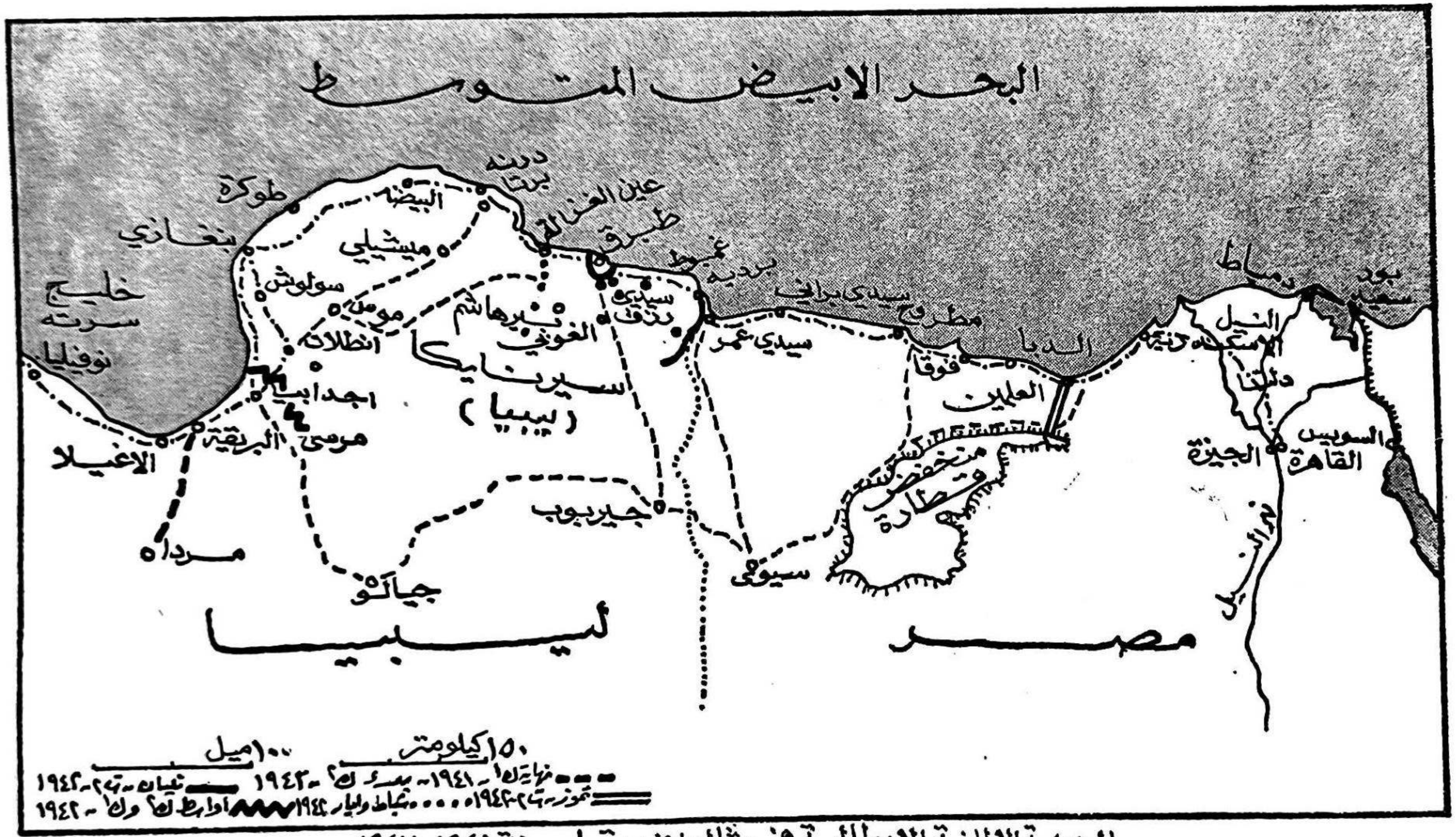
أما رومل ، المارشال الجديد الجريء في التفكير والعمل كان يعتبر ان الدفاع المستكن – في موضع العقيلة مثلاً – لا يعطي نتيجة سوى اطالة مـــدة المرض وفقدان الامل في الشفاء التام . لهذا طالب الاسراع بالمباشرة بالتعرض ، بقصد التقدم الى ابعد ما يمكن قبل ان يتمكن الانـكليز من تحصين أرضهم . وقد عارضه غاريبولدي في ذلك . والذي أصبح كثير الشكوى والتذمر فـــيما بعد نتيجة لاندفاع رومل وشدته . وقبل الشروع بالعمل فك رومل ارتباطـه من جحفل الجيش الايطالي وقام بزيارة شخصية للجبهة للاطلاع عليها والعمل بمـــا يتطلبه الموقف . وعندما عاد من استطلاعه كرس كل جهوده في الاسراع بانزال قطعاته التي ابتدأت في ١١ شباط . وكانت البواخر تفرغ حمولتهـــا في ميناء طرابلس بصورة مستمرة خلال أيام شباط المشمسة من عام ١٩٤١ ، ولم يقتصر العمل نهاراً ، وانما كان يجري ليلاً وعلى أضواء الأنوار الكشافـة ، بالرغم من اخطار الهجوم الجوي ، وكان لهذا الخطر ما يبرره ، وفي نهاية مارت تم انزال فوجين رشاشات ثقيلة ، وكتيبة مدرعة ووحدتـين ضد الدبابات ، وكانت هناك ثلاث بطاريات

كاملة من المدفعية ومفرزة ضد الطائرات ، وجميعها كان يؤلف فرقة وأجزاء من فرقة ايطالية كانت قد وصلت حديثاً .

كان رومل يتأجج ناراً ، ويشع قوة وحيوية بعد أن نفد صبره . فأرسل قوات خفيفة الىالجنوب نحو فزان لاستطلاع جبهة الفرنسيين في الصحراء . واذا كان الضباط والجنود يؤملون أنفسهم في الوقوف ولو لوقت قصير للتمتع بخفايا الشرق في طرقات وأزقة العاصمة الليبية ، فانهم كانوا يجهلون في الحقيقة كل شيء عن قائدهم ، اذ لم يمض وقت قصير حتى سمعت القطعات الامر : التقدم نحو العقيلة .

وقد اثبت الاستطلاع الجوي والأرض صحة تقدير رومل . فكانت القوات البريطانية منتشرة بصورة واسعة بالعمق وكانت تبدو بعد تقدمها الطويل مكشوفة وواهنة ، ولكنها كانت في كل يوم تسعى لتعزيز موضعها وتحسين مراكزها ، وكل يوم يمر هو في صالحها وليس في صالح المحور . ولذلك كان العمل الفوري ضرورياً ، وسار رومل بموجب ذلك . واستطاع ان يشرب من كأس النجاح حتى الثمالة .

لقد أصبح الجميع في ٣١ مارس جاهزين ومتهيئين ، وكانت استطلاعات سير الجبهة قد بدأت منذ اسبوع ، وكان يجب الاستيلاء على موضع البريطانيين في المستنقعات المحلية بين مرادا ومرسى البريكا ، وكان العدو يدافع عن نفسه بيأس وقنوط ، ولكنه أصبح الموضع حتى المساء في ايدي رومل ، وأمر بالاستمرار بالتقدم فوراً ولم تجابه الوحدات الأمامية مقاومة تذكر قبل اجدابيا بثمانين كيلومتراً ، وكان التقدم يجري بارتال متعددة ، وفي مساء يوم ٤ نيسان دخلت الدوريات الالمانية بنغازي واحتلت المدينة . وكانت خطة رومل الآن هي قطع برقة ، ولكن هذه الخطة كانت محفوفة بخطر عظيم ، لانه كان على القطعات ان تقطع ثلاثمائة كيلومتر في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا اثر ، وان تستعين في



الجبهة الالمانية الايطالية في شمال افريقيا سنة ١٩٤١-١٩٤٢

سيرها بآلة القنباض ، وكأن الطبيعة أرادت ان تزيـد في الطين بلة . فقد هبت عاصفة هوجاء،عاصفة القبلي المخيفة المرعبة ، التي تجعل التنفس صعباً كالاحتضار والملاحة في بحر الصحراء مستحيلة ، وبعد بضع ساعات على هـذه الحالة لم تعـد هناك أرتال منتظمة ، وعمت الفوضى وساد الارتباك ، وفقدت كثير من العجلات مواضعها ، فكانت مطابخ الميدان في الجبهة ، والدبابات في الخلف ، وهكذا كل شيء كان معكوساً . ولكن ارادة رومل الحديدية هي التي دفعت كل شيء للأمام ، وكان يحوم على ميدان المعركة في الصحراء بطائرته « اللقلق» Stork ، واستطاع ان يرى ويتأكد ان الجميع يتقدمون . وعندما كانت تتوقف سرية من دون سبب ظاهر ، كان يقذف من «الطائرة الى آمر السرية» ورقة تحمل تحذيراً يقول فيه اذا لم تتقدم حالاً سأنزل عليك . رومل .

وصل رومل «المخيلي» على رأس قوة من سبع دبابات متنوعة كانت تملأ السماء ضجيجاً ، وأربعة مدافع آلية ، ومطابخ سفرية ، وسيارات لوري ، وسيارات أجهزة لاسلكية . واستسلمت له ستارات العدو في الصحراء ، ووقع في يده ستة من القادة والفين من الجنود ، ونجحت خطة رومل ؛ واضطر البريطانيون على الانسحاب من برقة خشية انقطاع الطريق عليها. ومنطقة برقة هي أجمل مناطق ليبيا وأخصبها أرضاً . وموقعها الكائن في انحناء كبير الى الشمال يجعل من المتعذر الدفاع عنها ضد عدو قـادم من الشرق او الغرب ، لان المهاجم يستطيـع ان يفصلها ويعزلها دائماً بقطع طريق الصحراء القصير . وهكذا يتغلب على المدافع ولم تمض ساعات على سقوط المخيلي ، الا والقطعـات قد وصلت درنا ، ودخلت شوارعها واحتلت مطارها . ولم يتوقف رومل حتى هنا . ولم تحجمه عن التقدم انذارات غاريبولدي ، او نقصان الوقود لعجلاته ، واستطاع ان يصل بآخر قطرة من البترول الى بارديا يوم ٩ نيسان ، وتغلب على قلعتها الصغيرة ، وعـبر الحدود الليبية المصرية في اليوم التالي ووصل السلوم .

وهكذا استعاد رومل في مدة اثني عشر يوماً كل ما استولى عليه الجنرال

ويفل في مدة خمسين يوماً - باستثناء واحد - لم تتمكن الفرق الالمانيـــة من الاستيلاء على طبرق ، لأنها كانت ضعيفة جداً ، بالرغم من التعزيزات الايطالية ، وكان البريطانيون لا يزالون يحتلونها ، وقام الالمان بعدة محاولات للتغلب على القلعة ولكن جميعها باءت بالفشل ازاء مقاومة المدافعين المستميتة ، ولضعف القوات الالمانية التي اصابها الارهاق والانهاك ، واصبح هذا التقدم السريع خطيراً في هذه المرحلة . لأنه صار هناك جبهتان الآن : جبهة في الشرق على امتداد خط السلوم بارديا ، والثانية جبهة الحصار المضروبة حول طبرق . وكانت القلعة بلا ريب ، هدف الحركات الأولى لكلا الخصمين . وكانت القيادة الانكليزية ترمي الى سرعة نجدتها ، بينما يحاول رومل القضاء على هذا الحصن المنيع للعدو والكائن خلفه قبل وصول النجدة اليه .

وكان هذا المطلب عسيراً ، لا يتحقق في القريب العاجل ، لأن طرق النقل البحري لم تعد سالمة مضمونة ؛ وان الاسد البريطاني قد صحا وتحرك. وابتدأت سلسلة من اغراق السفن بحيث أصبحت كبيرة ومرعبة ، وقد أدى ذلك الى تعذر نقل وحدات مهمة الى فرقتي الفيلق الافريقي حتى النهاية ، ولهذا بقيت هاتان الفرقتان هيكليتين تقريباً . وكانت نتيجة هذه الصعوبة في نقل الرجال والمواد ان اصبحت الحاجة ملحة للانواع المختلفة من العجلات وقطعات المخابرة . وقد أثر ذلك على قابلية الحركة وعلى تموين القطعات التي انزلت أخيراً ، واقتصر على اقل ما يمكن. والتعويض الوحيد الذي كان لدينا هو كثرة الغنائم من العجلات التي ربحناها من الانكليز ، ولكن هذا المصدر نضب وتلاشى بعد صيف ١٩٤٢ ، ولم يكن النقص في البترول والعتاد خطيراً في سنة ١٩٤١ ، ولكن نقله على ذلك الطريق البري الطويل من طرابلس الى بنغازي والى الجبهة كان يسبب لنا مشكلة خطيرة دائماً . وفي اوائل ١٩٤١ اعيد تنظيم القوات الايطالية وشكل منها فرقة مشاة وفرقتان آليتان . استخدمت الاخيرتان في جبهة طبرق . وكثيراً ما دار النقاش بين القيادتين الالمانية والايطالية حول التخلي او عدم التخلي عن حصار هـذه

القلعة ، ولكن روميل كان يرفض هذا الاقتراح دائماً. لقد اصبح الهجوم البريطاني المقابل قاب قوسين او أدنى . ولكن روميل تمكن في ذلك الجو الملتهب من شهر حزيران ان يحبط الهجوم البريطاني في منطقة السلوم في معركة السلوم في معركة طاحنة استغرقت بضعة أيام وقررت نتيجتها الكفة الراجحة في الميزان . وهنا ظهرت القوة الجوية البريطانية بقوة كبيرة ولأول مرة اتخذت شكل « السجادة Carpets » قرب السلوم .

لقد كان روميل يدرك جيداً بأن المعركة البريطانية القادمة ستكون اشد قوة وصرامة ، وكان يشك في امكان صمود الجبهتين . ولذلك حشد في آب كل ما يمكن تحشيده من قوة للهجوم على طبرق . وعمد في نفس الوقت الى تنظيم سلسلة القيادة تنظيما جديداً ، وأصبح روميل ، قائد الجحفل المدرع الافريقي ، مسؤولا عن الفيلق الالماني الافريقي وعن جميع القطعات الالمانية الأخرى ، وعن فيلق المشاة الايطالي في الجبهة . ولم يخرج من قيادته سوى الفيلق الآلي الايطالي الذي كان لا يزال في برقة للراحة والاستجمام .

وكان موعد شن الهجوم يعتمد على وصول المدفعية الثقيلة والعتاد الضروريين وقطعات الصولة فقط . وكان يجب سحب قطعات الصولة هذه من الفرقة الثالثة الالمانية التي وصلت حديثاً ، ولكن النقل البحري اصبح يزداد سوءاً يوماً بعد يوم . ولذلك تأجل الهجوم من ايلول الى تشرين الاول ثم الى تشرين الثاني واخيراً لى كانون اول . وقد اشتد القلق وزاد الموقف حراجة بتعيين قائد جديد للعدو ، هو الجنرال اوكنلك ، فهل سيعطى لنا وقتاً اكثر . ولكن القلق الذي ساور النفوس كان له ما يبرره ، حيث حدث ما كان متوقعاً. وابتدأ الهجوم البريطاني الثالث من الحملة في ١٨ تشرين الثاني ، وكان مفاجأة تعبوية ، وقد قام الجيش الثامن بهذا ، والذي كان قد أعد تشكيله من جديد في الصيف وكان يتألف من ١٠٠،٠٠٠ جندي ، و٨٠٠ دبابة ، و١٠٠٠ طائرة ، وكان اضخم قوة مسلحة

ظهرت في الصحراء . بينما كانت قطعات روميل تتألف من ٤٠٠٠٠ جندي على اكثر تقدير و ٣٤٠ دبابة ، و ٢٠٠ طائرة ، وكانت تسندها قوة ايطالية مساوية لهذا العدد تقريباً ، ولكنها كانت مجهزة تجهيزاً رديئاً .

ومن الأمور التي يمكن اعتبارها مقدمة للحوادث المقبلة هي قيـــام المغاوير البريطانيين بغارة على منطقة البيضا Beda Littoria، الواقعة في منتصف برقة ، وكان فيها معسكر مدير الميرة والتموين للجحفل المدرع . وفي البـداية لم يدرك احد الغرض من هذه المهمة ، التي انجزت بصورة مغلوطة ، وقد ظهر فيما بعد ان القصد كان القبض على روميل « حياً او ميتاً » . والظـاهر ان الحالة كانت تستند على تصور خاطىء تماماً . اذ كيف يمكن لاي فـــرد ان يتصور روميل المسؤول عن جميع هؤلاء الناس يجعل مقره يبعد اكثر من ثلاثمائة كيلومتر عن خط الجبهة ؟ ، بينما كان مقره في الحقيقة في غامبوت Gambut ، وهي منتصف المسافة بين برديا وطبرق ، وكان أسهل عليهم ان يقبضوا عليه هناك .

مرت الأيام الأولى من المعركة ، والجحفل المدرع أشد ما يكون قلقاً ، لانه كان يجهل اين كانت قوات العدو الرئيسية ، او من اي اتجاه سيكون اندفاعها الرئيسي . ولم يفلح الاستطلاع الجوي والأرضي في اعطـاء الجواب بسبب غش مواضع البريطانيين بصورة متقنة وبارعة ، اما الفرقة المدرعة التي كانت تقف بكل حذر جنوب شرق غامبوت فقد اشتركت في القتال ولكن لم توفق فيه ، وقامت حامية طبرق بمحاولات عديدة ، حيث بلغت قوتهـــا الآن ٣٥,٠٠٠ جندي ، لكسر الطوق والخروج منه ، ولكنها ردت على اعقابهـا وخابت في محاولاتها . وأصبح من الضروري نقل مقر الجحفل من غـامبوت وهو ينتظر الاشارة بذلك. وعليه تراجع روميل الى «العادم» وتركز فيه، ولا ريب ان وصول القيادة الالمانية السريع الى جبهة طبرق كان السبب الوحيد في التغلب على الصعوبات والأزمات اليومية ، ولكن ضباط ركن روميل كانوا غير مسرورين

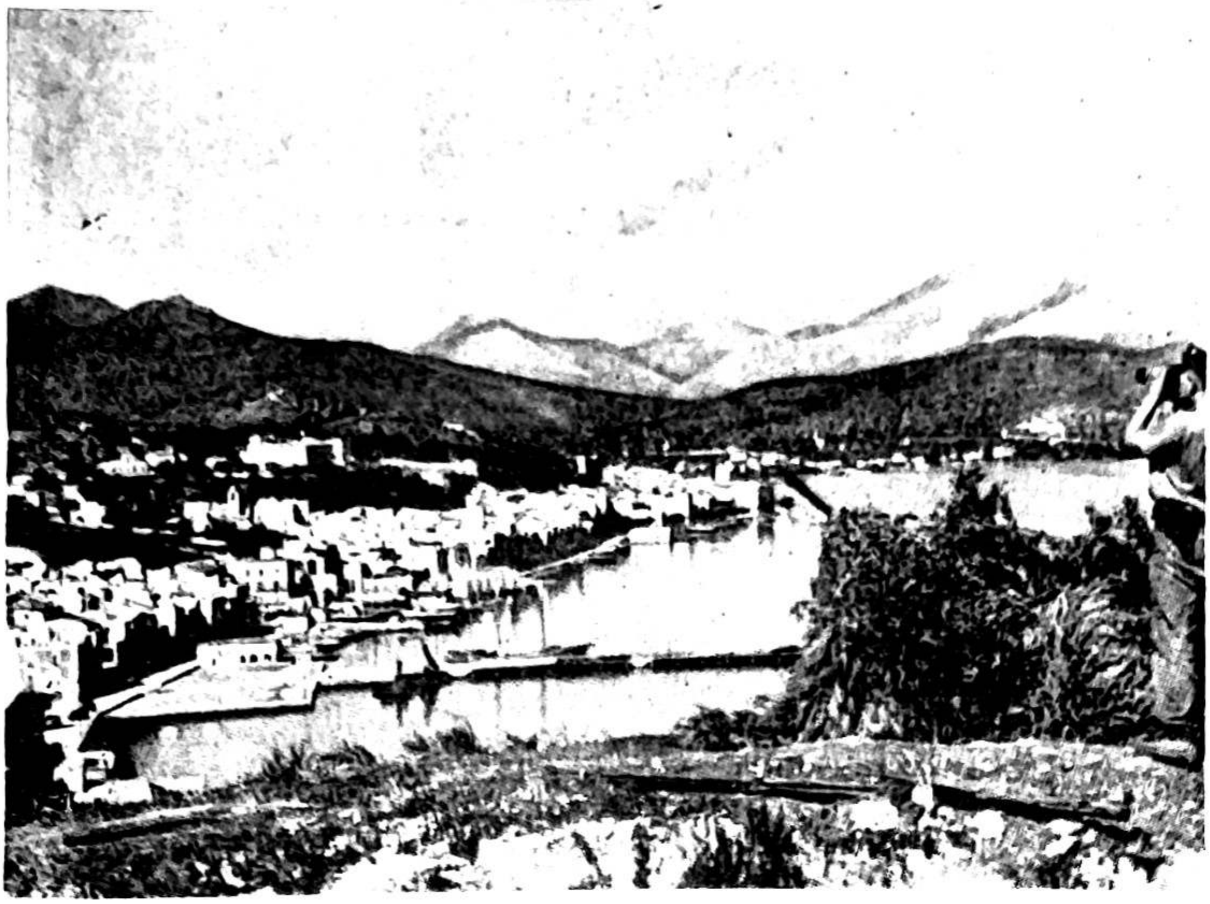
وفي أشد الاستياء ، خاصة لم تصلهم اي قافلة منذ ١٦ تشرين الأول ، غير ان الموقف قد تحسن وتغير ، ففي ٢٣ تشرين الثاني ، كان الخط يتجه نحو الجانب الالماني ، وقد نشبت معركة دبابات في يوم ذكرى ١٩٤١ حين تكبدت القطعات البريطانية خسائر فادحة ، ولو أن البريطانيين استخدموا ألوية الدبابات كمجموعة واحدة في هذه المعركة لكانت النتيجة في صـــالحهم ، ولكن رومل كان لهم بالمرصاد ، فاستطاع ان يتغلب عليها ويدمرها على انفراد باستخدام قوات متفوقة وأراد الجنرال كاننكهام Cunningham التراجع ، ولكن او كنلك Auchinleck أصر على الثبات والصمود وأبدل كاننكهام قائد الجيش الثامن بالجنرال ريتشي Ritchie ، وقد دلت تطورات الحوادث فيما بعد على ان او كنلك كان مصيباً ، لان رومل ، قد بالغ في تقدير الفوائد والحسنات التي ربحها ، وارتكب الآن خطأ فاضحاً بحيث قرر مصير معركة طبرق . وبدلا من ان يستمر في الهجوم في ٢٤ تشرين الثاني بقصد انهاك العدو ، قام بمحاولة تطويق ، بحركة التفاف على الجناح باتجاه مصر ، وكان غرضه قطع خط الرجعة على الجيش الثامن من بارديا والسلوم . ولكن فرق الفيلق الافريقي كانت ضعيفة جداً لا يمكنها انجـاز هذه المهمة ، اضافة لذلك لم تتمكن من الاشتراك في القتال الذي دام ستة ايام والذي قرر مصير طبرق ، وكانت القوات التي تحاصر طبرق ، وهي خمس فرق ايطالية وأقسام من الفرقة الثالثة الالمانية التي وصلت الآن ، غير قادرة على صد الهجمات العنيفة التي يقوم بها العدو من داخل طبرق وخارجها ، وهكذا تمكن من خرق الطوق ، وفي الحقيقة اول من تمكن من الاتصال بحاميـــة القلعة هم النيوزيلنديون من مكان « إلدودا » وكان ذلك في يوم ٢٧ تشرين الثاني . وعادت فرقتا الفيلق الافريقي من غارتها الفاشلة وهما بحالة يرثى لها بحيث لم تتمكنا من عمل اي شيء . وقد جرت محاولات جنونية لاستعادة الموقف ولكن بدون جدوى ، وأخيراً ترك الحصار عن طبرق في ٦ كانون الأول بعد معركة دامت تسعة عشر يوماً . وهكذا لم يكن دفاع وصمود « جرذان طبرق » وبينهم لواء بولندي ، بدون جدوى او فائدة . وانما كانت نتيجته النجاح والظفر .

لقد تم الانسحاب العسير جداً من منطقة شرق طبرق الى الموضع الجديد الممتد غرب القلعة ، وخاصة المدفعية الثقيلة خلال ليلتين. وابتدأ قتال المؤخرة، من موضع الغزالة ولم ينته الا بعد سقوط درنا ، وبنغازي وأجدابيا ، وعند الوصول الى العقيلة ، برز سؤال ، وهو هل نترك برقة ام ندافع عنها وقد حدث خلاف بين قائد الجحفل الالماني وقائد القيادة الايطالية المارشال باستيكو الذي خلف غاريبولدي ، وكان هذا يصبر على وجوب الدفاع عنها، ويقول ان الشعب الايطالي لا يتحمل فقدانها لحظة واحدة ، وخاصة التخلي عنها بدون قتال . اما روميل فكان يجيب بأن الدفاع عنها غير ممكن الا اذا اقنعه احد بكيفية اجتناب الاحاطة بالالتفاف عليهم من الصحراء .

كان الجحفل المدرع في منطقة أجدابيا في نهاية السنة ، وقد دارت معركة دبابات بعد الظهر من اليوم الأخير من السنة كبد الفيلق الافريقي البريطانيين المطاردين خسائر فادحة في هذه المنطقة .

وتحرك الجحفل يوم ٧ كانون الثاني ، باتجاه العقيلة ، وهو الاتجاه الذي سار عليه قبل تسعة أشهر . وقام روميل باندفاعه الجريء . وكانت هناك جيوب المانية وايطالية ممتازة في بارديا وممر حلفايا استطاعت الاحتفاظ بمواضعها حتى اواسط كانون الثاني وحرمت الجيش الثامن من استخدام طريق الشاطىء .

من الامور التي أثرت على الموقف العام للمحور في شمال افريقيا وخففت من وطأته حدثان . الأول هو نقل الاسطول الجوي الثاني والفيلق الجوي الحادي عشر بقيادة المشير كسرلنغ من الجبهة الشرقية الى صقلية ، وكان هذا عاملاً مخففاً لتفوق العدو الجوي الذي كان حتى ذلك الحين مزعجاً لا يحتمل . الثاني هو اعادة فتح طريق التموين ، وقد وصلت اول قافلة في ١٦ كانون الاول بعد توقف لمدة شهرين . وقد انزلت البوارج الايطالية الى البحر لضمان وصولها وكانت هذه القافلة تحمل علاوة على البضائع والمواد المختلفة والادوات الاحتياطية



سالرنو

على رأس جسر آنزيو ـ نتونو





الفيلد مارشال كسرلنغ في نتونو
ويرى في مقدمة الصورة الفيلد مارشال ريختهوفن ، وخلفه الجنرال وستفال

الفيلد مارشال كسرلنغ في مقر قيادته في ايطاليا



للدبابات ، سرايا دبابات وبطاريات ، وقد أصبحت هذه فيما بعد اساساً للهجوم المقابل ، والذي كان لا يخطر على البال حتى نهاية ١٩٤١ .

لقد تكبدت القوات الالمانية خسائر كبيرة نتيجة الهجوم البريطاني، ولكن ضحايا الايطاليين كانت اكثر عدداً ، اما السبب الرئيسي عن وقوع عدد عظيم منهم اسرى في ايدي البريطانيين هو ان فرقهم كانت تختلف عن الفرق الالمانية، وكانت جميعها غير آلية وقليل جداً من الوحدات التي هي آلية ، وفي الصحراء من اعتمد على قدمه اعتبر مفقوداً . ولم يدحر جيش غرازياني من المشاة سوى المحرك . والدبابة التي فكر الاختصاصيون بأنها لا يمكن استخدامها في حرارة افريقيا الملتهبة ، أصبحت السلاح الحاسم في حرب الصحراء . ولهذا كان روميل في كل انسحاب يقرر بين أمرين . هل يعمد ويثبت من أجل المشاة الايطاليين وبذلك يتعرض لفقدان جميع قواته ، او انه يحتفظ بفرقه الآلية كقوة سيارة ؟ وكانت هذه المشكلة تسبب له كثيراً من الضيق والألم .

اما دعاية الحلفاء فقد كانت مخطئة تماماً عندما استمرت - من سوء الحظ نجحت كثيراً بين الايطاليين - بالقول ان الالمان كانوا يتركون حلفاءهم الايطاليين وحدهم في المآزق الحرجة دون أن يشعروا بتأنيب الضمير .

السنة الحاسمة

وصل روميل الى موضع مارادا - مرسى البريكا قرب العقيلة في ١٠ كانون الثاني ، وقام باستطلاع الموضع الدفاعي الجديد بطائرة « ستورك » للحصول على فكرة اوضح عن الامكانيات الدفاعية لهذه الجبهة العريضة التي تبلغ ستين كيلو متراً . وكانت النتيجة محزنة مؤلمة، لأن القوات المتيسرة لديه كانت لا تستطيع الدفاع عن الموضع حتى ولو أفسح المجال لها لعدة اسابيع لتحصينه ،

وكان لا بد من وضع المشاة الايطاليين في الجبهة ، ليتمكن من الاحتفاظ بقوة آلية ضاربة المانية كاحتياط لديه ، ولأن العدو اينما سيتوجه في هجوم سيخترق الجبهة الضعيفة المشغولة بقوات قليلة . فما هو العمل الممكن او الواجب القيام به ؟ وقد تبين بعد اجراء المقارنة الدقيقة بين القوات البريطانية وقواتنا ان الارجحية الطفيفة ستكون في جانب المحور في الاسبوعين او الثلاثة اسابيع القادمة . ولكن الاستمرار في تعزيز الجيش الثامن واكماله سيقلب كفة الارجحية هذه في اوائل شباط ، ولذلك كان العمل السريع أمراً ضرورياً لاستثمار التفوق في هذه الفترة .

وقد قرر رومل القيام بهجوم مقابل . وكان اقل ما يمكن الحصول عليه هو تأخير القوات البريطانية ، وبذلك يمكن اكتساب الوقت ، امـا اذا أحرز الهجوم نجاحاً اولياً حينئذ يمكن التفكير باستعادة احتلال بنغازي وحتى أقسام من برقة . وكان كل ذلك يتوقف على مدى ما يحققه من مباغتة . وشرع رومـل بتهيئة الاستحضارات وباستخدام كل ما لديه من ابداع وما اتصف به من قدرة عملية على سلوك الطريق الأفضل . وقبل القيام بالهجوم بايام قلائـل ، منع كل حركة نحو الجبهة نهاراً ، ولم يسمح للسابلة إلا السير باتجاه المناطق الخلفية . وقام في الليلة التي سبقت الهجوم بحرق بضعة بيوت على الساحل وناقلة المانية مغرقة . وكانت اغراض الجحفل المدرع سرية ولم يعـلم بها حتى القائد العام الايطالي في افريقيا ، والقيادة العليا في روما ، والقيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية . لأن رومل كان يعتقد ، وله الحق في ذلك ، ان التجارب الماضية قد علمته ان مثل هذا الخبر لا يتحمله الايطاليون ويخشون القيام بمثل هذه المهمة .

نجحت المباغتة نجاحاً باهراً ؛ ولكن حركة الكماشة لم تتحقق كما كان مطلوباً منها وهي قطع خط الرجعة على العدو ، والسبب في ذلك هو ان الذراع الجنوبي والقوي للكماشة كان قد تباطأ وتأخر نتيجة وعورة المنطقة غير المنتظرة ،

ولكن مع ذلك دخل اجدابيا في ٢٢ كانون الثاني في اليوم الثاني من الهجوم ، ووصلت القوات في نفس اليوم الى انتلات Antelat . ولو لم يكن هذا الوصول متأخراً لكان بالامكان أسر المقر العام لفيلق انكليزي . واحتلت قواتنا في ٢٦ كانون الثاني القلعـة التركية القديمة مسوس Msus واستولت على غنائم كبيرة ، وأصبحت القوات في الجناح الجنوبي لبرقة .

وقد حاول القائد الأعلى للقوات الايطالية الذي كان يرافق الفيلد مارشال كسرلنغ اقناع رومل بأن لا يتقدم اكثر ، لانه كان يعتقـــد ان التقدم تهور ومجازفة ، ولكن رومل ، كان جريئاً لا يهاب شيئاً ، حتى ولو لم يسمح له باستخدام الفيلق الايطالي ، وقرر استرجاع بنغازي مرة اخرى على الأقـل . وكان يرى انالهجوم الجبهوي لا يسفر عن النجاح المطلوب، ومن الناحية الثانية، ان العدو لم يكن متهيئاً لهجوم من ناحية الصحراء ، لان ذلك يتطلب منهالمسير من الجنوب الى الشمال ولهذا تم تنفيذ هذه الحركة .

وشرعت قوة ضاربة مختلطة، وكان رومل نفسه يتقدمها في ٢٨ كانون الثاني بالهجوم من منطقة جنوب مسوس وقد حدث صدفة قبل بضعة أيام - كما حدث مرات عديدة سابقة - ان رومل كاد يقع أسيراً فيايدي البريطانيين . حيث كان يطير في طائرة « الستورك » وقد نزلنا على الارض بقرب مجموعة من العجلات كنا نظنها تعود لضباط ركن الفيلق الافريقي وفي هذه اللحظة فوجئنا بنار شديدة من نيران اسلحة ضد الطائرات الخفيفة، وكانت نجاتنا من المعجزات ، ومن حسن الصدف ايضاً ان سرباً من طائرات الهريكن كان عائداً الى قاعدتـه وهو فوق رؤوسنا وهذا مما أشغلهم عنا .

اقترنت حملة بنغازيبسوء الحظ . فقد هبت عاصفة رملية هوجاء ، أعقبتها أمطار وسيول جعلت الوديان كالمستنقعات ، رطبة لزجة ، وأصبحت القطعات

يائسة ومضطرة ان تقضي ليلها فيها . اضافة لذلك ، فقدت كل معالم الاتجاه ، وهوت نفوسنا الى الحضيض عندما رأينا امواجاً عديدة من طائرات الهريكن في الصباح التالي وهي تحلق على ارتفاع واطىء من القوات الالمانية . وساورت نفوسنا افكار مرعبة ، ان الطائرات ستمزقنا إرباً إرباً خلال النهار ؛ ولكن العجب كل العجب عندما لم تعد طائرة للعدو فيما بعد . وهكذا قاد رومل النفيضة بنفسه بعد الظهر من يوم ٢٩ كانون الثاني بعد ان يبست الارض، لاحتلال مطار بنينا Benina . وقد تحقق الآن ما كان مستحيلاً ، بفضل اصرار رومل، فقطعنا رمال الصحراء الناعمة ، وجبال برقة الحمراء الملساء ، وتغلبت قوة القتال على صعوبات يتعذر وصفها في سبيل الوصول الى جناح العدو بصورة مخفية .

وفي بنينا، استلم رومل رسالة من موسوليني تخوله احتلال بنغازي ،فيما اذا سنحت الفرصة المؤاتية ، وفي ٣١ كانون الثاني ، دخل رومل بنغازي ، وبعد ان وقع قسم من لواء جنوب افريقيا أسرى بايدينا . والغريب ان العرب أنفسهم الذين اطلقوا النار على الالمان المتقهقرين قبل بضعة اسابيع من غير سبب ، يحيونهم الآن بكل حماسة ، ويلوحون لهم باعلام النبي محمد الخضراء ويرمون عليهم الارزاق الالمانية المسروقة .

لم يتوقف رومل في بنغازي ولكنه استمر في المطاردة –الآن داخل برقة– بدون تأخير ، وهذا مما جعله يدخل درنا في ٤ شباط ، واستمر حتى وصل الى ابعد ما يمكن الى خليج بومبا Bomba . اي انه اصبح امام موضع عين الغزالة . وكان الهجوم على هذا الموضع ثم القيام بمحاولة الاستيلاء على طبرق بالمباغتة متعذراً لانه كان لا يملك القوات الكافية ولا البنزين . ومن حسن الحظ ان القيادة العليا الايطالية كانت تعلم جيداً بالحقائق ولذلك رفضت مطالب غورنغ الذي كان في روما وأراد اصدار الأمر بالهجوم فوراً على القلعة .

وكان لا بد من توقف الطرفين لفترة طويلة ، لان كلا الجانبين كان يرث عضلاته .

وطار رومل الى اوربا ليحسم كثيراً من القضايا المهمة ، وفي روما أراد الحصول على الموافقة لتحريك الفيلق الايطالي من العقيلة ، للحاجة الملحة اليه في اشغال الخط الجديد . وأراد في روسيا الشرقية الاطلاع على الخطة السوقية العامة التي وضعت لصيف ١٩٤٢ ، وما هو دور حركات الميدان الافريقي ضمن هذه الخطة ، وكانت مؤتمراته مع هتلر ويودل فاشلة وبدون نتيجة ؛ وكان من المستحيل الحصول على ايضاحات ايجابية، ولم تكن لمحادثاته الهامة حول الاستيلاء على مالطا اي انطباع او تأثير ، ولم يتمكن من معرفة انواع الاسلحة والتقويات التي خصصت لجيشه المدرع الافريقي . وكذلك لم يتمكن من الحصول على تأكيدات خاصة في روما عند عودته ومروره بها . وهناك ، كان الجميع لا يتوقعون معرفة قرارات هتلر ، ولكن ، كان هناك ميل شديد للرأي الذي يتلخص بانه من الافضل انتظار البريطانيين في المواضع التي هم فيها الآن . اما الايطاليون فكانوا لا يفكرون في هجوم قبل الخريف ، ولانهم كانوا يعتقدون ان حرارة الصيف المحرقة ستمنع الانكليز من شن هجوم قبل هذا الوقت . ولكن رومل كان يختلف كل الاختلاف في رأيه . كان يعتقد بان العدو سيشن هجومه الجديد في حزيران ، وكان الانتظار بالنسبة اليه ليس حلا .

واقترح رومل في منتصف نيسان بوجوب الاستيلاء على مالطا أولا لتصبح الطرق البحرية أمينة لقوافل التموين ، ومن ثم يشن الهجوم على طبرق ، وربما يكون سقوط هذه القلعة الحصينة اشارة للتقدم نحو مصر ، وسيقرر ذلك الموقف نفسه . ولما كان رومل يتوقع هجوم الانكليز من حزيران وما بعده ، كان من الضروري ان يتقدم الجيش المدرع الى الأمام في نهاية مارس، ولذلك يجب توقيت

الهجوم على مالطا بحيث يتمكن السلاح الجوي بعد الانتهاء منها من اعادة تجحفله، وجعل طبرق هدفاً له . اما اذا كانت الاستحضارات لمهمة مالطة تتطلب وقتاً طويلاً ، فيكون من المناسب جداً حينئذ مهاجمة طبرق اولاً ، على ان يعقب ذلك مباشرة الهجوم على مالطا . ولكن الشيء المحتم كان سقوط مالطا .

اختارت القيادة العليا الالمانية والايطالية الخطة الثانيـــة لأسباب تتعلق بالوقت . وقد سارت الاستحضارات لكلتا الحركتين سيراً حثيثاً . وكانت حملة طبرق تحت القيادة الالمانية ، اما الاستحضارات الخاصة « بحركة هيركول » فقد ابتدأت في شهر شباط من قبل القيادة العليا الايطالية وعهدت مهمتها الى قطعات المظلات الايطالية والالمانية التي ارتبطت بهم .

كان موقف هتلر من مالطا موقفاً سلبياً في البداية ، ولم يوافق عليها إلا بعد ان صرح كل من رومل وكسرلنغ بأنها يرعيانها، ولا بد من القول هنا ان القوات الالمانية كانت خاضعة لقيادتـــين متضاربتين ؛ خاضعة للقيادة العليا الايطالية بصورة رسمية من الناحية التعبوية والسوقية ، وعملياً كانت القيادة الالمانيـــة في افريقية تستلم اوامر بصورة مستمرة من القيادة العليا للقوات المسلحة والتي كثيراً ما كانت تتعارض مع الوصايا التي تستلمها من القيادة الايطالية . وقـــد ترك أمر تنفيذ رغبات القيادة الالمانية لرومل يتصرف به حسب الموقف والى مهـــارة « القائد الالماني في مقر القوات الايطالية » فون رنتلن von Rintelen ، او الى تدخل الفيـــلد مارشال كسرلنغ ، ومهما كانت مهـــارة القائدين الاخيرين عظيمة ، فانها لا تحول دون تحمل القادة اعباء اضافية في الصحراء .

لقد شرع رومل بعـــد الظهر من يوم ٢٦ مارس بتطبيق خطته ، وكانت خطته تهدف الى تطويق الجناح الجنوبي لموضع البريطانيين في بير الحكيم بثلاث

فرق المانية وفرقتين آليتين ايطاليتين ، وبذلك يصبح خلـف الجيش الثامن البريطاني ، بينما يقوم فيلق المشاة الايطالي بتثبيت الجبهة . إلا ان هـذه الخطة كانت نتيجتها الفشل الذريع لأن البريطانيين لم يهتموا كثيراً بالهجوم الجبهوي واستطاعوا ان يركزوا كل جهدهم نحو قوة روميل التي تقوم بحركة الالتفاف ، وهكذا اصبحت قوة روميل نفسها محاطة خلف المدافعين،ولم تتمكن التعزيزات والتقويات ان تستخدم الا طريقاً ضيقاً لا يزيد عن بضعة أمتار ، وكان هـذا الطريق يصبح جحيماً لا يمكن سلوكه نهاراً من جراء قصف المدفعية المستمر ، وهكذا اصبح مصير القوة معلقاً بخيط من حرير .

وقد بقي روميل بضعة ايام بدون اي واسطة لاسلكية للمواصلات للسيطرة على قطعاته ، وكان موقفه يدعو للخيبة واليأس . والعجيب قدمت له نصائح كثيرة بوجوب التراجع ، والذي اصبح الحل الوحيد لديه ، وحتى هذا الحل لا يمكن انجازه بشرف ونجاح إلا اذا شرع به فوراً .

اما روميل فقد رفض كل هذه المقترحات بازدراء واستخفاف لأنه كان يأبى القيام بمثل هذا العمل . وأنه سيحطم جميع الهجمات على « مواضعه القنفذية » حتى يتم انهاك العدو ، ثم يستأنف الجيش المدرع التعرض ثانية .

لقد بلغت صلابة روميل في الاسابيع الخطيرة حد الاعجاب ، واستحقت كل تقدير وفخر ، اذ تعاقبت الازمات واثبتت الحوادث المتعاقبة بصورة جلية، انه كان مخطئاً .واصدق مثل على ذلك ما حدث في المعارك المتذبذبة التي استعر لظاها حول حصون بير الحكيم ، والتي كان يدافع عنهـا اللواء الفرنسي الحر بعزم وشجاعة بقيادة الجنرال كونك Konig وبفوج يهودي ، حتى يوم ١٢ حزيران ، كان الموضع يشتمل على اكثر من الف مركز حصين ، وكان الكثير منها قد أنشأ بالمتفجرات في الصخور ، ولكن مع كل هذا سقطت المراكز الرئيسية المشهورة

في الدودا وسيدي رزق بعد ستة أيام في ايدي القوات الالمانية ، وهكذا انفتح الطريق الى طبرق .

وكان السؤال المؤلم الذي تتناقله الجهات المسؤولة في لندن والقاهرة هو : ماذا سيعمل روميل الآن؟ من الصعب الاستيلاء على طبرق . حيث كانت فرقتان تربضان وراء استحكاماتها المنيعة الممتازة التي بنيت منذ عهد بالبو « Balbo » .

وتجلت عبقرية روميل مرة اخرى ، فقد ارسل قوة ضاربة باتجاه بارديا قبل بزوغ الفجر ، وكان يقودها بنفسه . وكانت جميع الظواهر تدل على انه سيستمر في المطاردة نحو مصر كما في السنة الماضية ويترك طبرق وراءه ، ولكنه عاد عند حلول الظلام ، وكانت الفرقة المدرعة الالمانية التي كان العدو يعتقد بانها ماضية في طريقها نحو الشرق ، قد غيرت اتجاهها وعادت نحو طبرق ، وكانت الليلة مقمرة ولكن اشعة القمر الافريقي كانت تطمس جميع المعالم وتمحوها . وكانت الدبابات والعجلات تندفع الى الامام برتلين جنباً الى جنب . وقد وصل تقرير مفاجيء جاء فيه : ان جميع المدفعية الالمانية التي تركت في جنوب وشرق طبرق في السنة الماضية لا تزال موجودة في محلاتها ولم يمسها احد ، وكان بجانبها عدة آلاف من الاطلاقات ذات العيار الثقيل ، وخاصة من الانواع التي كان التموين بها قليلاً ، وهذا مما وفر لنا وقتاً وبترولاً كثيراً ، وكانت الليلة صاخبة ، يملأ جوها هدير الدبابات والصيحات المتقطعة والأوامر التي تعطى همساً. والآن وقد اختفى ضياء القمر ، وشمل الظلام الدامس كل شيء ، وكانت اشارة الضياء الأحمر او الاخضر تنبعث من المصباح اليدوي بين الحين والآخر ، وكان كل شيء يبدو غامضاً يكاد يكون لغزاً. وفي تمام الساعة الخامسة صباحاً فتحت المدفعية نيرانها، وانقضت طائرات الشتوكا لأول مرة بالقاء حممها على النطاق الخارجي للمدافعين، ورد العدو بالمثل بكل ما تيسر لديه من مدفعية ، وبعد ساعتين تم الاختراق الأول في حقول الألغام ويعود الفضل في ذلك للاسناد الجوي الرائع الذي قدمه

اسطول كسرلنغ . وأقيمت الجسور على خنـــادق ضد الدبابات ، واندفعت الدبابات الى الأمام واستطاعت تحطيم الجبهة وتمزيقها واستمرت المعركة على شدتها وضراوتها حتى بعد الظهر ، وفي المساء كان رومـــل مع الدبابات الاولى التي وصلت الى الميناء والى المدينة ، وبذلك انشطرت القلعـــة الى شطرين ، وتم تحقيق الهدف .

والآن وطىء الجنود الالمـــان ارض طبرق لأول مرة ، الأرض التي شهدت أعنف قتال وأقساه ، وواجه الطرفـــان خلال أكثر من سنة شتى أنواع البؤس والحرمان في منطقة صخرية ، مغبرة ، يندر الماء فيها ، وتزخر باسراب الذباب، شمسها محرقة لافحة ، لا تجد ظلاً او سترة تتقي بها . وقد أصبح رأس المدوار ، حجر الزاوية للدفاعات الغربية كحصن فردون صغير . وكان عبارة عن بضعة أمتار من ارض صخرية ، شهدت معـــارك استمرت اشهراً ، وكانت مئات الألوف من القنابل تنهال على كيلومتر مربـع ، واليوم تنتصب صفوف من الصلبان تشهد على عنف الكفاح ومرارته ، والآن قد انطفأ ذلك الجحيم بالنسبة للطرفين .

وفي صباح يوم ٢١ حزيران ، استسلم الجنرال كلوبر Klopper قائد قلعة طبرق مع بضعة جنرالات و ٣٣٫٠٠٠ جندي الى القوات الالمانيـــة ، وكانت الغنائم عظيمة جداً ، تشتمل على ارزاق ٣٣٫٠٠٠ جندي لمدة ثلاثـــة أشهر ، وعشرات الألوف من كالونات البترول ، ولولا تلك الغنائم لتعذر ادامة وتجهيز الجيش المدرع في الأشهر القليلة القادمة . بينما قوافل البحر لم تصل مرة واحدة وهي في نيسان ١٩٤٢ وأفرغت حمولتهـــا التي اقتصرت على ما كان ضرورياً للجيش وبمقياس أدنى ما يمكن من التموين الشهري ، اي ما يعادل ٣٠٫٠٠٠ طن من العتاد والبترول ، وكان أشد نقص يعانيه الجيش هو البترول، الذي هو بمثابة

دم الحياة للقطعات الآلية ، وكان هذا النقص المتزايد في ناقلات البترول نتيجة ازدياد اغراق السفن .

والآن ما هي الحركة الواجبة بعد سقوط طبرق ؟ الطريق الى مصر اصبح مفتوحاً ، وكنا نشك حتى في قدرة العدو على انشاء خط جديد امام النيل . وكان من المحتمل ان نحتل الاسكندرية وحتى القاهرة بالعمل السريع . اما اذا توقفنا الآن فمعنى ذلك اننا فقدنا فرصة ثمينة ، وهذا هو كان تفكير ومناقشة رومل . اما القيادة العليا الايطاليـة والمشير كسرلنغ فكانا يتمسكان بالخطة السابقة وهي الاستيلاء على مالطا فوراً بعد سقوط طبرق . وكان من المتعذر القيام بالمهمتين في آن واحد ، اي الهجوم على مالطا والاندفاع نحو مصر ، لان السلاح الجوي كان بامكانه اسناد حركات واحدة فقط . كانت انتصارات رومل ذات أثر فعال في نفس هتلر ، وعليه فانه أيّد وجهة نظر رومل ، وكان يقول من الخطأ ان تخذل قائداً مظفراً وتخطف أكاليل النصر من بين يديه : وهذه هي العبارات التي سمعتها السلطات الالمانية في روما من مقر هتلر .

ولهذ اندفع رومل اندفاعاً عميقاً في ارض مصر بالنظر لموافقة هتلر وتحديا لفكرة القيادة العليا الايطالية ، وقد اضطرت قواته الضعيفة والمنهوكة القوى الى التوقف في العلمين . وقد صرح رومل اخيراً بأنه كان محظوظاً لأنه لم يستمر في التقدم اكثر ، ولو فعل ذلك لوصل الى النيل وليس معه اكثر من ثلاثين دبابة .

كان التقدم الى العلمين يعني ترك حركة مالطا ، وفقدان آخر فرصة لاحتلال الجزيرة ، التي كانت في ذلك الوقت – كما نعرف الآن – ثمرة يانعة وحان قطافها ، نتيجة للغارات الجوية العنيفة التي قام بها الاسطول الجوي الثاني ، وهكذا بقيت مالطا قاعدة بحرية وجوية تحمي قوافل البريطانيين في البحر الأبيض

المتوسط ، وتهديداً خطيراً لطريق التموين الالماني الايطالي في شمال افريقيا .

لقد وصل رومل الى العلمين خلال اسبوع بعد سقوط طبرق ، وبعد ان تم احتلال مرسى مطروح والضبعا. وقد بلغت ازمة الحملة كلها ذروتها الآن . فقد اكتشف الاستطلاع الجوي الالماني تنقل قطعات بريطانية قوية باتجاه فلسطين ، واسطول البحر الأبيض المتوسط كان مراسيه في الاسكندرية .

وكان رومل يعتقد بأنه حتى اذا احتل الاسكندرية وربما تصبح جميع منطقة الدلتا في قبضته ، ولكن الطرفين بلغا درجة من الاعياء الى حدود انعدام الطاقة والحركة لخطوة واحدة . اما البريطانيون فقد شرعوا في جمع قوات كافية لاحتلال خط العلمين ، وقد انشىء على أحدث الاساليب ، وكان قوياً متيناً جداً ، ولكنهم كانوا حتى اواخر الصيف غير قادرين على تحشيد قوات كافية لدحر الالمان الى الخلف .

وكان رومل من ناحيته ضعيفاً جداً لا يتمكن من متابعة هجومه ، والاكثر من ذلك ان خطوط تموينه اصبحت طويلة جداً بينما قصرت خطوط خصمه ، وكذلك ساءت كثيراً خدمات التموين البحرية للجيش المدرع ، حتى انخفضت في الحمولة في تموز الى ستة آلاف طن ، اي ١/٥ الكمية اللازمة . وظهر ايضاً ان استيعاب ميناء طبرق غير كافٍ ، وعليه تطلب الأمر استمرار استخدام ميناء بنغازي ، واصبحت المسافة من الميناء الى الجبهة براً طويلة جداً ، ويستغرق طريق العودة لرتل من بنغازي الى الجبهة سبعة أيام ، اما من طرابلس فتصبح المسافة ضعفها . بالرغم من أن السياقة كانت ١٢ ساعة في اليوم الواحد .

وهكذا ابتدأت المعركة للعلمين ، كما كانت بطبرق في السنة الماضية : صخور جرداء تبعث على الوحشة ، مغطـــاة بطبقة رقيقة من التراب ، لا يتيسر فيها ستر للوقاية اثنــاء الاستطلاع او من نار العدو ، حر شديد محرق ، ذباب كثير مزعج ، حرية التنقل محدودة بل معدومة ، وتربة حجرية يصعب الحفر فيها ، يتعذر ايصال الطعام الى الامام إلا ليلا ؛ وكان الخروج من الحفرة لا يتم إلا ليلا لتمديد الأرجل وراحتها .

طار تشرشل الى القاهرة ليطلع على الموقف بذاته ، وقد وضع الكساندر بدلاً من اوكنلك ومونتغمري بدلاً من ريتشي ، وأغــدق على الجيش الثامن بامدادات لا تنقطع ،وتغلب الجانب البريطاني على الأزمة بصورة تامة في منتصف آب . واصبح الجيش الثامن القوي التكوين بقيادة قادة حازمين محنكين ، وهو يحتل الجبهة من شاطىء البحر الأبيض المتوسط الى منحدر القطارة العميق . لم يكن هذا السبب الوحيد في فشل الضربة التي وجهها رومل في ٣٠ آب ، وانمـا السبب الرئيسي كان يعزى الى نقص البترول . وقد تخلى رومـــل عن تنفيذ خطته نهائياً للاستيلاء على ميناء الاسكندرية الهام بسبب الموقف السيء للوقود. وكان يأمل في الأخير بوعد كسرلنغ حول تأمين كمية البترول اللازمة له جواً كل يوم . وقد برّ كسرلنغ بوعده وأرسل البترول . وكان يعتقد انه قــام بواجبه ، ولكن في الحقيقة لم يصل الى الجيش إلا كميات قليلة جـداً ، لأن طائرات النقل كانت تستعمل معظم الوقود في طريقها ، وشعر رومل بأنه وقع في الفخ وانه لن يستطيع الافلات منه . والحقيقة ان اللوم يقع على القيادة العليا لأنها تركت لروملٍ مسؤولية التقرير على هجوم كانت ذاتها لا تثق بنجاحــه . اما الايطاليون فكانوا بلا ريب يساورهم الأمل في امكان تحقيق ذلـك النجاح العظيم .

شن رومل هجوماً وتمكن من خرق موضع البريطانيين . ولكنه سرعان ما أصيب بصدمة عنيفة عندما اغرق العدو قافلة نفط المانيــة ذات حمولة سبعة آلاف طن قبل دخولها ميناء طبرق وقد حدث ذلك عندما كان رأس رمح الجيش المدرع يخترق المنطقة الخلفية للعــدو ويقف على مسافة عشرين كيلومتراً من الاسكندرية . وكانت نتائج هذه الحادثة خطيرة ووخيمة جداً ، لان قوة رومل قدتوقفت منذ اسبوع وراء جبهة العدو لنفاذ وقودها وأصبحت لاتستطيع الحركة خطوة الى الامام او الى الوراء . وتعرضت تلك القطعات لغارات جوية عنيفة جداً خلال « سباق الستة ايام » كما سماها الجنود ، بحيث لم يجابهوا مثلها فيما بعد .

كانت الطائرات خلال هذه المدة من الساعة السابعة صباحاً حتى الخــامسة مساء ومن العاشرة مساء حتى الخامسة صباحاً من كل يوم ، وهي ترمي وتقصف ، وكانت القطعات تنذر بتعبير رومل عنها فتقول « سجادة » بالنهــار وطائرات واطئة منفردة في الليل . وكان مقر رومل التعبوي على مسافة ثلاث كيلومترات وراء خط الجبهة الأمامي ، وكان يبدل ويحفر مرات عديدة . وقد أثرت هذه الخسائر الفادحة التي تكبدها الجيش في هذه العملية العقيمة ، وخاصة في المواد ، تأثيراً كبيراً عند مجابهة معركة العلمين . خاصة وان التموين كان في تناقص مستمر من شهر لآخر .

لقد كان التقدم نحو مصر قبل تأمين خطوط التموين . وذلك بالاستيلاء على مالطا ، من الاخطاء الفظيعة ، وقد أخذت نتائجه تبدو جلية وواضحة. ولشد ما ضايق رومل هذا الاهمال وسبب له كرباً ، واكثر ضيقاً وكرباً من رومل ، ما اصاب القيادة العليا الالمانية التي شجعت رومل على الاندفاع الى النيل . وقد

فشلت خطط سحب قوات المحور الى الحدود المصرية ، اي الى خط السلوم - الحلفايا ، لعدم تيسر وسائط النقل للمشاة الايطاليين . اضافة لذلك ، كل اقتراح من هذا القبيل لا يوافق عليه هتلر ويرفضه . ولكن رومل ادرك مدى الخطر، وقبل ان يطير في ايلول في اجازة مستعجلة هامة ، حذر وأكد كثيراً على خطورة النتائج بسبب سوء التجهيز ، حتى انه انهى تقريره بالكلمات التالية التي اضافها بخط يده :

« اذا لم يتم تجهيز الجيش المدرع بالمواد الضرورية جداً ، فانه سيتعذر عليه الصمود بوجه قوتين عالميتين ، قوة الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة ، وان الجيش بالرغم من شجاعته وبسالته سيغلب على امره ان عاجلا او آجلا ويتوقف ذلك على مصير حملة الحلفايا » . وكان الجواب الوحيد الذي استلم بعد بضعة أسابيع على شكل برقية موقعة من قبل عقيد من القيادة العليا للقوات المسلحة ، وكان نص البرقية هو ان الكميات المطلوبة كانت اكثر من اللازم .

لقد سبق هجوم مونتغومري العظيم غـارات جوية عنيفة وأخذت تزداد شدة وعنفاً من نهاية أيلول وما بعده ، وكان الغرض الرئيسي منها شل السلاح الجوي الألماني عن العمل. وبذل الطرفان كل ما في وسعهما في سبيل التهيؤ للمعركة القادمة . واقتصرت هذه الاستحضارات في الجـانب الألمـاني على تعزيز المواضع وتقويتها ، كزرع حقول الألغام بصورة خاصة ، واعادة تجحفـل القوات الاحتياطية بشكل أفضل ، كل ذلك جرى لعدم وجود الامدادات . وتم انسحاب القوات الرئيسية الى خط أبعد في الوراء قبل ابتداء المعركة ، وكان الغرض من ذلك هو احباط تأثير ضربة العدو الأولية ، ولا يمكن أن يعزى

الانسحاب الى الخوف من تأثير الصدمة على مشاة الايطـاليين وزعزعة كيانها وثباتهـــا .

أشغلت الجبهة بصورة عامة بأفواج ألمانية وايطالية على التوالي ، وكانت تقف وراءها ثلاث تشكيلات احتياطية ، يتألف كل تشكيل من فرقة ألمانية مدرعة وأخرى ايطالية مدرعة . وقد وقعت الواقعة ، وهبت العاصفة في مساء ٢٤ تشرين الأول ، بقصف من الف مدفع ، كانت الصحراء تهتز بهديرها، وانقض المهاجمون على المشاة الايطاليين أولاً وقضوا عليهم وشلوهم عن العمل . ثم اتجهوا بعد ذلك لاحاطة المقاومات الألمانية الباقية ، وفي مساء يوم ٢٥ ، عاد روممل ، بعد أن قتل وكيله في خط الجبهة ، وهو القائد الشجاع البطل « شتومه » .

لقد واجه الجيش الألماني مشكلة القطعات الايطالية العاجزة المتهورة وأصبح من العسير عليه أن يسد الثغرات التي تحدث في الجبهة باستمرار من جرائها. وقد أصبح تفوق العدو بالعدة واضحاً بيناً ، بالرغم من أنه كان مهاجمـــاً ويتكبد خسائر فادحة ويقدم ثمناً باهظاً عن كل خطوة يخطوها الى الأمام . وكانت جبهتنا تتراجع بضعة كيلومترات يومياً لتتحاشى اختراقها وما ينجم عن ذلك من عواقب وخيمة . ولذلك لم يكن لدينا سبيل آخر غير التراجع بكل سرعة. ولكن كم يطول الوقت بين وقفة وأخرى . إن ذلك كان يعتمد على العدو ذاته بالدرجة الأولى أي عندما يصاب بالارهاق والاعياء .

وفي ٢ تشرين الثاني ، أخبر روممل القيادة العليا الايطالية والقيادة العليا الألمانية بقصده وغرضه ، وكان يعتقد أن آراءه المنطقية كانت صائبة لا تحتمل الخطأ . ولذلك كانت المفاجأة له عظيمة حين استلم في اليوم الثاني « أمراً من الفوهرر » ، وكان الأمر يدل على جهل تام بالموقف ، بينما كان الموقف يرسل يومياً موضحاً كل شيء ، وكيف ان القطعات أصبحت مرهقة متعبة ... كان

الأمر بطلب « قهر العدو أو الموت في موضع العلمين ، والاستماتة عن كل ذراع من أرض الصحراء » . أما روميل فقد شرع بالانسحاب في ٤ تشرين الثاني ، بموافقة الفيلد مارشال كسرلنغ ، بعد أن تمكن العدو من اختراق الجبهة في أربع محلات في بضع ساعات ، ولكن هتلر لم يصفح له عن هذه المخالفة في تنفيذ الأمر ، وقد تبين ذلك حين صرح في أواخر خريف ١٩٤٤ قائلاً لو أن روميل ثبت في العلمين لتغير مجرى جميع الحوادث . وهذا صحيح ، ولكن لأصبح الجيش ممزقاً مقطعاً الى عدة مجموعات يحيطها العدو ولا يلبث أن يقضي عليها ويدمرها في ٢٤ ساعة . ولكن روميل استطاع بانسحابه أن يحتفظ بكيان الجيش واكتسب وقتاً لتحقيق أغراض بعيدة المدى . وصار روميل بعد العلمين لا يكترث بهتلر ، بينما كان حتى ذلك الوقت يثق به ثقة مطلقة .

سوف لا اتطرق الى وصف الفرد خلال هذا الانسحاب الذي كان يمثل صفحات رائعة للتراجع الذي انجزه الجيش في نهاية العام الى موضع البويرات . كان التراجع مقيداً بطريق واحد ، يهاجم من الجو ليلا ونهاراً . وكانت الآليات غير كافية ، وكثيراً ما كانت الآليات تتوقف لنفاد البترول الضروري[1] وكثيراً ما حدث ، ان سنحت لنا فرصة ملائمة للقيام بهجوم مقابل

---

١ - وصلت في تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٤٢ ، بواخر صغيرة منفردة الى الموانىء الليبية وهي تحمل مواد التموين . وكانت تدعى اعتيادياً « نقليات الحرب » حمولتها (٤٠٠طن) اما الوقود فكان يجهز معظمه جواً ، وكانت أعمال النقل الجوي تعتمد الى حد كبير على الحالات الجوية والسيادة الجوية ، وكانت تتراوح بين ٤٠ و ١٨٠ طن يومياً ، فمثلاً في يوم من الايام لم يصل من البترول الا بطائرة واحدة وهو ١٠٥ طن ، وسيظهر المثال الآتي قلة معرفة القيادة العليا بالموقف . كانت هناك ثلاثة خطوط سكك حديدية ، في تونس ، قرب طرابلس ، وقرب بنغازي بمجموع طولها اقل من ٣٠٠ كيلومتر ، وفي منتصف شباط ارسلت القيادة العليا للقوات المسلحة أمراً بوجوب الشروع بربط هذه الخطوط الحديدية ، وارسال تقرير يومي عن سير العمل . ولم يتطرق الأمر الى القضبان الحديدية او الخشب ، والمكائن وغيرها التي نحتاجها في الانشاء لمسافة ٧٥٠ كيلومتراً ، وقد اصبح هذا المشروع قديماً وحفظ منذ اوائل ١٩٤١ بسبب نقص البواخر .

محلي ولكننا لم نستثمرها لعدم وجود الوقود ، وكنا نعيش كما يقال من اليد الى الفم في جميع الامور ، انه امر يدعو الى العجب ، كيف استطاع الجيش المدرع انجاز تلك الحركة العظيمة للانسحاب لمسافة تبلغ خمسمائة كيلو متر دون ان يمسه تصدع او اختلال من الداخل او الخارج (١) . ومع ذلك كانت النهاية تقترب رويداً رويداً . وكانت تبدو هذه النهاية للفيلد مارشال رومل اكثر جلاء ووضوحاً من أي فرد آخر حتى قبل انزال الحلفاء في مراكش والجزائر . كان رومل يصارع المرض ولكن ارادته الحديدية كانت اقوى من المرض وهي التي جعلته يستمر في عصر كل ما لديه من جهد وطاقة ، وقد صمم على ان يطلب شخصياً من هتلر اخلاء جميع ميدان الحرب لأن جميع التقديرات والحسابات دلت - يضحى بالمواد طبعاً - على امكان نقل ما يقرب من ثلثي مجموع الاشخاص الى اوربا . وكانت « دنكرك المانية » ضرورية ولا بد منها . وقد استفاد رومل من اول سكون في القتال وطار سراً في ٢٨ تشرين الثاني ، وهكذا قام بسفرته خلافاً للأمر . في سبيل انجاز مسؤوليته المقدسة نحو جنوده كما يعتبرها ، ولكنه لم ينجح ولم يوفق في الوصول الى التفاهم ، وكانت النتيجة ان رفض هتلر رفضاً باتاً بعد نقاش طويل حاد تأييد الأخلاء . لأنه كان يعتقد ان الطريق البحري القصير الى تونس الذي فتح حديثاً سيضمن التموين والادامة الجيدة ، وقد امر غورنغ بمراقبة رومل عند عودته ، وان يقوم بكل شيء ضروري في ايطاليا في سبيل اعادة طريق التموين الى طرابلس مرة اخرى .

والنقطة الوحيدة التي تجنبها عمداً كل من هتلر وغورنغ (٢) هي قضية تأمين الحراسة اللازمة للبواخر جواً وبحراً .

---

١ - كان الاتجاه الدقيق الذي يسلكه الجيش الافريقي من انسحابه يعد مفخرة تثير الاعجاب والتقدير ، لأن الصحراء كانت خالية من كل الموانع الطبيعية على امتداد ما يدعى « بخطوط الاستلام » ، التي يجمع فيها الضالون ويعاد نظام الوحدات فيها .

٢ - لقد كثر الحديث عن وجود خيانة خاصة بصدد القوافل المحملة بالتجهيزات والاسلحة للقطعات الالمانية التي كانت تهاجم وتغرق باستمرار ، اذ كيف يعلم العدو في كل مرة عن حركة ←

وعاد روميل بعد ذلك الى جنوده ، وهو كسير القلب ، وصار يعلم الآن ان الكارثة والنهاية المفجعة لا مفر منها .

النهاية

لقد كان انزال الحلفاء في شمال افريقيا مباغتة للقيادة العليا الالمانية، ولكنه لم يكن مباغتاً للقيادة العليا الايطالية ، او للقائد العام في الجنوب ، الفيلدمارشال كسرلنغ لأنه كان يعرف منذ بضعة اسابيع ان اسطولا للحلفاء يتجمع للانزال في المياه الافريقية الغربية . وكانت القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية تعتقد باحتمال الانزال في جنوب فرنسا فقط ، وذهب غورنغ الى ابعد من ذلـــك أمر كسرلنغ بان لا يتخذ السلاح الجوي أي استحضارات تجاه الانزال في شمـــال افريقيا . اما الجيش المدرع فكان اكثر ما يخشاه هو الانزال في منطقة طرابلس وبنغازي لأنه يقطع عليه خط تموينه بل حياته . ولكن الاستخبارات الالمانية، صرحت من جانبها بأن هذه المخاوف لا تستند على أساس . وهكذا اصبحت

→
القوافل التي كانت تقلع في أحلك الليالي وفي احوال سرية للغاية ؟ كانت الشكوك تحوم في ذلك الوقت والتي أيدتها حوادث معينة باستسلام الادميرال الايطالي موغيري Maugeri .

وقد استلم موغيري عام ١٩٤٦ النجمة الفضيـــة وسام الاستحقاق الاميريكي للخدمات الهامة التي قدمها للحكومة الاميريكية عندما كان رئيس خدمة التجسس البحرية ، وكان موغيري قد تسنم هذا المنصب من مايس ١٩٤١ الى ايلول ١٩٤٣ ، وقد ذكر في كتاب كتبه بنفسه ، بأنه كان للبحرية الانكليزية أصدقاء كثيرون من بين امراء بحرنا ذوي الرتب العالية . وكنت أشك في أن انكلترا كانت قادرة على الحصول على المعلومات من المصادر المطلعة مباشرة ، وقد وجد مجلس تحقيقي براهين وأدلة على ان الادميرال موغيري كان على اتصال بالحلفاء حتى قبل ٨ ايلول ١٩٤٣، ويتذكر الشعب الايطالي حادثة غرق ٣٠٠٠٠ بحـــار الذين لاقوا حتفهم وهم في الطريق الى افريقيا ، وقد بلغ الهياج والحمـــاس منتهاه بحيث نحى الادميرال الخائن من منصب رئيس اركان البحرية . ولا بد من الاشارة الى ان المادة ١٦ من معاهدة السلام الايطالية نصت على عدم اتخاذ اي اجراءات ضد اعضاء القوات المسلحة الايطالية الذين قدموا مساعدات الى الحلفـــاء بعد حزيران ١٩٤٠ .

القوة الالمانية الايطالية تجابه تهديداً سوقياً من الخلف ، وتقترب نهايتها جداً اذا حصل نزال آخر في تونس .

ومن الغريب ان لا يحدث هذا الانزال ، ولهذا بادر القائد العام في الجنوب اغتنام الفرصة ووضع يده على تونس لعدم تيسر قطعات اخرى . وأنزل فوج حرس الماني جواً في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٢ ، ثم تبع ذلك اول قطعات ايطالية بعد يومين .

والآن لا بد لنا ان نتحدث قليلاً عن القائد العام في الجنوب الذي أخذ على عاتقه الآن ولأول مرة دوراً فعالاً في ادارة الحرب الأرضية ، والذي قاد جميع القطعات في ايطاليا فيما بعد .

كان الفيلد مارشال كسرلنغ قد عين قائداً عاماً في الجنوب في تشرين الثاني ١٩٤١ ، وقد وحد هذه القيادة بقيادة الاسطول الجوي الثاني . وكانت رغبة الالمان هي ان تكون القوة الجوية الايطالية وقسماً من البحرية الايطاليـــة تحت قيادته ، غير ان هذه الرغبة لم تتحقق ، ولذلك كان اصطلاح القائـــد العام في الجنوب في البداية لا يعطي المعنى الصحيح ، لأنه كان يسيطر على التشكيلات الجوية التابعة للاسطول الجوي الثاني في افريقيا ، وايطاليا واليونان فقط ، ولم تصبح القوات البحرية الالمانية في البحر الأبيض المتوسط ، والـتي كانت قليلة العدد بأمرته الا مؤخراً . ولم يصبح قائداً عاماً للجيش الالمـــاني في افريقيا وايطاليا إلا في بداية عام ١٩٤٣ .

ان تقدم الحلفاء البطيء شرقاً من الجزائر ، اعطى المجال لتعزيز وتقوية رأس الجسر في تونس وان يمتد الى الغرب . واقنعت الحامية الفرنسية في قلعة بيزرته للاستسلام والقاء سلاحها . واصبح بالأمكان اخـــيراً نقل أجزاء من فرقتين مدرعتين بصورة تدريجية وثلاث فرق مشاة الى تونس ، ولكن بقيت الحاجـة

ماسة وضرورية جداً الى بعض الوحـــدات حتى النهاية خاصة الى المدفعية . وتشكل الجيش المدرع الخامس من القطعات التي تم نقلها الى تونس بقيادة الجنرال فون آرنم von Arnim ، وألحق به بعض الوحدات الايطالية ، لقد تحسن موقف آرنم كثيراً في عيد ميلاد ١٩٤٢ . لأن قوات الحلفاء كانت غير قادرة على اجراء الحركات بشكل مرضي ، غير ان موقف رومل لم يتحسن بالرغم من قصر الطريق البحري الى تونس ، واصبح التموين قليلا جـداً لأن التقويات كانت موجهة الى جيش آرنم بصورة رئيسية في ذلك الوقت . وقد احيط موضع رومل في البويرات وتمت حركة الالتفاف عليـه من الجنوب . وكان مصيره في كانون الثاني نفس المصير الذي واجهه في طرابلس ، ولهذا اجبر على الانسحاب الى خط ماريت الذي كان يؤلف استحكامات الحدود الفرنسية سابقاً ، ولكن الايطاليين لسوء الحظ قد جردوه من جميع الأسلحة . وقد تم الاتصال بـين رومل وبين جيش آرنم لأول مرة ، ولكن الدائرة حول قوات المحور لم تكن حتى الآن ضيقة جداً .

لقد كان لفقدان طرابلس ، أكبر واجمل مدينة في الامبراطورية الايطالية ، تأثيراً بالغاً ومحطماً للايطاليين . وكان سقوطها يعتبر أخطر اندحار للحملة في شمال افريقيا حتى الآن . وادى الى تغيير في القيـــادة العليا ، واصبح الجنرال امبروسو Ambrosio بدلاً من كافاليرو Cavallero الذي قيل عنه بأنه كان منقاداً انقياداً كلياً للالمان . وفي الحقيقة انه كان ذا روح خيرة محبة للمساعدة سهل الانقياد ، ولكنه كان مع ذلك يرعى المصالح الايطالية ولا يغفل عنهـــا مطلقاً .

لقد تحولت الروح الهجومية لجيش رومل الى لهيب متقد في شباط ١٩٤٣ ، ولهذا اندفع رومل باتجاه الشمال الغربي في ١٤ شباط من جنوب تونس نحـــو « تابسا » في الجزائر ، لغرض اعاقة انفتاح واستحضارات قوات العـــدو ، واكتساب الوقت . وقـــد دمر الحاميات الاميركية الضعيفة ، واستولى على

كاسرين ، فايد ، وفيرين ، وقفصه ، ومطارات هامة ايضاً ، ووجه ضربة اخرى باتجاه الكيف وقوض بذلك جميع جبهة العدو في تونس تماماً . وعلى أثر ذلك جمع القائد العام البريطاني ، الجنرال الكسندر بنفسه فرقتين ممتازتين للقيام بالهجوم المقابل . ولكن روميل لم يستمر في استثمار فوزه لعدم تيسر القوة اللازمة لديه حتى انه لم يلتفت الى اغراءات بوجوب الاستمرار واستثمار الفوز ، الذي كان مدفوعاً برغبة – رومنتون - الذي يريد اندفاع روميل الى الامام لاحتلال قسطنطينة ، ولكن روميل بدلا من ذلك عاد الى نقطة شروعه حسب الخطة الموضوعة . ثم وجه ضربة اخرى في الأخير بعيداً الى الشمال نحو سدجان ولكن هذه الضربة كانت اقل أثراً ، ثم اتجه روميل الآن نحو الجنوب مرة اخرى لاعاقة هجوم مونتغمري المرتقب على خط ماريت ، وقد مُني الهجوم المدرع بالفشل السريع لضعف قيادته ، ولفائقية الحلفاء الجوية ، وكانت الخسائر فادحة ، وكانت النتيجة خيبة أمل بصورة تامة . ولم تكن نتيجة خطأ روميل ، وانما كان القائد يجهل القتال مع عدو يتفوق جوياً ، وفي هذه الآونة ، استلم روميل قيادة جميع قوات المحور في افريقيا ، وكانت تشتمل على جحفل الجيش الافريقي الذي تكون حديثاً من جيوش فون آرنم وجيوشه . وبعد ذلك بقليل ، اي في ٣ ايلول ١٩٤٣ ترك ميدان الحرب بأمر من هتلر ، مع انه التمس وألح في السماح له بأن يشارك في مصير جنوده . ولكن هتلر اصر على عودته ، لأنه كان لا يرغب في ان يكون مصير فيلد مارشال ثاني كمصير باولوس ويقع في ايدي العدو . وكم كان الجنرال ايزنهاور جاهلاً بالحقيقة عندما اكد « بأن روميل اراد أن ينجو بجلده فقط » . ولم يقم الالمان بعد هذا بعمل يذكر .

قام البريطانيون والأمريكيون بهجمات حاسمة في شباط . وشنت فرقة المشاة الانكليزية في ٧ شباط هجوماً على وادي ماجيردا تسندها مائة وخمسة وعشرون دبابة شرشل ، واستطاعت اختراق الجبهة بالرغم من مقاومة الالمان المستميتة ، وشن مونتغومري في نفس الوقت هجومه الحاسم على وادي العقاريت على الجيش

الايطالي الاول بقيادة الجنرال الالماني مسه « Messe » الذي استلم قيادة جيش رومل . وبعد معارك عنيفة طاحنة تكبد الطرفان فيها خسائر فادحة ، تمكن مونتغومري من اختراق الجبهة لتفوقه الهائل في المواد .

والآن أصبحت الشبكة تضيق شيئاً فشيئاً ، بينما كان مونتغومري يتعقب جيش ميسه ، الذي كان حتى الآن يتكون معظمه من القطعات الالمانية ، وقد امر الجنرال الكسندر الجيش الاول البريطاني ، تعززه فرقتان من الجيش الثامن، للقيام بحركة كماشة ، وشرعوا بالهجوم على ماتور بتاريخ ٣ مايس ، ودخلوا تونس بعد الظهر من ٧ مايس . وسقطت بيزرته في ٨ مايس ، وكان سقوطها بمثابة اشارة لانهيار جميع الجبهة الالمانية . والعوامل التي ادت الى دمار القطعات الالمانية هي فقدان الاسناد الجوي ، ولو لفترات قصيرة ، ونقص العتاد ، بحيث كانت المدفعية غير قادرة على الرمي على الاهداف الملائمة جداً . وهكذا كانت معظم القطعات لها أشد الرغبة في القتال ولكنها كانت تقف موقفاً سلبياً ضد ارادتها وهذا مما عجل في النهاية كثيراً وأعلن الاستسلام في ١٠ مايس في شبه جزيرة كيب بون ، وانتهت آخر مقاومة يوم ١٢ مايس ، ووقع ما يقرب من ربع مليون اسير كان ثلثاهم من الالمان في ايدي الحلفاء .

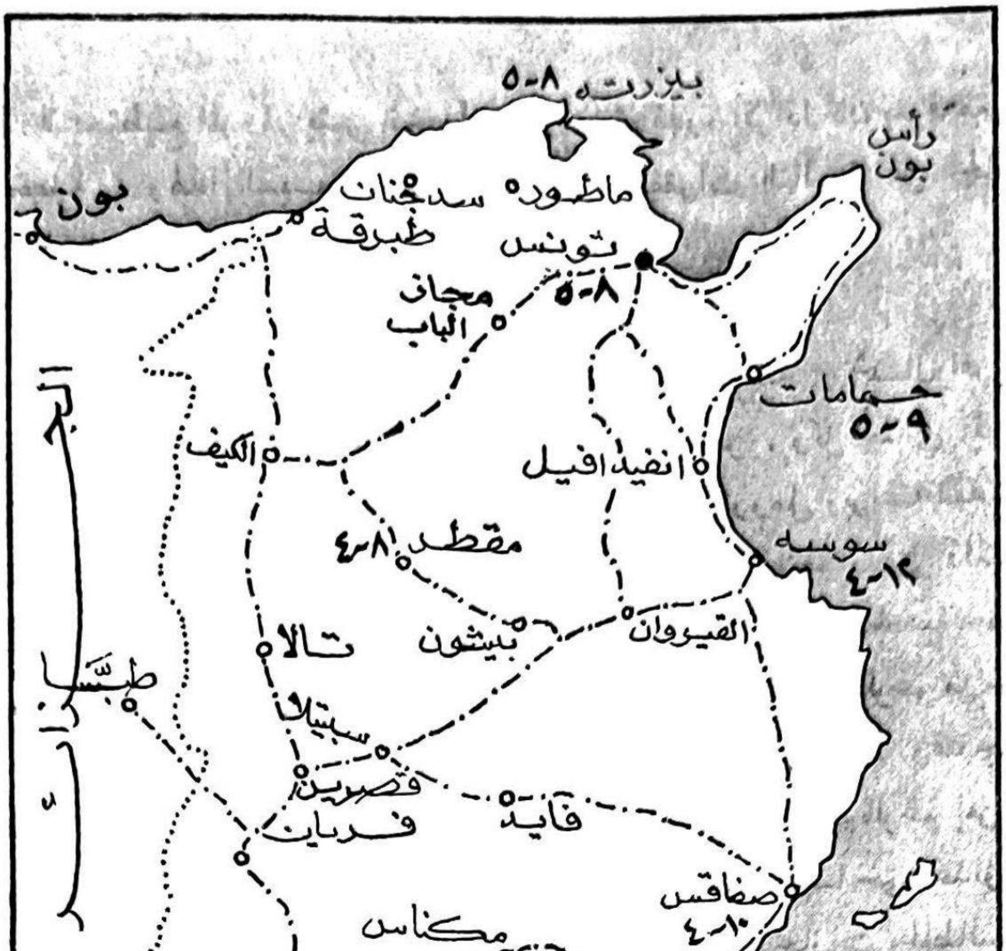
وكانت هذه النهاية المفجعة لصراع دام اكثر من سنتين من أجل شمال افريقيا الايطالي . الصراع الذي شهد أسوأ الظروف الجوية وأنحس الأزمات . مقرون بالتضحيات الجسيمة والخسائر الفادحة من كلا الفريقين المتخاصمين . وكان ينقصه التموين الجيد والوسائل اللازمة لمقاتلة القوة الجوية او البحرية، اضافة لذلك كانت المعدات الايطالية أقل كفاءة وأدنى مستوى من بقية الجيوش ، ثم ان الجنود الالمان والايطاليين كانوا لا يأملون في الصمود حتى النهاية ، ولم تكن غلطتهم حين قاتلوا في هذه الزاوية البعيدة من العالم التي كانت خطوط مواصلاتها غير أمينة .

شخصيات الجانبين

لا يستطيع المرء ان يثمن شخصاً ويقدره حق قدره الا اذا كان يعرفه معرفة شخصية ، ولهذا السبب سيقتصر وصفي في الفقرات التاليـة على الجانب الالماني فقط .

كان روميل يسيطر على جميع القوات الالمـانية والايطالية في شمـال افريقيا سيطرة لا ينافسه فيها احد ، وكان اسمه يعمل عمل السحر . وكل جندي المـاني سابق يسمع اليوم بكلمة الصحراء يتبادر الى ذهنه فوراً روميل وبراعته الفذة في هذا النوع من الحرب .. ترى اين يكمن سر هذه الجاذبية ؟ والجواب على ذلك في منتهى البساطة . وهو شخصيته وأعماله . لأن هذا الرجل كان شخصية حقاً ، شخصية اثبتت جدارتها وملاءمتها لواجبه في شمـال افريقيا تماماً بالرغم من عدم ممارسته في الصحراء . ولكنه اكتسب منها ما فيه الكفاية وزيادة . وقد جعل الجيش بارادته القوية ، التي كانت لا ترحم حتى تجاه ذاتـه ، وبالرغم من كل الصعوبات ، قادراً على تحقيق الانجازات العظيمة التي اعترف بهـا حتى اعداؤه . وكان يتعذر على غير روميل ان يطلب من الجنود مثل تلك الانجازات والمطاليب. وكان الجنود يتبعونه لأنهم يدركون ان حاله من حالهم ، ولانهم كانوا يرونه يومياً بينهم ، ولأنه كان قد خلق لكي يكون قائداً .

كان شعلة يحرق بها كل ما لديه من جهد وطاقة في سبيل النصر ، ولكنه كان مع ذلك لا يغفل لحظة واحدة عن الشيء الهام وهو ان يكسب النصر بأقل ما يمكن من خسارة ، وكثيراً ما كان روميل يردد قولاً وهو : « ان المانيـا ستحتاج الى الرجال بعد الحرب ايضاً » . وكثيراً ما كان يفضل ان يصبح الجنود الذين يرون انفسهم في موقف لا رجاء فيه ، أسرى حرب بدلا من ان يواجهوا الموت بلا معنى . وهذا ، يرينا لماذا امر قادة بارديا وحلفايا، ان لا يقاتلوا «حتى



نهاية الحرب في شمال افريقيا

والتواريخ تدل على احتلال الحلفاء سنة ١٩٤٣

آخر جندي » وكان في ذلك تحدياً صريحاً لتعليمات هتلر، وانما عليهم ان يكفوا عن المقاومة اذا كانت لا تؤدي الا للخسائر العقيمة .

لم يكن رومل روح الحرب في شمال افريقيا فحسب وانما كان القوة الدافعة لها . وكان كالشمعة يحترق رويداً رويداً بالنار التي تتأجج في نفسه . وكانت تغلب عليه روح الاعتدال والزهد والتقشف ، كان يجهد نفسه ويرهقها بالعمل الشاق المستمر فتعرض للاصابة بضعف القلبالذي ضايقه وآلمه كثيراً عام ١٩٤٢ وكانت مسئولية ميدان الحرب ومسئولية جنوده عبئاً ثقيلاً عليه ، اضافة الى القلق الشديد الذي كان يساوره بسبب المصير الذي كان يهدد وطنه المانيا وهذا مما زاد في ضيقه وكربه .

كان رومل ضابط مشاة في الحرب العالميــــة الأولى في كتيبة فورتمبرغ « Wurtemburg » وقد منح اسمى وسام عسكري بروسي ؛ وكان يمتاز بفكر سديد وعمل رائع اثناء القتال في خط الجبهة ، وقد ظل كذلك حتى بعد أن أصبح قائداً كبيراً . كان تواقاً الى الجبهة ، والى القتال ، والى الاشتراك مع جنوده في القتال ، وهذه الأمور هي التي كانت تدفعه للابتعاد عن مقرهالتعبوي وأن يكون في خط القتال دائماً . وقد أدى ذلك في كثير من الأحيان الىحدوث الحيرة والارتباك والتناقض ، وكان لها أثرها السيىء في القيادة ، ولكن تأثير وجوده يومياً وما يوحيه الى القطعات المقاتلة كان يفـوق تلك النتائج السيئة . لقد كان الذي بينه وبين جنوده شيئاً لا يمكن ادراكه او وصفه بل هو شيء ينزل هبة من السماء على كل قائد ، وهذا قلما يحدث ، ـ وربما كان هذا السبب ـ يوحي فيه القدرة على القيادة .

كان الجندي الايطالي يحمل له نفس التقدير والاحترام ، ولا ريب ان رومل هو الضابط الالماني الكبير الوحيد الذي كانت تربطه بجنوده اقوى الروابط والصلات في هذه الحرب .

من الطبيعي ان روميل لم يكن معصوماً من الخطأ ، ويدرك الجميع انه أينما وجد ضياء كثيراً فلا بد من وجود الظلال. فمثلا كثيراً ما كان يغالي في نجاحه ، متناسياً التحديدات التي تفرضها بعض العوامل كالتموين مثلاً . علاوة على ذلك كان كثيراً ما يكون جائراً عندما يفشل أمر او اجراء من اجراءاته في تحقيق النجاح الذي كان يمني نفسه به . وكان في مثل هذه الحالات يحاول ان يعزو السبب للتنفيذ المغلوط وليس الى الصعوبات المادية للأمر . وعلى كل كانت المحكمة العسكرية في جيش روميل اقل عملا من جميع محاكم بقية الجيوش ، ولم يصادق مرة على قرار محكمة عسكرية خلال فترة قيادته في افريقيا . ولو انه كان كثيراً ما يهدد ويتوعد عندما يكون في سورة من الغضب .

كان روميل لا يخلو من طموح شخصي ونوع من الغرور ، وروح قوية من التناقض والعناد كل ذلك يجعل من الصعب على رؤسائه ومرؤوسيه ان ينسجموا معه طويلا ، واخيراً لم يكن روميل سياسياً . يقول بما يفكر به بخشونة تكاد تخلو من المجاملة ، وكثيراً ما كان يغضب حلفاءنا الايطاليين في اشد المواقف حراجة عندما يجد شيئاً لا يستسيغه . كان روميل يدعى بسخرية ومزاح « سيد الميدان في خط الجبهة الامامي » . وهذا يعني ان قيادة الجيش بالنسبة له كانت ترقية له اكثر مما يجب ، حيث انه لم يتخرج من كلية الاركان العامة ، والحقيقة انه ارتكب اغلاطاً خطيرة ، منها انه حاول قطع خط الرجعة على العدو في تشرين الأول ١٩٤١ ، وتقدمه الى العلمين بعد سقوط طبرق ، ولكن معظم اعماله كانت من الناحية الأخرى تدل على قدرة تعبوية عظيمة وموهبة في الناحية العسكرية العامة بدرجة جيدة جداً .

وكان جميع الذين اشتغلوا معه تأخذهم الحيرة والعجب من سرعة ادراك اعقد المواقف واصعبها والتوصل الى جوهر القضية ، ولهذا كان يحق له ان يعتبر من اعظم قادة الحرب العالمية الثانية ، لقد كان عادلا مستقيماً ورجلا شجاعاً . وكان يحمل داخل المظهر الخشن ، قلباً رقيقاً سليماً طاهراً لا يعرف

الخسة والدناءة . وقد دفعه شعوره الطاهر ان يحرق امر هتلر الخاص بالمغاوير[١] حال استلامه ، وهكذا حال دون وقوع أي حادثة ، منذ البداية ، قد تكون من أعظم الجرائم . وهو الذي جعله يعامل ابن اخت الفيلد مارشال البريطاني الكسندر كأسير حرب ، عندما قبض عليه خلف الخطوط الالمانية بالرغم من انه كان مخالفاً للقوانين بارتدائه قبعة الرأس الالمانيـــة في افريقيا ، والـــتي كانت العلامة المميزة الوحيدة في البزة العسكرية الالمانيـــة التي استهلكت في الصحراء .

لقد كانت نهاية حياته مؤلمة قاسية ، حياة ذلك القائـد المفعمة والمليئة بالانتصارات والنجاح ثم بالقلق والخطر ، عندما تجرع كأساً من السم[٢] كان قد قدم اليه ، وقد تقبله رومل وأثبت انه كان رجلا .

لقد خدم في افريقيا ضباط من الدرجة الممتازة ، ولهـذا كانت شخصية وقابلية القادة الآخرين للجيش الافريقي فوق المستوى ، وقد قتل ثمانيـة من القادة في افريقيا ، وهو عدد كبير اذا اعتبرنا ان الخسائر كانت قليلة نسبياً .

كان كسرلنغ ومارسايله الشخصين اللامعين في السلاح الجوي ، وليس هناك قائد جوي يفوق كسرلنغ في جهوده التي بذلها لاسناد القطعات الأرضية . مع العلم ان موارده كانت غير كافية في أغلب الأحيان ، وكان عليه ان يوزعها

---

١ – لقد نص أمر هتلر المؤرخ في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٢ ، على وجوب قتل جميع جنود الاعداء الذين يقبض عليهم خلف الخطوط الالمانية ، بصرف النظر عن نزولهم بحراً او جواً .

٢ – لم يعرف الجيش عن الطريقة الشائنة التي استخدمت في قتل رومل، الا بعد الاستسلام. حتى روندشيت ، الذي حضر نيابة عن هتلر في مراسيم التشييع الحكومي ! في أولم ، لم تكن لديه فكرة عن كيفية موته سوى ما أخبره بها كايتل ، وهي أن حالة رومل ساءت جـداً من جراء الجرح الذي أصيب به في غارة جوية في نورماندي .

وينشرها ولهذا كانت ضعيفة رقيقة ، وهذه قصة أخرى . وعندما كانت تحدث فعاليات كبيرة في سماء افريقيا يكون من المؤكد وجود كسرلنغ في الصحراء ، وكان لا يثنيه جو او تهديد خطر العدو من الطيران الى افريقيا لتقديم كل معونة جوية ممكنة او عندما تدعو الضرورة ، للتوسط بين الالمان والايطاليين ، وكان لا يهتم بنفسه كثيراً كما كان رومل ، وقد قام بمئتي طيرة فوق مناطق مليئة بخطر العدو وقد اسقط خمس مرات وهو في طائرته Storck.

والاسم اللامع الذي يأتي بعد كسرلنغ هو مارسايله اليافع الذي كان مشهوراً ويثق به جميع الافريقيين . وقد عم الحزن والأسى جميع الار اء عند مصرع هذا الشاب اللامع ، الذي كان من أبرز طياري المقاتلات في الصحراء نجاحاً واتزاناً . وبموته أفل نجم القوة الضاربة ، وتعذر تعويض الخسارة ، وكان مارسايله الضابط الالماني الوحيد الذي تقلد أعلى وسام ايطالي للشجاعة .

لقد منح غاريبولدي القائد العام الايطالي الأول في شمال افريقيا ، وبعده المارشال باستيكو ، حرية عمل واسعة لرومل باعتباره القائد في الجبهة . وقد ذهبا في ذلك الى ابعد الحدود احياناً ، فمثلا ، لم يكن باستيكو هو الذي اراد الوصول الى النيل عام ١٩٤٢ ، وانما كان باستيكو كسلفه يرى ان من واجبه ان يقدم اكبر مساعدة ممكنة للقيادة الالمانية في الجبهة ، وتقدر المانيا الآن هذا التنازل من جانب ايطاليا التي كانت حليفتها حينذاك وبعد كل هذا ، اصبح ميدان الحرب على الارض الايطالية وأصبحت المسئولية النهائية تقع على عاتق القائد الاعلى الايطالي . ويعرف كل فرد يتحمل مثل هذه المسئولية العظيمة ، ان ليس هناك شيء اصعب من ان لا تعمل وخاصة في اوقات الأزمات ، وان تتحمل نتيجة التدخل . ثم تدع الآخرين يعملون . وكانت المبادأة الايطالية ، طبقاً لذلك ، محدودة الى نصف مستوى القيادة ، بينما كان هناك عدد كبير من القادة المثاليين الذين هم خير قدوة ، وسأذكر هنا شخصيتين ، الاول هو انيا نافاريني Enea Navarini ، الذي قاد فيلقه في الصحراء ما يقرب من

سنتين بدون كلل او استراحة ، وكان مزاجه لطيفاً لا يتغير ، وكان دائم الصلة بجنوده ويحمل لهم كل ود ، وكان خير رفيق في الحرب ، وكان اقرب القادة الايطاليين من رومل . امـا الشخصية الثانية فهي الجنرال دي ستيفانس de Stefanis ، وكان يختلف كل الاختلاف في خلقـه وطبعه عن الأول ، كان قليل الكلام ، يمتاز بعزم صادق دمثاً بارداً ، وكان اشبه ما يكون بالالمان الشماليين . وقد قاد فرقة في الصحراء في البداية ثم فيلقـاً ، وأخيراً استخدم وكيلا لرئيس اركان الجيش في روما .

وكان هناك بين الضباط الاحداث الايطاليين وكذلك بين الجنود كثير ممن أثبتوا شجاعة نادرة ، وخاصة في كتائب الخيالة القديمة ، وبين ملاحي قوارب الطوربيد ، والطوربيدات ذات الملاح الواحد ، وفي ملاحي القوات الجوية ، وكان الجنود احياناً يقدمون على شجاعة فريدة انتحارية ، وكانوا بصورة عامة يتميزون بصفات جنوبية اي انهم كانوا شديدي الانفعال وكان هذا يجعلهم يفقدون صفة العزم والثبات التي هي من اهم صفات الجندي . وبصورة خاصة في الازمات ، ان الايطاليين سرعـــان ما يتحمسون ، ولكنهم يتخاذلون بسرعة اكثر ، فهم يتقدمون في الهجوم ما دامت لا تعترضهم مواقع وعراقيل ، وهم لا يصلحون للدفاع والمقاومة العنيدة .

بالاضافة الى مساوىء مزاج الايطالي اللاتيني كان ضعيفاً في قوة النار ، وفي المعدات ، وفي التدريب ، وعدم وجود غرض حربي يدفع القوات المسلحة الايطالية منذ البداية كل ذلك مما جعلها تكون يائسة قانطة .

اما العدو فقد كان يختلف أشد الاختلاف في العدة وفي الاخلاق والطباع . وصحيح انه كان يعوزه الحماس . ولكنه كان يمتاز بصفة اكثر أهمية من ذلك ، هي رباطة الجأش التي لا يزعزعها أي شيء ، كان يندر ان تجد اسير حرب بريطاني منهاراً متخاذلاً ، بل كان الجميع مقتنعاً ، حتى في أشد الأوقات حراجة

واندحاراً بانهم سيكسبون وينتصرون في النهاية . وبالطبع انهم لم يقاتلوا قتال « حرب رجل فقير » كل الاوقات فقد اصبح الجيش الثامن بعد خريف ١٩٤١ مجهزاً بمواد الدرجة الاولى ، وقد حطم التفوق الالماني في الدرع في خريف١٩٤٢ وأخذ يزداد تفوق السلاح الجوي البريطاني باستمرار . وأخذت صعوبات التموين تجابه القيادة الالمانية في جميع الاوقات بينما لم تظهر هـذه الصعوبات في جانب العدو .

كانت الفرق الانكليزية الخالصة هي أصلب الفرق واقساها في الهجوم وأشدها عناداً في الدفاع ، وكانت الفرقة المدرعة السابعة عشرة من افضلها بلا ريب . وكان أشد ما يلفت الانظار هو التناسق لدى الجنود البريطانيين .

كانت قطعات الامبراطورية سواء كانت من الهند او من جنوب افريقيـا تختلف عن القطعات البريطانية ولا يمكن مقارنتها بها .

كانت الفرقة النيوزيلندية الثانية مشهورة بقدرتها على القتال ، وكان قائدها الجنرال فرايبورغ جندياً من الصف الأول .

كانت افريقيا بالنسبة للقطعات الاميركية ميدانـاً للممارسة والتمرين ، ولم يتعودوا على حالات الحرب الحديثة الجديـدة إلا في اواخر معركة تونس ، ولم يظهروا قدراتهم الحقيقية إلا خلال القتال من أجل شبه جزيرة أبنين . ان شمال افريقيا يعتبر بحق ميدان حرب للحرب العالمية الثانية اتبعت فيه قواعد ومبادىء الحرب التقليدية بالرغم من كل ما رافق المعركة من عنف وقسوة ، ولهذا يستحق كلا الجانبين التكريم والمجد .

استعراض الحوادث

فتح سقوط بيزرته وتونس الممر البحري الصقلي امـام بواخر الحلفاء ، وأصبحت القوافل تستخدم الطريق البحري القصير ثانية من جبـل طارق الى

السويس دون مضايقة من السلاح الجوي الالماني . وكان هذا كسباً عظيماً ، لأن الطريق حول رأس الرجاء الصالح كان ضعف المسافة ولم تقتصر الفائدة من اختصار الطريق على مواصلات الحلفاء مع الشرق الأقصى فحسب وانما مع روسيا ايضاً .

لقد منيت المانيا وايطاليا في شمال افريقيا باندحار فظيع لا يعوض . وكان بالنسبة لهتلر النكبة العسكرية الثانية خلال الاربعة اشهر الاولى من عام ١٩٤٣، كانت الخسارة تفوق التدمير الذي اصاب عشر فرق مدربة ، واكثر من خسارة الكميات العظيمة من مواد الحرب الثمينة ، ويفوق الخسائر الفادحة التي تكبدها السلاح الجوي في غاراته على مالطا ، وضد القوافل ، وخلال النقل الجوي الى تونس ، وجميع هذه الأمور الخطيرة مقرونة بالضربة القاصمة التي احدثتها ضربة « تونس غراد » وقوضت خرافة عصمة « الفوهرر » ، « اعظم سيد ميدان في جميع الازمان » . وكان لهذا اعظم النتائج السياسية ، في الداخل وفي الخارج . أما تأثيرها في الجيش فكان كبيراً بحيث فقد معظم الجنود ثقتهم بأوامر آمريهم وأصبحوا لا يرغبون في القتال الى آخر جندي .

لقد كانت خسارة المستعمرات الامبراطورية الايطالية الآن تامة كاملة . وسببت للحكومة الفاشستية اعظم الأزمات وأسوأها ، وكانت اخبار استسلام تونس ذات وقع مرعب محطم لنفسية الشعب الايطالي حتى ان المسؤولين والمراقبين المطلعين فكروا بأن سقوط موسوليني أصبح قاب قوسين أو أدنى . وعلى كل ، كان الشيء الوحيد هو ان حكومته كانت لا تتحمل اندحارات اخرى مماثلة . وهذا الرأي هو رأي موسوليني نفسه ، ويستدل على ذلك من وضعه خلال « مؤتمرات الموقف » في ذلك الوقت حيث كان منهاراً فاقد الشعور تماماً. وقد برز في الوقت ذاته سؤال ملح وهو هل ستكون القوات الايطالية قادرة وراغبة في بذل جهدها في الدفاع عن الوطن الأم وتعوض بذلك بعض الشيء

عن مستواها الضعيف باستعدادها للتضحية . ولكن هذا الأمر يصبح مشكوكا فيه اذ حكمنا واستنتجنـــا من وضع وسلوك الاقسام الكبيرة من الجيش الايطالي .

ان القطعات الالمانية والايطالية في شمال افريقيا قد حرست الجناح الجنوبي لقوات المحور الأرضية . وكان هذا الغرض الكلي من ارسال القطعات الى افريقيا في بادىء الأمر . وقد اندحرت هذه الستارات الآن . وحتى تونس لم تكن في حقيقتها « مخاطرة » ولكنها أصبحت ضرورية بعد ان تهدد جيش روملي بانزال الحلفاء في شمال افريقيا .

كان للاندحار العسكري الالماني و لايطالي في منطقة البحر الابيض المتوسط سببان رئيسيان . الاول وتنطبق عليه القاعدة القديمة ، وهي عدم امكان المرء ادارة حركات ناجحة بدون خطوط تموين أمينة . وقد تكون هذه القاعدة اكثر صحة وانطباقاً على الحركات البحرية . وقد قيل منذ البداية ان الهدف الأول هو تحطيم وشل قاعدة مالطا . ولا يمكن تحقيق هذا الهدف بالقصف فقط ، ولكن باحتلال الجزيرة ، وكان احتلالها مهماً جداً لأن القوافل تصبح في حماية وحراسة جيدة ، ولكن لم تتيسر قوات بحرية او قوات جوية كافية لهذا الغرض ، وكانت الحماية التي تقدمها المدمرات الايطـالية اقل من الحد الأدنى اللازمـة للحماية . ولم تستخدم البحرية الايطالية بواخرها الثقيلة الا نادراً ، وكان السبب هو قلة النفط ، وثانياً ، كانت تخشى فقدانها ، وكان السلاح الجوي ذا نطاق عمل محدود ، وعليه لا يتمكن من تقديم الحماية لقوافل النقل على طول الطريق . وقد تكون كلمات فريدريك الكبير التي خاطب بها السفير البريطاني فيما يتعلق بمطامح البريطانيين في حرب الاستقلال الاميركية الشمالية ذات فائدة في الوقت الحاضر . «صدقني» قال : ان اشعال الحرب عمل كريه قذر ، حتى ولو كانت قريبة ، فكيف بها اذا أشعلت في أبعد زاوية من العالم ، انها بلا ريب ستكون أفظع ما يتصورهـا العقل البشري .

ولا بد من ذكر بعض الشيء عن التموين الجوي الذي جرى في افريقيا ... كانت الاستفادة منه قليلة تكاد لا تذكر ، لأن قدرة الطائرة كانت محدودة جداً، ولذلك لا يمكن ان تعوض عن النقل البحري او السكة الحديدية مطلقاً، والتموين العسكري ، جواً ، لا يمكن ان يكون اكثر من اجراء مرتجل باهظ الثمن وخطر ، وعندما كان الالمان يسمعون كلمة « تموين جوي » كان معنى ذلك عندهم ان الموقف حرج وخطير . ولا تصح المقارنة بينه وبين النقل الجوي في برلين ، لعدم وجود خطر المقاتلات هنا ولا نيران مدفعية ضد الجو ، ويجري الطيران بصورة سلمية . وتجدر الاشارة الى قضية التموين ، ونذكر ان كمية التموين اللازمة كانت تزيد عما كان ضرورياً في الحروب السابقة بثلاث مرات ، ونذكر بعض الارقام لبيان أهمية ذلك ، في الحرب الحديثة ، لا يتيسر من كل مائة جندي ، عشرين جندياً كحد أقصى للمعركة ، ومعظم العدد الباقي يستخدمون في خدمات التموين. وتحتاج كل قاصفة ذات ثمانية ملاحين الى خمسين جنديا لخدمتها على الارض .

وكان السبب الثاني الرئيسي للاندحار الالماني الايطالي هو نقص القوة البحرية والجوية . حيث لا يكفي ان تكون لديك قوات أرضية قوية ؛ وانما يجب ان يكون لديك اسطول بحري وقوة جوية قادرين على العمل . ولكن المحور كان اعوز ما يكون يوماً بعد يوم الى هذين العنصرين . ولهذا ترك الجيش الافريقي لأن يعتمد على ما لديه بالاضافة لذلك كانت خدمة التموين رديئة وضعيفة كما مر بنا ، ولهذا كان هناك نقص مستمر في العتاد ، والبترول ، والعجلات ، الخ . ولغرض ادامة المقاومة بالرغم من كل ذلك ، كانت ترد قطعات جديدة جواً بصورة مستمرة ، بينما كانت صعوبات التموين تزداد سوءاً وخطورة . وقد توالت الحوادث في افريقيا في الاساس كما حدث في الاخير في نورماندي تماماً ، بدون مواد كافية وعدم اسناد جيد من الجو والبحر ، ودحر الجيش بعد ان قاتل طويلا . ولكن يتعذر القول بان البحرية والسلاح الجوي كانا سبباً في اندحار

الجيش ، وانما كان بالرغم من رغبتها في المساعدة غير قادرين على ان يقدما اي مساعدة . والسبب في ذلك ناجم عن موقف الحرب العام . كان الجيش الالماني ، في نهاية عام ١٩٤٢ ، يخوض حرباً ضد روسيا من شبه جزيرة القرم في الجنوب الى كاريليا في الشمال ، وكان عليه علاوة على ذلك ان يراقب من الطنف الشمالي الى خليج بسكاي ، ثم عليه ان يسيطر على البلقان . وكانت البحرية ضعيفة جداً بالنسبة لواجباتها المضاعفة في البحر الشمالي وبحر البلطيق، ويتعذر عليه تخصيص قوات لهما كانت للبحر الابيض المتوسط(١) . وكانت معظم وحدات السلاح الجوي مشغولة في الجبهة الغربية وفي روسيا . بالاضافة الى تدهور مستوى المقاتلات اذ اصبح دون مستوى مقاتلات الحلفاء الغربيين .

لم يكن هتلر راغباً في التخلي عن ميدان الحرب الافريقي طوعاً . ولهذا حاول ان يقدم المساعدة اللازمة والضرورية جداً للجيش من الجيش نفسه وكانت النتيجة ان التشكيلات التي كانت بامس الحاجة للاستراحة والتبديل أصبحت مرهقة اكثر واكثر . وكانت الطلبات المتكررة بوجوب تقديم المساعدة من الصنفين الأخيرين ، كتأمين حماية خطوط المواصلات ، والاسناد الفوري في المعركة ، لم تجد اذناً صاغية ، وبدلاً من ذلك، كان هتلر يرسل افواجاً وكتائب جديدة جواً ، واخيراً اصبحت القضية دائرة مغلقة فاسدة .

وقد لعب دوراً كبيراً عامل التقليل من قيمة العدو وعدم تقديره حق قدره، والغلو في تقدير قواتنا ومصادرنا ، واهمال الحقيقة ، وقد ظهرت نتيجة ذلك اولاً في دنكرك ، ثم ما حدث في الجبهة الشرقية في الأخير . كان يريد ان يكون أقوى من الحقائق، وكان يريد ان يوجهها حسب ارادته ورغبته. وكانت جميع المحاولات التي بذلت في سبيل اذعانه للعقل والمنطق قد باءت بالفشل ولم تسبب له سوى الانفعال والغضب .

---

١ - كثير من الاسباب الفنية ، جعلت الموانى والمرافىء الايطالية غير ملائمة .

وفي تشرين الثاني من عام ١٩٤٢ ، انفجر كالبركان بالكلمات التالية : « حتى في افريقيا لا يرى قادة الجيش سوى المصاعب ، بينما الواجب عليهم ان يواجهوها بالعمل الايجابي كما يفعل غورننغ والآخرون .

اننا لا ننتقص من الاعمال الجبارة التي قام بها السلاح الجوي الالماني، وخاصة في الحملة الافريقية ، اذا قلنا هنا ايضاً -- وكما في جميع ميادين الحرب الاخرى – ان الجيش هو الذي تحمل العبء الثقيل .

كانت صنوف القوات المسلحة الثلاثة للعدو جيدة ومتوازنة ، وكانت قيادتها منسقة ، واشتغلت بصورة عامة ، شغلا دقيقاً ، بعيداً عن التنافس والاصطدام فيما بينها ، وبذلك كان يتوفر لديها احد الامور الضرورية للحرب الحديثة ، ولو ان الحلفاء تقدموا بعد انزالهم بدون تردد ، وأن القوات القادمة من الجزائر وطرابلس توحدت بسرعة للقيام باندفاع قوي نحو تونس ، لكان اندحار جيوش المحور اسرع ، ومع ذلك استطاع ان يكسب بالنتيجة، وكانت جميع تضحياتنا عبثاً وبدون جدوى .

★

٦

الكفاح من أجل ايطاليا

١٩٤٣ – ١٩٤٤

تتصف شبه الجزيرة الايطالية بتحصينات طبيعية منيعة، فجبال الألب تمتد على حدودها مع فرنسا والمانيا ، وحدودها مع يوغوسلافيا اراض صالحة وملائمة للدفاع ايضاً . ولكن ، لم يكن هناك اي احتمال لهجوم سنة ١٩٤٣ من أي من هذه الاتجاهات الثلاثة . ولكن التهديد كان من جانب البحر . وعليه سنكتفي ببحث العوامل الجغرافية والسوقية المتعلقة بغزو برمائي .

يعتبر الطريق الساحلي في شبه جزيرة « أبنين » اطول طريق في جميع الدول الاوربية . ولم يكن في هذا الجناح البحري الطويل او في الجزر الواقعة بعيداً عن الارض الايطالية الرئيسية دفاعات طبيعية مهمة ، عدا الدفاعات الممتدة لمسافة تقرب من مائتي كيلومتر على جانبي جنوى . وما عدا ذلك كان من الممكن اجراء الانزال في كل مكان دون مجابهة اي صعوبات خطيرة من الارض . وامتداد السواحل وطولها جعلت من الصعب تكوين دفاعات قوية واشغالها بالجنود . اما نقاط الدفاع الدائمة التي انشئت في وقت السلم فكانت قليلة العدد وكانت كلها كائنة حول القواعد البحرية وكانت مصادر تموين الرجال والمواد لبناء دفاعات دائمية حديثة غير كافية حتى لنقاط قوية منتخبة . ومع ذلك ، اين كان يجب وضع هذه النقاط على ذلك الساحل الذي يبلغ طوله ٣٥٠٠

كيلومتر ، والذي كان فيه نقاط انزال صالحة عديدة؟ ان المهاجم هو الذي يقرر ذلك وهو الذي له حرية الخيار في محل الانزال بالنسبة لما يلائمه اكثر ، وواجب المدافع ، حتى في احسن الظروف الملائمة ، هو ان يعلم اين سيكون الغزو المنتظر بواسطة خدمات الاستطلاع لديه ، قبل حصوله بوقت قصير . واذا تعذر ذلك فيمكنه ان يضع فروضاً ، مبنية على بعد النظر ومعرفة اغراض العدو المحتملة . واذا كان فرضه صحيحاً جيداً ، فيكون توزيع قواته بحيث يحمل قسماً منها احتياطاً لزجه في الهجوم المقابل في ساعة الانزال . ومن الطبيعي ، والمهم جداً ان يكون ذا قدرة على نقل الاحتياطات بسرعة ، وتحشيدها في نقاط الخطر بالسرعة اللازمة . ولتحقيق هذا ، من الضروري وجود شبكة واسعة ومنتظمة وصالحة من الطرق والسكك الحديدية . وان تكون جميع تنقلات القطعات محمية بنيران مدافع ضد الطائرات والطائرات المقاتلة .

ان جميع الباقي من ايطاليا الواقع جنوب وادي «البو» جبلي ، ويقدم خدمات كبيرة في ابطاء حركات العدو في الداخل ، اذا لم تكن تعيقها وتوقفها . وهذه هي الطبيعة الجبلية لشبه جزيرة الأبنين التي تحتوي على أحدث وأقوى شبكة للنقل ، وتؤلف عادة المنظومة الكثيفة الوحيدة من السكك الحديدية في ايطاليا العليا . ولا يوجد اكثر من ثلاثة خطوط في منطقة « الحذاء » الجبلية والى الجنوب . اثنان منها لهما خطوط مزدوجة حتى مدينة نابولي ، والخط الثالث يصبح منفرداً حتى جنوب « انكونا » . وجميع هذه الخطوط تعبر انهاراً ووديانا عديدة ، ولهذا تكثر الجسور والقناطر ، والانفاق ، بشكل هائل . وعليه تكون جميع منظومة السكك الحديدية حساسة جداً تجاه الهجوم الجوي ، خاصة وان اغلب القطارات كهربائية ، ثم ان خط السكة الحديدي الشرقي والغربي يسيران بمحاذاة الساحل مباشرة ولهذا يكونان مهددين من البحر . وشبكة السكك الحديدية في جنوب ايطاليا صغيرة وضعيفة جداً ، وتكفي بضع غارات عليها لتحطيمها وتعطيلها لمدة طويلة . اما في وسط ايطاليا فيمكن

بتخريب بضعة جسور تعطيـل السابلة لأيام ، واسابيع احياناً . وكانت حالة الطرق افضل من السكك ، لأن موسوليني كان قد زادها واطالها كثيراً . ولكن كثرة الانحدارات ومواضع سد الطريق بسهولة في المنطقة الجبلية يجعلها غـير صالحة وغير مثالية في نقل القطعات السريـع . ولم تكن منظومـة التلفونات الايطالية ملائمة لمتطلبات الحرب الحديثة . وعليه كانت ايطاليا ضعيفة في مقاومة الهجوم من البحر بالاضافة الى حقيقة اخرى وهي ان نقل جميع انواع البضائع في ايطاليا كان يجري بواسطة بواخر الساحـل وليس بالسكك الحديدية ، وكانت البواخر التجارية الايطالية قادرة في وقت السلم على ايصال جميع الحمولات مهما كان نوعها بسهولة وبسعر بخس الى جميع موانىء ايطاليا ، ولكن سيادة اسطول الحلفاء في البحر الأبيض المتوسط قد شل هذه الواسطة تماماً ولم تقم السكك الحديدية بهذا الواجب لأنها لم تؤسس للقيام بهـذا الغرض ، ولم يحسب حساب الغزو بانزال يجري سابقاً، ولهذا اصبحت ادامة التموين الى السكان المدنيين مشكلة خطيرة ، بحيث هددت الحكومة في جنوب ايطاليا منذ نهاية عام ١٩٤٢ . واذا تذكرنا بأن ايطاليا كانت أشد ما تحتاج الى المواد الخام ، كالحديد والبترول ، والخشب وهي المواد الضرورية للحرب الحديثة ، ندرك مدى صعوبة الواجب الملقى على قادة ايطاليا . ولا يمكن انجاز ذلك الواجب إلا بوجود قوات مسلحة قوية متهيئة للتضحية بكل شيء في سبيل أرض الوطن .

موسوليني وبطانته

كان موسوليني رئيساً للحكومة ، وقائداً اعلى للقوات المسلحة ، وكان يحمل رتبة « مارشال الدولة » وكانت جميع القرارات تتوقف على موافقته . اما الملك والامبراطور فقد اصبح موقعه في الخلف دون الصدارة ، بالرغم من ان الضباط كانوا لا يزالون يشعرون بأن واجبهم الأول واخلاصهم القلبي هو للملك ، الرئيس التقليدي للعائلة الحاكمة ، وليس « للدوتشي » .

وكان على رئيس اركان الجيش للقوات المسلحة ان يقدم « تقرير القوات » الى موسوليني كل صباح للموافقة عليـه ، اضافة الى تقرير « مؤتمرات الموقف » الاعتيادي ، وكان القائد العام الالماني في الجنوب الفيلد مارشال كسرلنغ، كثيراً ما يقابل موسوليني ، وقد زرت موسوليني سابقاً وانا برفقة رومل عندما كنا في افريقيا . والآن كنت ارافق كسرلنغ بانتظام كلما اراد مقابلته . وقد تكرر وجودنا مع « الدوتشي » عام ١٩٤٣ ما يقرب من مائة مرة . كان يعمل في قصر فنيسيا الشهير ، قصر القرن الخامس عشر الذي كانت السفارة النمساوية الهنغارية تسكن فيه حتى الحرب العالمية الأولى . وكان يتصدر القصر عدة قاعات زاخرة بروائع الفن . وقد أعدت تلك الابهاء والقاعات لانتظار وزراء الدولة وموظفي الحزب الفاشستي الكبار ، واتذكر ان آخر زيارة لنا لموسوليني كانت في ٢٤ تموز ١٩٤٣ ، وكانت على خلاف العادة اذ كان علينا ان ننتظر ، وكان السبب هو عدم انتهاء محادثة مع غراندي واستغرقت اكثر فيما كان محدداً لها . وكانت تلك آخر مقابلة بين الرجلين قبل انعقاد مجلس الفاشست الاعلى ، بناء على طلب غراندي ، وكانت نتيجة سقوط الدكتاتور كما هو معلوم . وعندما دخلنا غرفة عمل موسوليني ، كانت عبارة عن قاعة ، وفي نهايتها منضدة هائلة رائعـة ، واستقبلنا وهو يقول : كنت الآن اتحدث حديثاً طويلاً مع غراندي انـه في الحقيقة رجل صادق مخلص . وكثيراً ما كنت استعيد بذاكرتي هـذه الملحوظة فيما بعد لأنني كنت قد كونت انطباعي سابقاً بأن حكم موسوليني عن الطبائع لم يكن من صفاته البارزة .

وكانوا يحاولون ، كلما امكن ، اجراء ترتيبات بحيث لا ندخل نحن الالمان غرفة عمل موسوليني عندما يكون لديه ضباط ايطاليـون ايضاً ، لأن هؤلاء اط لا يسمح لهم حسب قواعد المجاملة والأدب ان يصلوا الى الملك او رئيس الا حسب مراسيم خاصة ، والظاهر انهم كانوا يريدون تجنب ازعاجنا .

كان موسوليني شخصية تختلف عن هتلر كل الاختلاف ، وبالرغم من انــه كان عظيم الثقة بنفسه ايضاً ، الا انه لم يدّع ان احــكامه منزهة عن الخطأ في القضايا العسكرية . ولكنه كان كثيراً ما يبدي وجهة نظره او رغبتــه ، في امور عامة ، ثم لا يلبث ان يذعن لقرار الاركان العامة ومـا تراه ضروريـاً وعملياً . ولذلك كان يمكن قيادة موسوليني في الشؤون العسكرية لأنه لم يكن عنيداً ، وكان واثقاً لا يتسرب الشك اليــه مطلقاً ، وقد حدث ان اخبره الفيلد مارشال كسرلنغ ، بعــد الانزال في صقلية ، بان كثيراً من الوحــدات الايطالية استسلمت بدون قتال ، وان عدم وجــود الرغبة للقتال سيجعل من المتعذر الدفاع عن الجزيرة. وما كان من موسوليني الا ان يضرب صدره ويصيح بصوت جهوري : يشتمل الغزو على ثلاثـة اقسام : الانزال ، ثم الاختراق ، ثم الاحتلال . والآن نواجه المرحلة الثانية، ويجب ان لا نواجه الثالثة ، وهـذا هو رأيي ، وكان ينكر النقطة الحيوية التي وضعت امام عينيه .

كان موسوليني يبدي سروراً عظيماً عند استسلام التقارير العسكرية دائماً ، وكان يسأل كثيراً ويود ان يظهر حلماً مطلعاً ، ولكن لا يدعي انه يعرف اكثر من مستشاريه ؛ وكان يمكن التفاهم معه بسهولة اكثر مما مع هتلر في مثل هـذه الظروف ، لم يزر جبهة القتال الا نادراً كما كان يفعل هتلر .

ما هي حالة القوات المسلحة الايطالية في اوائل عام ١٩٤٣ ؟ لقد فقد الجيش اجود قطعاته في افريقيا وروسيا ، وما تبقى منه كان اكثر من عشرين فرقة ، مقيدة في اليونان ، ويوغوسلافيا وجنوب فرنسا . وقد تركت عشرون فرقة صالحة للقتال فقط للدفاع عن الوطن الأم . وكان ثمان منها مرابطة في صقلية ، وساردينيا ، وكورسيكا . والاثنتا عشرة فرقة الباقية تكون منها جيشان كانا جزءاً من جحفل الجيش للامير المتوج الايطالي . ولم تكن هذه الفرق آلية ، ولا ميكانيكية . وفي الحقيقة كان هتلر قد اهدى الى الدكتاتور الايطالي معدات وأسلحة فرقة مدرعة كاملة . ولكن هذه المعدات لم تستخدم حسب رغبات

هتلر . وانما شكلت منها فرقة مدرعة من المليشيا الفاشيست في منطقة روما لتكون متيسرة لحماية موسوليني الشخصية في حالة الخطر. وكان هناك ، اضافة لذلك ، بقايا عشر فرق كانت عائدة من روسيا ، في وادي «البو» ، ولكن اكمالها واعادة تنظيمها يجريان ببطء شديد .

وكان يتألف الخط الأول من الدفاع عن الساحل من عدد من فرق حرس الساحل ، ولكن هذه الفرق كانت ضعيفة لأن جنودها كانوا مسنين واسلحتهم كانت رديئة ، ولم تكن لهم خبرة وممارسة في القتال والمعركة ، وكان التعب قد تسرب اليهم من طول وقوفهم على السواحل مدة سنين ، وتزعزعت معنويتهم ووصلت الى الحضيض. وكانت معظم استحكامات الميدان التي انشؤوها رديئة لا يمكن الاستفادة منها ولا توحي بروح مقاومة قوية ، وقد صرح رئيس اركان الجيش الجنرال روبا Roatta علما بأنه لا يمكن الاعتماد على هذه الوحدات ، وطبعاً كما نوهنا سابقاً ، كانت معدات واسلحة، وتدريب الفرق الفعالة غير جيدة ولم تصل المستويات الحديثة ، وقد ظهرت عدم كفاءتها في افريقيا وروسيا . وكانت الروح الحربية في الجيش والشعب معاً تكاد تكون معدومة ، وكل ما تبقى من رغبة لديها هو هذه الحروب الكريهة التي يجب ان تنتهي ايضاً ، ولا يهم كيف تكون النهاية . والشيء الوحيد الأكيد : هو ان القطعات الايطالية كان ليس باستطاعتها الصمود تجاه العدو بدون مساعدة . وعليه كانت المساعدة الالمانية ضرورية ، اذا لم يكن لشيء ، فلتفوق العدو على الايطاليين بالعدد . ولذلك نقلت في اوائل صيف ١٩٤٣ ، ثماني فرق المانية من الدرجة الاولى الى الميدان الايطالي ، وارتفع عددها في الأخير الى عشرين فرقة ، وكانت تسحب اما من روسيا او من القطعات التي كانت تنتظر الغزو الغربي .

كانت حالة الصنوف الأخرى من القوات المسلحة غير مرضية تماماً . فقد فقدت البحرية عدداً كبيراً من الطرادات والمدمرات في اعمال القوافل ولم تبق وحدات خفيفة كافية لتأمين الحماية اللازمة للبواخر الثقيلة في البحر . وكان

الاسطول غير مدرب تدريباً جيداً للقتال الليلي ، او للتعاون مع القوة الجوية . اضافة لذلك كان ينقصه الوقود بدرجة كبيرة . وكانت القوة الجوية قليلة العدد، ومتأخرة في سرعتها . وفي قابلية تسلقها ، وفي اسلحة طائراتها . ولا يمكن استخدامها اذا الحقت بالتشكيلات الالمانية . وكانت دفاعات ضد الجو في حالة خطرة مماثلة ، بالرغم من ان الالمان هيأوا مواد مائة بطرية ثقيلة ضد الجو .

صيف ١٩٤٣ غير المستقر

كانت خسارة آخر مستعمراتهم ضربة قاصمة للشعب الايطالي . لأنها كانت تعني ان جميع الطاقات والتضحيات التي بذلت خلال نصف قرن في بناء أقاليم المستعمرات كانت هباء وعبثاً . وبذلك فقد معظم الايطاليين أملهم في مستقبل أفضل . ولم توجه الطبقات العليا فقط اللوم إلى الحزب الفاشستي لهذه الانتكاسات والهزائم وانما عامة الشعب كذلك . وكان هناك في الحزب عدد كبير من الرجال الذين سببوا كل هذا الدمار ، وحتى موسوليني نفسه ، انتقد انتقاداً مراً . وقد فقد الايطاليون ثقتهم بالالمان بعد سقوط ستالين غراد وتونس .

وقد تسببت قصص القطعات العائدة من الجبهة الشرقية في ازالة آخر امل في امكان دحر روسيا ، ولم يبق الا العدد القليل من الايطاليين الذين كانوا يعتقدون بان انقاذ بلادهم يتم بالاستمرار في الحرب بجانب حليفتهم المانيا . وقد سببت الغارات الجوية العنيفة على صقلية والمدن الايطالية الشمالية زيادة النفور والكراهية ، وسئم الشعب الحروب ومقتها ، وصار يتوق الى السلم .

لقد تكبد الايطاليون خسائر كبيرة ، وبالرغم من ذلك كان موسوليني يعرف ان الحل الوحيد هو الاستمرار في القتال . وكان يأمل بان الجنود الايطاليين سيثبتون جدارة في الدفاع عن وطنهم ويظهرون وضعاً افضل مما كانوا علية حتى

الآن . وكان يعرف طبعاً بخيبة امل الشعب في سياسته وفي الفاشستية . وفي عام ١٩٤٣ غير جميع وزرائه ، وأعفى حتى صهره الكونت شيانو . وقد اعتبر الرأي العام ، في ذلك الوقت ، ان ذلك التبديل كان دليلاً وبرهاناً على ان الدكتاتور قد عزم على ان يتخلص من فساده ومن وزرائه الضعفاء ، ولكن تتابع الحوادث لم تتوقف ولم يطرأ عليها تحسن او تبدل .

وقد قوبل تعيين الجنرال أمبروسيو Ambrosio في كانون الثاني رئيساً لأركان القوات المسلحة بالاستحسان والرضى ، لأن سلفه الجنرال كافاليرو كان ممقوتاً من قبل القوات. كان امبروسيو جندياً ممتازاً ، ويتمتع بثقة جميع الضباط ولكن واجبه كان صعباً عسيراً . كان عليه ان يدافع عن ايطاليا ، ولكن قواته لم تكن جديرة بهذا الواجب وعليها ان تعتمد على المساعدة الالمانية. ومن الناحية الثانية كان المنتظر منه السعي للتخلص من النفوذ الالماني وان يحتفظ بالحرية والاستقلال . ولذلك كان تعيينه صدمة قوية للعلاقات بين القيادتين الايطالية والالمانية ، اللتين كانتا حتى ذلك الحين على أتم ما يكون من الود والانسجام . وأصبح التعاون صعباً بينهما ، ولم تنفذ الطلبات العسكرية الالمانية عن رغبة ورضى . واتسعت شقة الخلاف بين الحليفتين نتيجة سلوك غورنغ التعسفي خلال زيارته لروما في مارس ١٩٤٣. فقد عقدت مؤتمرات في فيلا مداما مع أمبروسيو وعدد من الوزراء الايطاليين حول مضاعفة الجهد الحربي الايطالي ، وكان غورنغ صلفاً متعجرفاً في هذه المؤتمرات ، فاستاء منه الايطاليون أشد الاستياء ، كيف لا ، وقد امتنع عن الاصغاء حتى لوجهة النظر الايطالية .

وفي حزيران ١٩٤٣ ، أصبح الجنرال روتا Roatta رئيساً لأركان الجيش ، وكان من أبرع الضباط الايطاليين ، ولكنه كان شخصية غير محبوبة من قبل المواطنين الايطاليين ولا من قبل الدوائر الالمانية . وكان التعاون معه صعباً منذ البداية لأن هتلر كان يشك فيه ويرتاب منه كثيراً ، وكثيراً ما كان يدعو روتا « بالخائن » .

كانت القيادة العليا الايطالية تعتقد بأن هجوماً سيشن على ارض ايطاليـــا حالما تهاجم صقلية ، وقد تبدو هذه النتيجة منطقية لأن صقلية لم تكن الخطوة الأولى نحو ارض ايطاليا الرئيسية فحسب ، وانما كانت بمثابة هدف سوقي بحد ذاتها لأنها كانت تسيطر على مضايق صقلية . اما الانزال في ساردينيا او جنوب ايطاليا فكان أقل احتمالاً ، وقد ارادت القيادة العليا الايطالية ان تسحب قسماً من قطعاتها في البلقان وفي جنوب فرنسا لتساعد وتساهم في الدفاع عن ايطاليا ، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق لعدم تيسر قطعـات المانية لمساعدة القطعات الايطالية هناك .

كانت خطة الجنرال روتا لمقاومة الانزال تتلخص فيما يلي :

تقوم فرق حرس الساحل بحمايـة الساحل ؛ وتتهيأ فرق المشاة للدفـاع عن المراكز المنيعة ؛ ويقوم الاحتياط السيار بالهجوم المقابل والقاء العدو في البحر . ولما كان الايطاليون لا يملكون اي تشكيل آلي ، ولذلك تستخدم الفرق الالمانية فقط في انجاز هذا الواجب . وعليـه طلب روتا ست فرق المانية آليـة ، واراد ان يستخدمها في ثلاث مجموعـــات – الأولى جنوب شرق نابولي ، وأخرى في منطقة روما ، والثالثة في توسكاني (منطقة فلورنسا) .

وكان موسوليني من الناحية الثانية لا يزال يعـارض في استخدام تشكيلات المانية كبيرة في ايطاليا . وكان يحبذ ان يكون الدفاع عن ايطاليـــا من قبل الايطاليين ، وكأنه قد أغمض عينيه عن الحقيقة وهي ان وضع قواته المفزع وحقيقتها المرعبة يجعلان مثل هذه الفكرة مستحيلة وغير عملية . ولكنه كتب الى هتلر في اواخر مارس ١٩٤٣ ، يخبره بانه لا يحتاج الا لفرقة واحدة ، لصقلية ، ولساردينيا ، ولايطاليا ذاتها .

واستطاع الفيلد مارشال كسرلنغ والجنرال فون رنتلن ، وبمساعدة الجنرال روتا ان يقنعوا موسوليني بالموافقة على نقل فرقتـين المانيتين آليتين مبدئيـاً الى

جنوب ووسط ايطاليا . وقد وافقت القيادة العليا الالمانية على طلب وجوب ارتباط القوات الالمانية بالقيادة العليا الايطالية . على ان تكون تحت قيادة مقر الماني في الاراضي الايطالية . وكان القائد العام في الجنوب ، الفيلد مارشال كسرلنغ قائداً لجميع القطعات الالمانية، وكانت تقدم جميع احتياجاتها العسكرية للقادة الايطاليين .

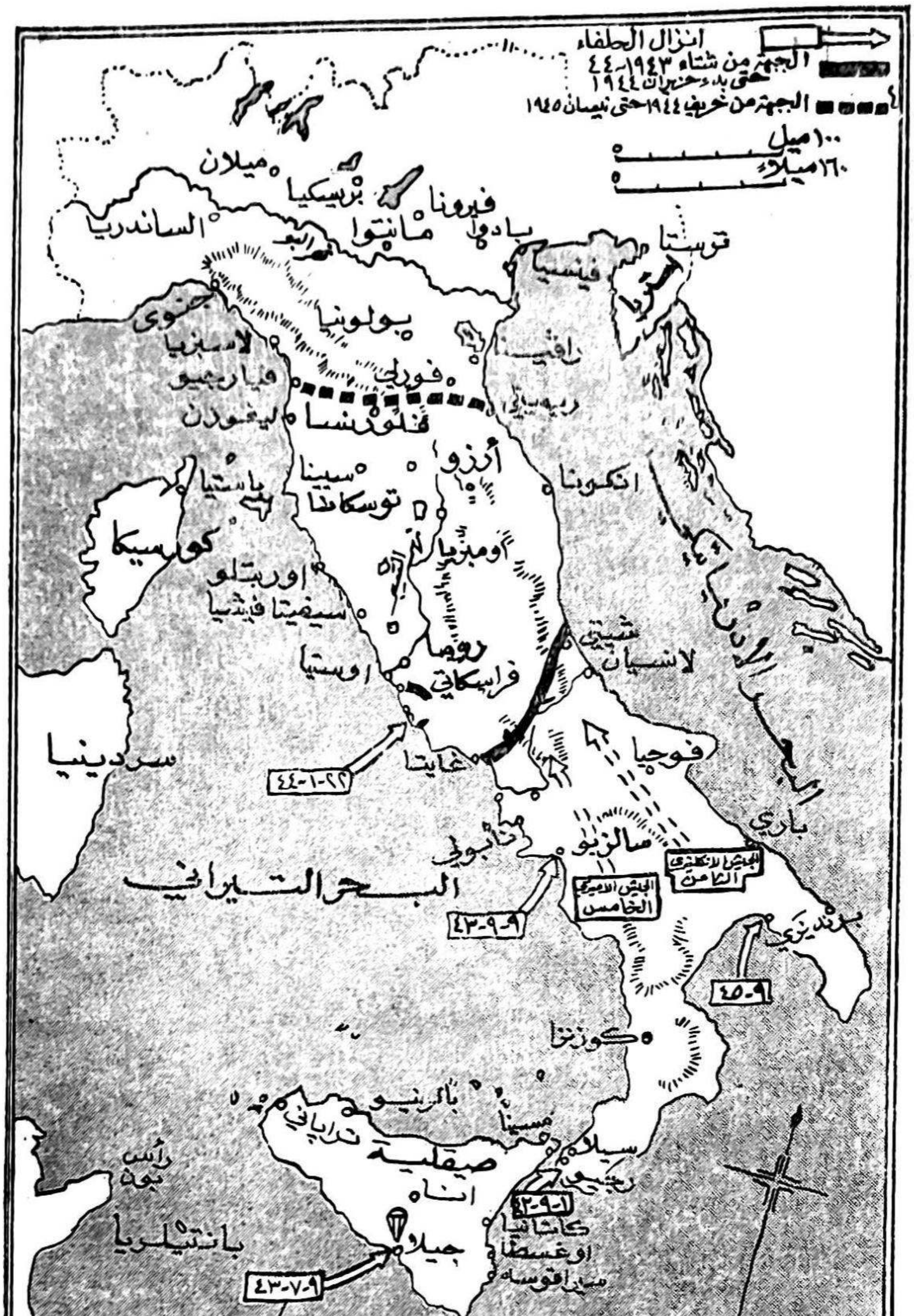
وفي نهاية حزيران ، طلب امبروسيو من القيادة العليا الالمانية كميات كبيرة من الاسلحة والمعدات للجيش الايطالي ، ثم طلب اضافة لذلك سبعين مفرزة مدفعية ومدفعية ضد الجو ، واكثر من ثلاثين دبابة ووحدات استطلاع مدرعة لتجهيز الفرق الايطالية بها . وعلى ان تبقى المواد للقطعات الايطالية في النهاية . وطلب موسوليني في الوقت ذاته ، الفي طائرة وأضاف امبروسيو شفوياً بأنه يعلم جيداً ان هذه الطلبات لا يمكن تلبيتها بصورة كاملة ، ولكن المهم جداً هو وجوب تقوية القوة الجوية في الحال . وقد أجابت القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية بأن موقفها لا يسمح لها بالموافقة على جميع الطلبات ، وأقصى ما يمكن ان تقدمه في القريب العاجل هو اضافة بضعة اجنحة الى السلاح الجوي الالماني في ايطاليا .

وكان موسوليني ، قبل الحرب بقليل ، قد جعل من جزيرة بانتلريا Pantelleria قلعة حديثة ، تقف ضد مالطا ، أُنشئت فيها حظائر للطائرات تحت الأرض وقد كلفت مبالغ طائلة ، وحامية تتألف من اثني عشر الف جندي، مع أربعين بطرية وعدة أجنحة من المقاتلات ، كانت جاهزة هناك ، وقد امتنع القائد الايطالي مرتين من الاستسلام للجنرال الأميركي الجوي شباتز Spaatz . ولكنه أخبر موسوليني في ١١ حزيران ، بأن المقاومة قد أصبحت متعذرة لعدم وجود الماء. ولذلك أصدر أمبروسيو تعليماته بالسماح للحامية بالقاء سلاحها، وكان هذا الاستسلام غريباً مفاجئاً ، لأنه تم بدون أن يُشن عليها هجوم جوي أو أن يجري عليها انزال . وكان له أكبر الأثر في تثبيط عزائم الشعب الايطالي . وقد

بقي لغزاً لا يمكن تفسيره ، وكيف وافق عليه موسوليني بمثل تلك السهولة ، وهو يعلم أن الحامية والسكان في أتم حماية في ملاجئهم الصخرية ، ولا يمكن أن يحدث نقص خطير في الماء . وقد فقدت جزيرة لامبدوسا في اليوم الثاني أيضاً ، ولكن الحامية الايطالية الألمانية الصغيرة قد أبدت مقاومة على الأقل .

وقد تعاقبت الحوادث السيئة الآن . فشرع الحلفاء في ليلة ٩ – ١٠ تموز في غزوهم بانزال قطعات المظلات في جنوب شرق صقلية ، وكان الجنرال غرازياني قد استلم القيادة قبل ذلك ببضعة أسابيع . وكان تحت قيادته ما يقرب من ٣٠٠ الف جندي من الجيش ، والقوة الجوية والبحرية . وكان يتألف الجيش من أربع فرق مشاة وست فرق حرس سواحل ، مع فرقتين المانيتين ، ثم أصبحت أربع فرق في النهاية . وكان ما يقرب من مائة قطعة مدفعية من أثقل العيارات قد أُعدت على امتداد الساحل . وكان أول بلاغ صدر في روما يدعو للتفاؤل التام ، حتى أنه في مساء ١١ تموز أذيع أن هجوماً مقابلاً قامت به فرق غورنغ في نابولي ونجحت في ارغام العدو على التراجع والشروع بالنزول الى بواخرهم مرة أخرى . أما تقارير غزوني Guzzzoni فكانت قليلة جداً وكان مقره في إنا Enna ، في أعلى مرتفع في الجزيرة . ويبدو أنهم لم يجدوا ضرورة في جعل المقر يقاوم القنابل ولذلك قصف ودمر ،وقطعت جميع وسائل المواصلات، لفترة ما، ولذلك يصعب عليه السيطرة على قطعاته . وقد انجلى الموقف يوم ١٢ تموز،ولكنه لم يكن واضحاً زاهياً .

وقد كانت الشكوك تساور النفوس منذ السابق في امكانية الاحتفاظ بالجزيرة . وكان الجميع يدركون ضعف قوة قتال القوات الساحلية وفعلاً كانت النتيجة مخيبة للآمال حيث إنها لم تبد مقاومة مهما كان نوعها . وفقدت القواعد أوغوستا وسيراكوس بدون اطلاق طلقة واحدة ، بالرغم من قوة أسلحتها . وفي بعض المحلات ، نسفت المدفعية والعتاد أو رميت في البحر واشعلت النيران في مستودعات الوقود قبل وصول العدو بـ ٢٤ ساعة ، وسرح الضباط قطعاتهم ،



حملة ايطاليا

ورمى الجنود اسلحتهم و كانوا هائمين متسكعين في البلد ، ومعظمهم في ملابس مدنية . و كانت هذه هي حالة الجيش السادس الايطالي المنهار .

وما عدا بعض القطعات الايطالية التي قاتلت ببسالة وشجاعة ، فان المعركة كانت تقوم على اكتاف الفرق الالمانية بصورة تامة ، و كانت تلك الفرق موزعة على نقاط مختلفة من ايطاليا باعتبارها عامل قوة وصلابة ولذلك سرعان ما وجدت نفسها في موقف حرج . وقد ظهر انه من الافضل جمع تلك الفرق بتشكيل واحد وسحبت الى خط يمتد حول أتنا Actna ، ثم اتخذت موضعاً في الزاوية الشمالية الشرقية من صقلية حتى ٧ آب ، واخيراً نقلت عبر مضيق مسينا الى كالابريا Calabria ، واستصحبت معها جميع المواد الحربية .

لقد قرر كسرلنغ اخلاء الجزيرة بدون استشارة القيادة العليا للقوات المسلحة ، وبذلك يثير سخطها . خاصة وان معظم القطعات الايطالية قد تخلت عن المعركة في الأيام الاولى ، واستطاع العدو ان يكتسح القسم الاعظم من الجزيرة بسرعة فائقة . و كان لهذه الحقيقة أهمية بالغة ، حيث اتضح الآن بان الأمل ضعيف في امكان قتال جحفل الجيش الايطالي على ارض ايطاليا الرئيسية ، وقد لعب تفوق البريطانيين والاميركيين الكبير في الجو دوراً حاسماً في جميع هذه الاندحارات .

لقد توقع روتا Roatta انزالاً مؤكداً في جنوب ايطاليا ، اي في أبوليا Apulia ، التي كانت اقل المناطق في عدد جبالها . ولذلك طلب على الفور نقل الفرق الالمانية من شمال ووسط ايطاليا الى الجنوب ، ووجوب تشكيل قوة المانية جديدة ايضاً في منطقة روما . وقد رفض هتلر نقل القوات الالمانية الى الجنوب ، وفي ١٩ تموز اجتمع كل من هتلر وموسوليني في شمال ايطاليا . وقد علمنا بعد الحرب بان امبروسيو كان قد حرض موسوليني ، على ان يوضح لهتلر بان ايطاليا غير قادرة على الاستمرار في الحرب . و كان هتلر من جهته يريد

قبول موسوليني بالقيادة الالمانية الصرفة ، وأن يتخلى عن تأثير القصر الملكي في قيادة الحرب . ولكن الواقع ان كلا الدكتاتورين لم يقولا شيئاً مما فكرا به ، وبدلاً من ذلك ارتجل هتلر خطاباً مطولاً عن الحرب الكلية ، ولم يفسح المجال للدكتاتور الايطالي ان يقول شيئاً ما . ولذلك انتهى المؤتمر بدون نتيجة .

وقد ترامت الاخبار في منتصف ذلك المؤتمر عن اول غارة جوية عنيفة على روما . وكانت تلك الغارة موجهة بالدرجة الاولى على المطارات ، ومحطات السكك ، ولكن مناطق القصر الملكي أصيبت كذلك . وهكذا يزول الوهم مرة ثانية ، وهو عدم قصف المدينة الأزلية . ومن الواضح أن يكون وقع خبر الغارة على موسوليني شديداً ، وكان كل من كايتل وأمبروسيو يبحثان قضايا عسكرية فيما بينهما ، واقترح كايتل ارسال فرقتين المانيتين جديدتين الى جنوب ايطاليا اذا حرك امبروسيو فرقتين ايطاليتين من الشمال الى الجنوب . ولما كان كل واحد لا يثق بالآخر ، لذلك لم يحدث شيء من ذلك ، وكان أمبروسيو يعتقد بان كايتل يريد اضعاف المنطقة الشمالية جهد الامكان ، بينما يخشى كايتل ان ترابط اكثر ما يمكن من الفرق الالمانية في منتهى جنوب « الحذاء » وتكون النتيجة « بيع » تلك الفرق الى الحلفاء ، ولكنهم من الناحية الثانية يوافقون على تأسيس ضباط ركن ارتباط مع قيادة الجيش العليا السابعة الايطالية في جنوب ايطاليا . ومن هؤلاء الضباط الركن نشأت قيادة الجيش العليا العاشرة الالمانية بقيادة الجنرال أوبرست فيتنغ هوف Vietinghoff في منتصف آب . وقد أصبح فيتنغ هوف قائداً لجميع الفرق الالمانية في الجنوب .

ومما زاد في خطورة موقف النقل ، الغارات الجوية العنيفة على السكك والموانىء ، وهذه مما أثرت تأثيراً خطيراً على تموين الجيش العاشر ، وجعلت من المتعذر على السلاح الجوي انشاء مستودعات للوقود .

وفي ٢٥ تموز عزل الملك موسوليني بعد اجتماع عاصف لمجلس الفاشست الأعلى وألقي القبض عليه ، وعين الملك المارشال بادوغليو Badoglio رئيساً للحكومة

وقائداً أعلى للقوات المسلحة ، وبقي امبروسيو وروتا في منصبيهما بينما عين ضباط جدد للقوة الجوية والبحرية .

وهكذا اصبحت الفاشية شبحاً في غضون بضع ساعات. وقدبعثت بيانات من قبل الملك وبادوغليو تقضي بوجوب الاستمرار في الحرب ، ولكن هتلر لم يصدقها. وكان مقتنعاً منذ اللحظة الأولى بأن فيكتور عمانوئيل لم يكن الا ليلعب بعض الوقت ، وانه سينهي الحرب بأسرع ما يمكن . واكثر من ذلك ان كبرياءه قد أصيب اصابة بالغة من جراء الكيفية التي سقط بهـا موسوليني والتحطيم المخزي للنظام الدكتاتوري الشبيه بنظامه . وكان ساخطاً أشد السخط ، حتى انه قرر في البداية ان يأخذ الملك وأعضاء الحكومة أسرى حرب بواسطـــة القطعات الالمانية . وان يطلق سراح موسوليني وقد هيأ لهذا الغرض فرقة مظلية تنقل من جنوب فرنسا الى منطقة روما . وقد وصلت وكان وصولها مباغتة تامـة للفيلد مارشال كسرلنغ . اضافة لذلك ، اصدر امراً ، وبدون اخبار القيادة العليا الايطالية الى ثماني فرق المانية من جنوب فرنسا ، تيرول ، وكورنثيا ، بوجوب التنقل الى منطقة ايطاليا العليا ؛ وقد شرع بهـذا التنقل في نهـاية تموز . وبهذه الطريقة استطاع الاحتفاظ بوادي البو وفي خطوط السكك الحديدية المهمة في شمال ايطاليا . ولم توضع هذه القطعات تحت قيادة كسرلنغ ، وانما تحت قيادة الفيلد مارشال رومل الذي كان الى ذلك الوقت في مونيـخ القائد العام لجحفل الجيش « ب » .

لقد انتهت آخر صفحة من صفحات المشاركة الايطاليـــة الالمانية بسقوط موسوليني ، وكانت تعتبر من اخطر الأوقات لكلا الجانبين . ولعل موقف هتلر منهم كان يثبت بأن غرض الحكومة الايطالية هو الانفصال عن المانيـا بأسرع ما يمكن . وقد حاول الفيلد مارشال كسرلنغ ، يؤيده الجنرال فون رنتلن ، ما وسعه لأجل الاحتفاظ بالعلاقات مع الايطاليين وعدم تغييرها ، وكانت نتيجة ذلك ان اتهم الاثنان « بالضعف » وبميلهم الى الايطاليين . وعلى كل حال

فقد منعا هتلر بقدرتها ولباقتها من تنفيذ خطتــه بالاستيلاء على رومــا بالقوة ، وبذلك يعود الفضل لهما في الحفاظ على سمعة المانيا .

لقد التمس بادوغليو من هتلر أن يقابله بمؤتمر في شمال ايطاليا ، يحضره الملك ويشارك فيه. وقد أجاب هتلر بأنه لا يرى ضرورة في مثل هذه المقابلة لأنه كان قد أجرى مباحثات كاملة مع موسوليني من وقت قريب . وكان السبب الرئيسي لرفضه ، هو أن هتلر كان يشك في أنهما يريدان اغراءه بالقدوم الى ايطاليـــا وأخذه أسيراً .

كانت حكومة بادوغليو في موقف لا تحسد عليه، فالغارات الجوية مستمرة، وكانت سبباً في نقص الأطعمة بدرجــة كبيرة في مختلف أقسام القطر . وكان في شمال ايطاليا وأبوليا عدم استقرار اجتماعي ، سببه العناصر الشيوعية ، وكان الشعب يطالب بسرعة انهاء الحرب . واستمر الحلفاء بموقفهم العدائي المتطرف ، وكان الايطاليون يخشون من أن يحتل الألمـــان روما . وكان للقادة العسكريين مشاكلهم التي يتعذر حلها . فقد طلب منهم في البداية أن ينقـلوا خمس فرق الى منطقة روما ، لمنع أي اجراء يتخذه الألمان ضد المدينة . وقد أقــامت هذه القطعات السدود والموانع ووقفت تواجه الفرقتين الألمـــانيتين الموجودتين قرب روما . ولا يمكن أن تستمر مثل هذه الحالة السيئة ، فبينما كان الايطاليون يخشون من هجوم ألماني ، كان هتلر يخشى من أن قطعاته ستذبح وتدمر .

وعدم الثقة بين الجانبين قد بدا أيضاً عند مقابلة ريبنتروب لوزير الخــارجية الجديد كواريغليا Guariglia في تارفس Tarvis يوم ٦ آب . واشترك في هذه المقابلة كل من كايتل وأمبروسيو. وقد طلب الأخير أن تكون جميع الفرق التي وصلت حديثاً تحت القيادة الايطالية .بينما طلب كايتل نقل جميع الفرق الايطالية الى جنوب ايطاليا. وكان كل منهما يطلب من الآخر أن يكون البادىء ، وأصبح الصدق والاخلاص الآن في خبر كان .

أما الثقة والتعاون،حتى في أصغر الأمور وأدقها فلم يعد لهما وجود، وأخذت القطيعة النهائية تقترب بسرعة ، وكان آخر مؤتمر عسكري بين ايطاليا والمانيا، هو الذي عقد في ١٥ آب في بولونيا Bologna ، وكانت نتيجته الفشل ، وكان يتعلق بالقضايا العسكرية الصرفة ، وقد عقد بناء على طلب الايطـاليين . وكان يمثل الجانب الألماني الفيلد مارشال رومل ، مع الجنرال أوبرست يودل . وكانت نتيجته أيضاً توسيع شقة الخلاف وزيادة عدم الثقة .

وقد أرسلت القيادة العليا الايطالية في أوائل آب مفاوضين الى لشبونة لبحث شروط الهدنة. وكان الذي يعرف بهذا الأمر عدد قليل جداً ، ولم يطلعوا الألمان على هذه المحادثات ، ولكن هتلر كان يساوره الارتياب من أن شيئاً ما مثل هذا يحدث في الخفاء . وهكذا وقعت الهدنة في ٣ أيلول بين ايطاليا والحلفـــاء في صقلية ، على أن لا تعلن ، ولا يسري مفعولها ، الا بعد الشروع بانزال كبير على أرض ايطاليا .

وفي ٣١ آب طرد هتلر السفير الألماني فون ماكنسن، والكونت بسمارك المسؤول عن العلاقات ، والجنرال فون رنتلن ، وعين السفير ران Rahn بدل الأول والجنرال توسنت Toussaint بدل الأخير ، وكلاهما كان موضع ثقة هتلر . وقد اعتبر الايطاليون « هذا التغيير في الحرس » اشارة في انهاء العلاقات بين الطرفين. وقد ذكر لي ذلك بوضوح نائب أمبروسيو. وكان الضباط الألمـــان والايطاليين لا يزالون ينظرون الى بعضهم نظرة الزمالة والصداقــة ، ولكنهم كانوا يشعرون بأن هذه الصداقة تقترب من النهاية بكل سرعة . وفي هذا الجو المكفهر الخانق، جرى انزال الحلفاء في الناحية الجنوبية من كالابريا في ٣ أيلول ، ولكنه لم يدخل السرور العظيم الى قلب الشعب .

دعا وزير ايطاليا البحري ، الكونت دي كورتين ، القائد العام في الجنوب، الفيلد مارشال كسرلنغ ، ليخبره بنوايا البحرية . وأوضح الأدميرال دي كورتن de Courten بأن جميع الدلائل تشير الى انزال الحلفاء الذي لا بد منه على أرض ايطاليا ، ولا تريد البحرية الايطالية ان تبقى عاطلة في الميناء بينما تدور هـــذه المعركة الحيوية ، ولا يريدون أن يصبحوا ضحية أخرى كما حدث في «سكابافلو». وعليه ستقوم اثقل الوحدات البحرية بهجوم مباغت من لاسبيزيا La Spezia والمرور حول الطنف الغربي من صقلية والاشتباك بالاسطول البريطاني، والنتيجة اما النصر او قاع البحر . ويجب ان تبقى هـــذه الحركة سرية الى آخر دقيقة ، وان ترافقنا جماعة الارتباط الجوي الالماني قبل اقلاع السفن بقليل . وكان دي كورتين يتلو عباراته وهو أشد مـــا يكون انفعالاً وتأثراً ، وكان يذرف دموعاً ويبدي تضرعاً وتوسلاً بالدم الالماني الذي يجري في عروقه من ناحية أمه. واستطاع بث التأثر والانطباع العميق . ولم يدر بخلدي ولا خلد كسرلنغ بأن وضعه ذلك كان حيلة وخدعة يقصد منها تهدئة الشكوك الالمانية عن انحـــار الاسطول الايطالي القريب واعتقاله في مالطة .

وقد انحلت العقدة في نهار اليوم التالي بصورة تدعو الى الحزن والأسى ، فقد طلب روتا ، في الصباح ، اذا كان بامـــكان الفيلد مارشال ، او انا ، القدوم الى روما لقصد بحث الموقف في جنوب ايطاليا . وقبل قيامي بالسفر بقليل حدثت غارة جوية عنيفة على فراسكاتي واستمرت ساعتين ، بينما خسر القائد العام مـــا يقرب من مائة جندي في هـــذه الغارة ، وكانت خسائر المدنيين اعظم حيث بلغت الفاً من الرجال ، والنساء ، والاطفال ، وكان الغرض من هذا القصف هو شل المقر الالماني عن العمل . وفي الحقيقة تعطلت جميع وسائل المواصلات وحتى الطرق خارج المدينة لبضع ساعات ، ولذلك كان الوقت بعد الظهر وانا لم ابدأ بسفرتي مع الجنرال توسنت ، وفي طريقي الى روتا الذي كان قد عـــاد الى مقر

الجيش في مونت روتاندو . وكانت جميع الطرق تحتلها القطعات الايطالية التي لم تسمح بالمرور حتى لجنرال الماني مثلي انا ، واظهر عملهم اول علامة من علائم العداء الذي واجهناه . وقد طلبنا باصرار الاتصال بروتا الذي اصدر الاوامر بعد مدة وجيزة بالسماح لنا بالمرور واعتذر اعتذاراً مؤدباً عند وصولنا . وكنا في منتصف الحديث وجاء نداء تلفوني الماني من روما يفيد ان اتفاقية الهدنة قد تمت وقد أعطيت في اللاسلكي . بينما قال روتا ان هذه خدعة من قبل العدو[1] وقد أنهى المحادثات معبراً عن أمله في زيادة التعاون فيما بيننا اكثر من السابق .
وكانت عودتنا وسط تلك الجموع المائجة ، جميع روما المنتشية بشراسة ، وقد يدلنا ذلك على ان الاستسلام كان حقيقة واقعة .

وقد اصدر الفيلد مارشال كسرلنغ في الوقت ذاته ، من مقر مرتجل قرب فراسكاتي ، الكلمة الرمزية « محور » الى جميع القطعات الالمانية . وكانت تلك الكلمة تشير الى أمر هتلر في آب السابق ، وتعني في حالة تقصير الايطاليين تقوم القطعات الالمانية بتجريد القطعات الايطالية من سلاحها وتعتقلها . وان تحافظ على جميع المواد الحربية حتى البواخر ، والطائرات ، ولكن انجاز هذاالواجب قد اعتبر صعباً بل متعذراً ، وكان هذا تقديراً صائباً ، خاصة وان القطعات الالمانية ستكون مشغولة بالانزال الاميركي والبريطاني وهي في احرج الظروف . ثم هل بالامكان منع القوات البحرية من ابحارها ، ونحن لا نملك وحدات بحرية المانية مهمة او كبيرة ، وقد يسيطر المشاة على الطراد ؟ ويصبح نفس الشيء على الطائرات التي يمكنها الاقلاع من مطارات متعددة بدون أي عائق .

كانت المنطقة الواقعة جنوب خط ألبا – أنكونا من مسؤولية القائد العام في الجنوب ، بينما كان جحفل جيش رومل مسؤولاً عن العمليات في الشمال . وهو

---

١ – أرسل لي روتا في مساء اليوم التالي رسالة تلفونية يقول فيها بأنه كان لا يعلم بالاستسلام الايطالي حتى ساعة محادثاتنا ، وكان يؤكد بشرفه على صدق كلامه .

الواجب الوحيد الملقى على عاتق رومل . اما كسرلنغ فكان واجبه يتعلق بالدرجة الاولى في صد الهجوم الاميريكي البريطاني ، ولذلك اصدر تعليمات شفهية تؤكد الرغبة الملحة في بقاء العلاقات الودية والسلمية المحلية مع الايطاليين .

وقد وجدت قوات القائد العام في الجنوب نفسها الآن في موقف حرج ، اذا لم يكن موقفاً يدعو الى اليأس والقنوط . اذ كيف يدافع كسرلنغ بفرقه القليلة العدد عن نفسه ليس تجاه العدو القديم فحسب وانما تجاه هذا العدو الجديد ؟ ولا يمكن بالطبع للفرقتين الالمانيتين في ضواحي روما شل عمل الفرق الايطالية الخمس الموجودة هناك واحباط الانزال المتوقع في منطقة سيفيتا فيشيا او فم التيبر ، ذلك الانزال الذي لا بد ان يرافقه انزال قطعات المظلات – ولا ندري ما هو السبب الواضح لماذا لم يقم العدو بهذا الانزال الذي لو تم لكان من المتعذر حماية القوات الضعيفة قرب روما من تدميرها او الاتصال بالجيش العاشر في جنوب ايطاليا . وكان مصير الجيش العاشر محفوفاً بالدمار ايضاً ، لأن تموينه بالطعام ، والوقود ، والعتاد ، كان كله يجب ان يمر من روما . وكان مصير الالمان الذين في وسط وجنوب ايطاليا يعتمد على شيئين - عمل الحلفاء وسلوك الايطاليين . ولم يبق في داخل المدينة (روما) الا وحدات ضعيفة كمؤخرات وبعض العناصر الاخرى ، وقد نظمت تلك الوحدات على اعتبار وحدات انذار ولا تحمل معها سوى الأسلحة الخفيفة ، ولكنها كانت موضوعة في محلات معينة وقليلة من المدينة . ولا يمكن ان يتوقع المرء ان تستطيع الثبات في حالة الخطر الى ان تصلها النجدة من خارج روما . وكان من الممكن جداً ان تصبح ضحية للرعاع الرومانيين اذا هاجت وتحركت غرائزهم . ولم يكن بمقدور هؤلاء المقاتلين الذين لا يتجاوز عددهم بضع مئات ان يسيطروا على منظومة المواصلات والسكك الحديدية التي كانت حيوية بالنسبة للالمان . ولذلك كان لا بد من ان تجلب قوة من الخارج للقيام بهذه المهمة . ولهذا السبب شرعت فرقة المظلات

جنوب روما بالقتال في مساء ٩ أيلول ، وقد واجهت مقاومة عنيفة من قبل فرق الجنرال كاربوني التي كانت منتشرة حول المدينة .

وقد وصلت في ذلك الوقت أخبار مؤكدة عما حدث للتحشد الكبير من بواخر العدو الذي افادت تقارير الاستطلاع الجوي عنه جنوب نابلي يوم ٨ أيلول. لقد قام العدو بانزال قرب سالرنو ، وكانت هناك فرقة مدرعة المانية بانتظاره . وكان بمجرد العلم بهذا الانزال مما يدعو الى راحة النفس والتخفيف عنها . لأنه أصبح الآن لا نتوقع انزالاً من جهة البحر قرب روما [1] .

وكان هناك من الناحية الاخرى تهديد آخر وهو هبوط من الجو على المطارات الرومانية في سيامبنيو في الشمال والجنوب ، وبراتيكا دي مير ، الخ . وظل هذا التهديد معلقاً كسيف دموكلس فوق رؤوس المسؤولين عن الدفاع . والآن وقد أصبح من المؤكد ان لا شيء آخر يخشى منه من البحر . لذلك نقلت الفرقة المدرعة الألمانية التي كانت تنتظر في سيفيتا ـ فيشيا نحو روما. وحتى بعد وصول هذه الفرقة ، كانت القوات الالمانية لا تتعدى الفرقتين وهي لا تتمكن من الوقوف امام الفيلق الايطالي في كارابنيري والقوات الاميركية الهابطة من الجو. ولذلك اتجهت الانظار من يوم ٩ أيلول وما بعده الى السماء كلما سمع ازيز الطائرات. وكان القلق شديداً لأنه لم يتيسر سوى فوجين للدفاع عن المطارات الأربعة الواسعة . وكنا لا نتنفس الصعداء الا بعد ان يخيم الظلام ، لأن الانزال بمقياس كبير لا يكون محتملاً ليلاً ، وكانت كل ساعة كسباً لنا ، لأن كسرلنغ عزم على ان يبذل كل جهده في ان يحول دون تحقيق تنبؤات « السلطة العليا » ، وهي ان تقصير ايطاليا أو خيانتها سوف لا يؤديان الى فقدان جميع القطعات الالمانية في

١ - لقد خدع العدو القيادة العليا للقوات المسلحة بخدعة ماهرة . فقد حدث ان كان ساع بريطاني يستحم على ساحل البحر في اسبانيا ، وقد وجد بحوزته مستندات تتعلق بانزال مزعوم تقوم به قوات كبيرة من العدو في اليونان . ونتيجة لذلك نقلت عدة فرق المانية من بين تشكيلات مدرعة بصعوبة شاقة الى بلوبونيس .

الجنوب وقرب روما . وكثيراً ما كانت تثار هذه النظرة في الأسابيع الأخيرة كلما طلبت امدادات او زيادة في التجهيز . وكان الجواب على هذه الطلبات يأتي تلفونياً وبالعبارات التالية : سننظر فيها فيما بعد .

ولا يسعني الآن الا أن أضيف الى القول ، بأن القيادة العليا كانت أقل ثقة من القادة في الجبهة . وكثيراً ما صرح هتلر بأنه لن يدخل السرور الى نفسه الا بعد أن يرى جميع القطعات الألمانية واقفة شمال روما ، ولكنه غير رأيه هـذا فيما بعد تماماً .

كيف كانت الأمور تجري في جنوب ايطاليا ؟ كانت الأخبار التي تصلنا أقل من اليسير . كانت المواصلات التلفونية معدومة في البداية . وكان لا يمكن الاعتماد عليها لأن الأسلاك كانت ممدودة على الأرض ، وكثيراً مـا كانت تقطع وتدمر بسبب الغارات الجوية ، وكانت رسائل اللاسلكي قليلة أيضاً . وسبب ذلك أن وحدات مخابرة الجيش العاشر كانت حديثـة التشكيل ، ولم تستطع التغلب على الصعوبات الجوية السائدة في جنوب ايطاليـا . ولذلك كنـا ، في ذلك الوقت ، نعتمد في المواصلات على ارسال ضباط بطائرات ستورك ، الى أن تحسن الموقف كثيراً قرب روما حيث طار كسرلنغ بنفسه الى فيتنغ هوف ، الذي استطـاع أن يقاوم الانزال في سالرنو باستخدام ثلاث فرق من فرقه الست . وكانت هناك فرقتان أخريان تكافحان لشق طريقهما الى الشمال عبر كالابريا ، التي كانت كثيراً ما تؤخرهمـا وتعيق سيرهمـا الحفر الواسعة جداً الناتجة عن القنابل ، والجسور المقطعة وقلة البترول ، وبالرغم من كل الجهود التي كانتا تبذلانها فان تقدمها كان عسيراً وبطيئاً . وكانت فرقة مظلية مشتبكة في معركة بوحدات جيش الجنرال مونتغومري التي نزلت في أبوليا . وكان تفوق الحلفـاء الجوي الساحق يضايقنـا جداً . ولم تستطع أسراب الأسطول الجوي الثاني ، من اثبات موجودية تجاههـا بالرغم من جهود القائد الجبارة ، الفيلد مارشال فرايهـر فون ريختهوفن . وكان

أعظم الأخطار التي تواجهها القطعات هي نيران مدفعية البواخر ذات العيارات الثقيلة ، التي كانوا لا يجدون حماية منها في تلك الأرض الصخرية .

ما هي المساعدة التي يستطيع القائد العام في الجنوب تقديمها ؟ كان أهم شيء هو تحسين الموقف في روما . واذا تم ذلك فان التموين يمكن المرور بها الى نابولي وما وراءها ، وارسال فرقة الى الجنوب على الأقل . خاصة وان الانزال الجوي لم يتحقق حتى مساء ٩ أيلول ، وكان موقف فيلق كارابنيري موقفاً سلبياً ، واقترحت بان يدعو الايطاليين الى الاستسلام اذا قبلوا بذلك . وهي طريقة تخلو من كل خطورة عملية أو أي مشكلة معنوية ، أما اذا رفضوا ، فلا نخسر شيئاً نتيجة طلبنا لايقاف القتال. وفي الحقيقة انهم قبلوا الطلب؛ والقوا سلاحهم وسرحوا بكل شرف وذهبوا الى مدنهم .

وأخذ كسرلنغ على عاتقه احتلال روما بسريتين من الشرطة فقط وهكذا أصبحت مدينة مفتوحة مرة أخرى ، وقد حقق نصراً عظيماً وبدون اراقة دماء . وأصبحت روما في أيدي الألمان ، وفتح طريق التموين الى فيتنك هوف وتأمنت خطوط المواصلات مع رومل مرة أخرى . والجدير بالذكر هو أنه تمكن من الانفصال عن حليفتنا بصورة سلمية ، الحليفة التي تقاسمنا معها سوية في المصير المشترك لمدة تربو على السنتين .

وقام روميل في نفس الوقت بتجريد القوات الايطالية من السلاح في شمال ايطاليا . وقد فشلت محاولة الاستيلاء على الاسطول في لاسبيزيا ، كما كان متوقعاً، واخذت جميع القطعات الايطالية في شمال ايطاليا ، وفرنسا ، والبلقان أسرى حرب ، وسيقوا الى المعسكرات الالمانية وكانت نتيجة محزنة لهم . وقد وجه تعنيف شديد الى الفيلد مارشال كسرلنغ لأنه لم يعتقل الايطاليين الذين جردهم من سلاحهم . ولم يدرك احد في « القيادة العليا » ان اطلاق سراح الفيلق الكارابينري كان الاغراء الوحيد الذي وعدهم به كسرلنغ . وما هو الاغراء

الآخر للاستسلام الذي قدمه للقطعات الايطالية في روما ، والتي كانت تتفوق تفوقاً كبيراً عليه في العدد والسلاح ؟ وقد تم تجريدهم من اسلحتهم بدون اي خصام او اصطدام . ولم يخش من انضمامهم الى حركة الانصار ايضاً. وعلى العكس كان الجميع فرحين مستبشرين لأن الحرب الكريهة قد انتهت في النهاية

لقد تخلص كسرلنغ الآن من القلق الذي كان يساوره من روما ، وأخذ يهنىء نفسه لأنه سيطر على المدينة با كملها بدون قتال ، وقضى على الجيش الايطالي قضاء تاماً وهناك يبقى عدد من علامات الاستفهام تحوم حول سالرنو، منها ما هو مصير القطعات المظلية الالمانية في ابوليا ، ثم مصير القطعات الالمانية في ساردينيا و كورسيكا . وقد وصلت اخبار سارة بسرعة عن القطعات المظلية ، حيث لم يمسها أذى وهي لا تزال في منطقتها الواسعة في ابوليا ، وانها اثبتت جدارة عظيمة ، اضافة لذلك تم اخلاء الجزيرتين بدون صعوبة تذكر ولم تتكبد خسائر كبيرة . وكان السبب في ذلك يعود الى ان الايطاليين قلما كانوا يعرقلون الطريق بوجه تلك القطعات الالمانية البالغ عددها ٣٥ الف جندي من ساردينيا عبر مضيق بونيفاسيو Bonifacio الى كورسيكا، وكذلك كان الحلفاء لا يقومون بعمل وكانوا سلبيين تجاهها . وقد تم النزول الى البحر من ميناء باستيا Bastia وفي النهاية كان الجنود الالمان محصورين في منطقة ضيقة من رأس الجسر لأن الحامية الايطالية في كورسيكا قد نشطت تدريجياً ، وقد استخدمنا جميع وسائل الشحن البحرية المتيسرة والبواخر والناقلات المعدة لتنقل العجلات ، وبمساعدة جميع طائرات الاسطول الجوي الثاني ، ونجحنا في نهاية ايلول باخلاء جميع القطعات مع أسلحتها ومعداتها ، وكميات كبيرة من العتاد المخزون في الجزيرة ، ولم تنشط بحرية الحلفاء وقواتهم الجوية إلا في اليومين الأخيرين من الانسحاب ولذلك تكبدنا بعض الخسائر ، وكان من بين القطعات المنقذة فرقة مدرعة كريناديرو وهي كانت جاهزة للقتال ، وقد اشتهرت بأنها القطعة التي اوقفت تقدم مونتغمري بعد اختراقه المواضع على نهر سانكرو . ولم ندرك لماذا بقي العدو

بقوة فيلق وانتظر عبوره الى الأرض الايطالية بـكامله وأفسح المجال للمدافعين لاكتساب الوقت للتقوية وتعزيز انفسهم بينما كان يتيسر لديه كل الوسائـل الضرورية لاحباط ومنع الاخلاء .

وبصورة عامة تم كل شيء بصورة افضل مما كان يتوقعه كل فرد . وقد قدمت للايطاليين مساعدات كبيرة في سبيل عدم معاملة حلفائهم بالامس كاعداء اليوم ، ولم تحدث خلال ايلول حوادث عدائية من جانبهم إلا نادراً .

ان انقاذ موسوليني من سجنه في غران ساسو Gran Sasso في ١٢ ايلول لم يكن له أي انطباع خاص على نفوس الايطاليين او على الجنود الالمان . ولكنه كان مفاجأة لي شخصياً لأني لم أعلم بالاستحضارات، وفي ذلك المساء كان المارشال كافاليرو الذي القى القبض عليه في ذلك الوقت ، ضيف الفيلد مارشال كسرلنغ على الغداء . وكان لا يبدو بشوشاً منشرحاً ، ولم يكن خائراً متضايقاً ، وكم أخذتنا الدهشة عندما سمعنا في الصباح بأنه انتحر في فندقه . وقد أسفنا أشد الأسف لموتـه ، لأنه لم يدخر وسعاً في مساعدة الالمان وهو رئيس اركان القوات المسلحة . ولم نتمكن في البداية من معرفة سبب اتخاذ قراره هذا بعد اطلاق سراحه ، ولكنه يبدو أنه خشي ان يكون مصير سيانو ينتظره ايضاً . اما تهمة ان الجنود الالمان قد قتلوه فكذبة لا أساس لها من الصحة .

أضواء على ادارة القتال

اراد هتلر في البداية ان يبقي القوات في شمال ايطاليا فقط بعد تخلي ايطاليا عن الحرب ، وان يدمـج رومل قوات كسرلنغ في جحفل جيشه في منطقة الآبينين ، ويستعد للقتال في هذه الجبال . ثم ينقل كسرلنغ مع هيئة ركنه الى ميدان حرب آخر ــ ربما للنروج ــ وكان كسرلنغ ، حسب الاشاعات، متساهلاً جداً مع الايطاليين . ولكن الكارثة المتوقعة لم تتحقق . ولذلـك صار هتلر يميل

الى فكرة عدم التخلي عن روما طوعاً وانما الدفاع جنوب مدينة روما أطول مدة ممكنة . وابتدأت أسهم كسرلنغ العسكرية بالارتفاع مرة أخرى ، واستشاره هتلر وأخذ رأيه ، ووعد كسرلنغ بأن يوقف العدو عند حده لمدة طويلة على خط يقع جنوب المدينة الخالدة. حيث تكون شبه الجزيرة على أضيقها. وأخذ رأي رومل أيضاً ، وكان يرى رومل أن امكانيات العدو البحرية تجعل اتخاذ خط دفاعي بعيد جداً في الجنوب يكون محفوفاً بخطر جسيم ، اذ ربما يعمد العدو الى انزال على الساحل شمال هذا الخط وبذلك يقع جميع جحفل الجيش في الفخ ، ولم يرغب في الاجابة عن هذا الخطر . ولكنه مع ذلك بيّن أن بالامكان اشغال الخط جنوب روما بنصف عدد القطعات الضرورية لاشغاله في الأبينين . وقد تردد هتلر مدة طويلة . فهل يندفع نحو الخطر أم لا ؟ واذا كان كذلك ، فان موقف رومل السلبي سيجعله نفسياً غير لائق للقيادة . ثم إنه من الناحية الثانية كان قد عينه قبلاً القائد العام الوحيد في ايطاليا . وفي منتصف تشرين الثاني أمر رومل أن يستلم قيادة قوات كسرلنغ اضافة الى قواته، ولكنه سرعان ما غير رأيه حيث كان خط التلفون لا يزال مفتوحاً.وأمر الفيلد مارشال كسرلنغ أن يستلم القيادة العليا لميدان الحرب الايطالي بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣ . وهنا أدخل التسمية الجديدة وهي « القائد العام في الجنوب الغربي » (القيادة العليا لجحفل الجيش س) لاجتناب الالتباس مع جحفل جيش الجنوب الذي كان في الجهة الشرقية .

وقد انتهت الآن قضية الازدواج التي اربكت القيادة الالمانية مدة طويلة في ايطاليا ، وكان لا يهم من هو القائد ؛ وأخيراً أصبح الآن قائد واحد تحت تصرفه جميع القوات . ولا ريب ان هذا القائد أصبح بامكانه ادارة معركة سالرنو بصورة تختلف كل الاختلاف عن ادارة كسرلنغ للمعركة بقواته فقط . وعند الضرورة ، يمكن اعفاء الفرقتين الآليتين الموجودتين في ايطاليا العليا قرب مانتوا Mantua من واجب تجريد القطعات الايطالية من السلاح. واذا تحركت

هذه القطعات الممتازة نحو الجبهة يوم ٩ أيلول - الآليات على الطريق، والأعتدة في القطار - فانها ستصل على أي احتمال وتقذف زخمها في المعركة التي تبلغ ذروتها وخطورتها يوم ٣ أيلول ، والحركة الى الجنوب قلما يعرقلها هجوم جوي قبل الوصول الى منطقة روما ، لان جميع القوة الجوية المعادية مشتركة في سماء سالرنو . وقد رفضت القيادة العليا للقوات المسلحة طلب القائد العام للجنوب تنفيذ هذا الأمر ، على كل ، صرح يودل ذاته ، بان رفض طلب كسرلنغ الفوري كان خطأ خطيراً . ذهب رومل لتفتيش الاستحضارات التي اعدت لاحباط الغزو وأخيراً استسلام قيادة جميع القطعات هناك .

لقد مضى على القطعات الالمانية عام كامل وهي مشغولة من تراجع الى آخر. وكان اول تراجع له بدأ في العلمين في الأيام الأولى من تشرين الثاني ١٩٤٢ ، ولم ينته في رأس بون في الناحية الشمالية الشرقية من تونس . وفي الأخير لم يكن القتال في صقلية وجنوب ايطاليا اكثر من اشتباكات متسلسلة للمؤخرة ، وكان في كل مرة يجري اعداد مواضع الدفاع ، ولكن المقاومة في كل وقت كانت تطول او تقصر تكون النتيجة الانسحاب الى موضع جديد، وكان ذلك ضرورياً لاجتناب خطر احاطتنا او لأن قواتنا كانت غير كافية لمسك الجبهة بقوة وصلابة . وكانت آخر معركة في غير صالحنا هي في سالرنو ، ولم تكن المعركة في نابولي خيراً منها . حيث كانت الظروف المعاكسة كثيرة جداً ، ولكن كان من الأمور الحيوية بالنسبة لنا الآن ان نحتل خطاً دفاعياً على امتداد ايطاليا من وسطها وفي أضيق جزء من شبه الجزيرة جنوب روما وكانت الفرق لا تزال تقاتل قتال المؤخرة في الجنوب لاكتساب الوقت ، وقد شيدت نقاط قوية على امتداد خط يبدأ من قلعة غايتا البحرية القديمة ، وتستمر من امام الدير الشهير مونت كاسينو ، ثم على امتداد قسم من نهر سانكرو حتى تصل الى ساحل البحر الادرياتيكي جنوب لانسيانو . وكان يجب الاحتفاظ بهذا الخط طيلة الشتاء على الاقل وقد أخبرت القطعات بأن وقت قتال السّوق قد انتهى ،

هذه القطعات الممتازة نحو الجبهة يوم ٩ أيلول - الآليات على الطريق، والأعتدة في القطار - فانها ستصل على أي احتمال وتقذف زخمها في المعركة التي تبلغ ذروتها وخطورتها يوم ٣ أيلول ، والحركة الى الجنوب قلما يعرقلها هجوم جوي قبل الوصول الى منطقة روما ، لان جميع القوة الجوية المعادية مشتركة في سماء سالرنو . وقد رفضت القيادة العليا للقوات المسلحة طلب القائد العام للجنوب تنفيذ هذا الأمر ، على كل ، صرح يودل ذاته ، بان رفض طلب كسرلنغ الفوري كان خطأ خطيراً . ذهب رومل لتفتيش الاستحضارات التي اعدت لاحباط الغزو وأخيراً استسلام قيادة جميع القطعات هناك .

لقد مضى على القطعات الالمانية عام كامل وهي مشغولة من تراجع الى آخر. وكان اول تراجع له بدأ في العلمين في الأيام الأولى من تشرين الثاني ١٩٤٢ ، ولم ينته في رأس بون في الناحية الشمالية الشرقية من تونس . وفي الأخير لم يكن القتال في صقلية وجنوب ايطاليا اكثر من اشتباكات متسلسلة للمؤخرة ، وكان في كل مرة يجري اعداد مواضع الدفاع ، ولكن المقاومة في كل وقت كانت تطول او تقصر تكون النتيجة الانسحاب الى موضع جديد، وكان ذلك ضرورياً لاجتناب خطر احاطتنا او لأن قواتنا كانت غير كافيـة لمسك الجبهة بقوة وصلابة . وكانت آخر معركة في غير صالحنا هي في سالرنو ، ولم تكن المعركة في نابولي خيراً منها . حيث كانت الظروف المعاكسة كثيرة جداً ، ولكن كان من الأمور الحيوية بالنسبة لنا الآن ان نحتل خطاً دفاعياً على امتداد ايطاليا من وسطها وفي أضيق جزء من شبه الجزيرة جنوب روما وكانت الفرق لا تزال تقاتل قتال المؤخرة في الجنوب لاكتساب الوقت ، وقد شيدت نقاط قوية على امتداد خط يبدأ من قلعة غايتا البحرية القديمـة ، وتستمر من امـام الدير الشهير مونت كاسينو ، ثم على امتداد قسم من نهر سانكرو حتى تصل الى ساحل البحر الادرياتيـكي جنوب لانسيانو . وكان يجب الاحتفاظ بهـذا الخط طيلة الشتاء على الاقل وقد أخبرت القطعات بأن وقت قتال السوق قد انتهى،

وحان الآن وقت الدفاع المستميت ، ولكن هل يجدي هذا الحض والتحذير بعد ذلك التراجع الذي بلغ ما يقرب من ثلاثة آلاف ميل؟وكان لا يعلم احد بذلك ولكن الذي حدث كان يدعو للعجب اذ كيف استطاع الجندي الالماني بهذه السرعة ان يتبدل وينصاع لهذا النداء الجديد. وبعد كل ذلك كان الدفاع يتطلب من جميع الصنوف علاوة على الحالة النفسية الخاصة المشاة والمدفعية، والدبابات والهندسة الخ حالة حربية تختلف كل الاختلاف ، ويعود الفضل والشكر لتلك الروحية التي أظهرتها القطعات بحيث بقي خط الدفاع جنوب روما في أيدي الألمان حتى نهاية مايس ١٩٤٤ .

وأهم ما حدث في هذا القتال ، الذي كافح فيه الطرفان كفاحاً مريراً وزج فيه كلاهما كل ما لديه من موارد ، ثلاث معارك حول كاسينو ، والتي كان خلالها الدير ذا الشهرة العالمية هدفاً لغارات الحلفاء الجوية وكان الفيلد مارشال كسرلنغ قد أنقذ الكنوز الفنية ورفعها من محلها ووضعها بكل عناية في الفاتيكان قبل القتال . وقد صرح ، اضافة لذلك ، بأن الدير بيت الله ولا يعود لأحد وأحاطه بنطاق من الانضباط لئلا يدخل فيه جندي ألماني لأي غرض كان . ولا بد ان يكون الحلفاء يجهلون ان الدير وما يحيط به كان خالياً من كل الاجراءات الدفاعية بالرغم من ارسال الرسالة بواسطة الفاتيكان ، ولو كانوا يعلمون لما أمروا بتدمير مثل هذا الأثر الذي لا يعوض[1] .

كانت الأيام التي تلت الانزال في انزيو – نتونو أياماً عصيبة لم تواجه القيادة الألمانية مثلها في السابق .

---

١ – اثبتت مطبوعات الحلفاء الحديثة بشهادة قساوسة كاسينو بأن الالمان بذلوا جهدهم في جعل الدير خارج نطاق القتال ، ولم يشغلوا المواضع في المرتفعات الا بعد القصف الجوي ، وتنسب مسؤولية القصف الى النيوزيلنديين ، الجنرال فرايبرغ .



رأس الجسر في نتونو

كانت منتشرة على رأس الجسر ٦ فرق من الحلفاء و٥ من الالمان ومن رأس الجسر حتى روما مسافة ٢٥ كيلومتراً والى الجبهة الجنوبية ٧٥ كيلومتراً

كان كسرلنغ يتوقع منذ مدة طويلة شن حركات برمائية أخرى . وكان يظن أن هذه ستكون من الميناء في نابولي ، الذي أعيد تصليحه بسرعة وأصبح صالحاً للاستعمال بالرغم من أن الألمان نسفوه ودمروه قبل أن يرحلوا عنه، وكانت طائراتنا نادراً ما تتمكن من التحليق فوق العدو، ولذلك كان من الصعب معرفة عدد البواخر في الميناء بصورة دقيقة ومفصلة ، وكان يتعذر عليها القيام بالمراقبة المستمرة . ولكن مع ذلك ، أدركنا في بداية كانون الثاني أن نابولي كانت تضم ٣٥٠٫٠٠٠ طن من البواخر – وهو رقم زهيد لا يعتمد عليه .

وعندما زار رئيس الاستخبارات الألمانية ، الأدميرال كاناريس Canaris ، جحفل الجيش في ٢١ كانون الثاني ، استوضحنا رأيه عن اغراض العدو البرمائية. وأردنا معرفة عدد حاملات الطائرات ومواقعها ، وعن البوارج ، وعن قوارب الانزال . الا أن كاناريس لم يتمكن من اعطاء الأرقام بصورة مفصلة ، ولكنه كان يعتقد جازماً بأنه لن يجري انزال في المستقبل القريب . وكان هذا هو رأيه الصريح الواضح . وهو يثبت بأن العدو لم يشل استطلاعنا الجوي فحسب وانما حتى استخباراتنا أيضاً . لقد انزل العدو في انزيو ونتونو بعد بضع ساعات من مغادرة كاناريس .

كان جحفل الجيش يعتبر ان منطقة روما هي الهدف الظاهر من الانزال دائماً ولذلك كان يحاول الاحتفاظ بفرقتين آليتين جاهزتين في المنطقة دائماً . وأخيراً كان يريد أن ينفذ هذه الفكرة ، ولكنه أصبح بعد مدة طويلة لا تتيسر لديه سوى فرقة واحدة في هذا القاطع الخطير. ولذلك سحبت فرقتان مدرعتان كراناديو من جبهة الجيش العاشر ، بالرغم من احتجاجه ، ووصلت الفرقة الاولى روما كاملة وقسم من الفرقة الثانية لما في ذلك الوقت وجد الجيش العاشر نفسه في مواقف صعبة وخطيرة . حيث كان يواجه هجوماً عليه منذ ١٢ كانون الثاني من قبل القطعات الفرنسية ، ثم الاميركية ، وأخيراً البريطانية ،

وقد انزلت هذه القطعات الآن وراء الجناح الأيمن . وأخبر الجيش العاشر ان جبهته أصبحت في خطر ولا يمكن الصمــود الا بتقديم ثمن باهظ ، ولا تتيسر احتياطات ، وانه باشد الحاجة الى الفرقتين اللتين سحبتا منه ، ويجب اعـادتها ولو بصورة موقتة لاستخدامها في هجـوم مقابل ووعد باحراز نجاح ساحق . وكان طلب النجدة يزداد اصراراً وتأكيداً . وأخـــيراً أذعن كسرلنغ في ١٨ كانون الثاني ، وكان اذعانه غلطة واضحة ، لان الهجوم والانزال في جبهة الجيش العاشر لم يكن سوى مناورة لصرف النظر ، ووضعت لتثبيت وربط قواتنا ، واذا امكن جعل الدفاعات عن روما خاوية مجردة من قواتهـــا . وقد نجحت خطة العدو نجاحاً تاماً . وقد حدث الآن الشيء الذي كان يجب ان نتحاشاه مهما كان الثمن . وهو انه لم يتيسر لدينا من القطعات في ساعـة الانزال جنوب روما للدفاع الاول سوى فوجين فقط ، عدا بعض البطريات الساحلية ، وهذا كل ما كان لدينا ! ولم يكن لدينا احتياط مطلقاً لمقاومة العدو في ذلك اليوم . وكان الطريق الى روما مفتوحاً ، وكان بامــكان اي رتل سريع جريء ان يخترق مواضعنا ويصل الى المدينة . وقد استمر هذا الموقف المريـــح لمدة يومين بعد الانزال،قبل ان تتخذ اي اجراءات المانية مقابلة. وماذا كانت تلك الاجراءات؟ كان جحفل الجيش قد انشأ في كانون الاول ١٩٤٣ منظومة انذار واسعة تشتمل جميع ايطاليا . موضحا فيها جميع محلات الانزال الممكنة ، ومـا هي الوحدات التي يجب ارسالها – مثلاً : الاركان ، القطعات ، الارتال ، الخ . وما هي الطرق والأوقات التي تشرع فيها بالحركة ، والمحلات التي يجب ان يصلوا اليها ، ومن اين تتمون بالوقود ، الخ. وكل ذلك كان يتوقف على اذاعة الكلمة الرمزية «ريجارد». وحينئذ تبدأ الخطة بالتنفيذ ، وفي الحقيقة ، تكاد تكون جميع التشكيلات قد وصلت في اوقاتها المعينة بالرغم من ان طرق الابنين كانت مغطاة بالثلوج . وقد ساعدت القيادة العليا بارسال القطعات من فرنسا ، ويوغوسلافيا ، والمانيـــا ، وحتى الجيش العاشر قد وفى بعهده بالرغم من الجهد الذي كان يواجهه في القتال. وقد فعل ذلك ، طبعاً ، من اجل فائدتـــه الحيوية ، وهو التخلص من تهديـد

مواصلاته . والغريب ان العدو ظل واقفاً موقفاً سلبياً ، ويظهر انه كان مشغولاً جداً بواجب تعزيز وتقوية رأس الجسر . ولذلك كان من الممكن ان تبنى جبهة جديدة لمقاومته ، وقد استلم القيادة هنا الجنرال اوبرست فون ماكنسن von Mackensen مع اركان القيادة العليا للجيش الرابع عشر ، الذي كان في ايطاليا العليا سابقاً . لقد كان رأس الجسر كالشوكة في الجسم ، وكان يجب اقتلاعها باسرع ما يمكن ، لان القطعات من المانيا ومن الميادين الحربية الاخرى كانت معارة لوقت قصير ، ولذلك كانت السرعة ضرورية . وقد بذلت محاولات في نهاية كانون الثاني وبداية شباط بالقيام بهجمات محدودة لغرض تضييق شقة رأس الجسر وللحصول على نقاط قفز ملائمة في الهجوم الكبير ، ولكن جميعها لم تحقق النجاح المطلوب . ولا ينكر اننا استرجعنا أبريليا Aprilia ، ولكننا خسرناها ثانية وبسرعة . وقام العدو بعدة هجمات على نطاق ضيق وبهجوم واحد كبير ولكن لم يحرز نجاحاً مهماً وكبدته خسائر فادحة . وقد بقي الحال كذلك حتى وصلت آخر الامدادات من المانيا . وكانت تشتمل على دبابات ثقيلة ، وعلى مدفعية من اضخم العيارات ، وعدة بطريات تسحب على سكة الحديد ، وبعض القطعات التعليمية من جيش الاحتياط . وكانت القطعات المرسلة من خير وأجود ما في التشكيلات . وشاركت البحرية ايضاً بارسال « مقاتلين بحريين » لقيادة غواصات ذات شخص واحد ضد بواخر التموين . وقد سر هتلر كثيراً بهذه الاستحضارات ، ولكنه ارتكب الخطأ مرة اخرى باصدار التعليمات المفصلة للقيادة المحلية عن كيفية ادارة الهجوم .

كان يمكن اجراء الهجوم من احد الاتجاهين ؛ الاول من سيسترنا Cisterna باتجاه الجنوب الغربي ، او من خلال ابريليا Aprilia الى انزيو . وقد أمر مقر هتلر بالاتجاه الثاني ، اي انه الاتجاه الاقصر والذي يؤدي مباشرة الى البحر . ولم يكتفوا بذلك ، وانما عينوا عرض الجبهة . وكانت شقة ضيقة عرضها ستة كيلومترات فقط . لقد كنا منذ سنين ونحن ضعفاء جداً في جميع الجبهات بحيث

كان من المتعذر علينا تشكيل اكثر من « خط » . اما الآن فكان علينا ان نعمل « بالعمق » وبضغط ، ولهذا كانت جميع الاحوال تشير الى نصر ساحق . ولأن كان هتلر يعلق آمالاً على نجاح هذا الهجوم ، واذا تمكنا من القاء العدو في البحر الآن ، سيكون لذلك تأثير على خطط الغزو في الغرب . وكان هتلر يأمل من وراء ذلك ان العدو سيزيد من استحضاراته وسيكون غير قادر على شن حملة الغزو في فرنسا سنة ١٩٤٤ ، ومعنى هذا اكتساب للوقت وهو اقصى ما نطمع فيه .

ابتدأ الهجوم الذي كان يحمل بين طياته هذه النتيجة السارة يوم ١٨ شباط . ولكن الهجوم وجد عدواً متهيئاً جاهزاً ، ولذلك فشلت المباغتة التي كان ينتظر منها زيادة امل النجاح ، وبعد قتال شديد لمدة يومين لم نحصل الا على تقدم بطيء باهظ الثمن ، واخترقت القطعات الالمانية حدود العدو ووصلت على بعد اثني عشر كيلومتراً من الساحل ، وبعض القطعات الاخرى اندفعت لمسافات أبعد ، وقد تركت تقاتل بنفسها ، ويظهر انها دمرت في النهاية ، لعدم وصول اخبار منها. وقد قرر جحفل الجيش وقيادة الجيش بانهما لا يتحملان مسؤولية في تقديم خسائر كبيرة اخرى وأوقفا الهجوم . ومن الطبيعي انهما لو عرفا كيف تجري الامور في الجانب الآخر لاستمرا في ادامة زخم الهجوم ، ولكن الجهل بالاحوال وبمقاصد العدو من طبائع الحرب .

وقد علمنا الآن ان قيادة الحلفاء قد قررت في الحقيقة النزول في بواخرهم . ولكن الضغط الالماني تلاشى فجأة ولم يكن متوقعاً . وكان اول سؤال بعد الحرب يوجهه الجنرال الاميركي الذي كان قائداً في أنزيو الى كسرلنغ هو لماذا لم يستمر في الهجوم . وفي الحقيقة كانت القوات المتيسرة تكفي لارغام العدو على التراجع في حينه ، ولكن كانت هناك اسباب عديدة أدت الى ذلك الفشل ، منها لم يكن اتجاه الهجوم من الشمال الى الجنوب مباغتاً ، كانت كمية العتاد

المتيسره غير كافية لاسكات مدفعية العدو التي كانت نيرانها حامية وأشد منها بكثير . لم تتكمن التشكيلات المدرعة العديدة من الاشتغال بصورة مؤثرة . لأن الأرض كانت موحلة واجبرت على التمسك بالطرق والممرات ، وهكذا كانت تشكل اهدافاً جيدة لنيران العدو . كان تفوق الحلفاء الجوي مطلقاً ومستمراً ولم يكن بالامكان شل هذا التفوق ولو لبضع ساعات ، وكان يتعذر حتى طرد الطائرات التي تعين الاهداف لمدفعيتهم والتي كانت تحلق فوق الجبهة بصورة مستمرة . واخيراً ، كان تحشد القطعات بصورة غير ملائمة .

ولهذا فشل الهجوم الذي عقد عليه أعظم الآمال ، وهيأوا له الموارد الهائلة التي لم يعرفها الجانب الالماني قبلا منذ الاستيلاء على سواستبول . وبعد فشل المحاولة الثانية في سحق رأس الجسر ، التي جرت بتاريخ ٢٩ شباط باتجاه سسترنا ، ولم تنفذ هذه المحاولة بصورة كاملة وانما تركت ، واتخذنا موضعاً دفاعياً لأن قواتنا كانت غير كافية ؛ وكنا في موقف لا نستطيع الاستمرار في العمل على التعرض . وكان هذا الاعتراف نتيجة حتمية لكل من يبغي تقدير الموقف بصورة صحيحة ، وقد انطوت على نتائج بعيدة المدى، كان يجب اخبار القادة السياسيين والقادة العسكريين بالحالة الحقيقية للجبهة وما يجري فيها . وكان الجنود قد تحملوا كل الصعوبات والآلام التي تصاحب القتال في مستنقعات بونتين والحرب الشريرة حرب الافناء والابادة . وكل ذلك كان عبثاً ، اذ ما القيمة من التضحية اذا كان النصر او النجاح بعيد المنال ؟. وقد حتم الموقف في ميدان الحرب الايطالي انهاء الحرب باسرع ما يمكن .

وكان على جحفل الجيش ان يبين الحقيقة واضحة خالية من كل طلاء او تزويق وكتابة تقرير لا يعطي نتيجة . لأن هتلر لا يعيره اهتماماً ، وكانت الطريقة الوحيدة هي التحدث اليه شخصياً ، وعليه فقد أرسلت الى مقره في برغتس كادن . ولم يقدمني اليه يودل في البداية ، وفضل ان يتحدث هو اولاً معه ،

وكان ما اراد. ولكن هتلر انفجر غاضباً ساخطاً. وطلب هتلر ان يرى الشخص « الذي جاء ينتقص من قطعاته » ، وقد أمر لأول مرة ولآخر مرة في الحرب باستدعاء عشرين ضابطاً من جميع الصفوف والرتب من ايطاليا لاستجوابهم عن حقيقة الاحوال التي كانوا فيها اثناء القتال. وكان خيراً له أن يزور الجبهة ليقنع نفسه بما كانت عليه حالتنا السيئة من الناحية الجوية والمدفعية ، وقد قدمت تقريراً لهتلر عن اوبرسالزبرغ مساء يوم ٦ مارت ، استغرق اكثر من ثلاث ساعات موضحاً الأسباب التي أدت الى تعذر قذف العدو في البحر ، بالرغم من كل الامدادات . ان القطعات قد اصبحت بعد خمس سنوات من الحرب منهكة مرهقة بشكل يدعو للخوف والفزع . وسببت الخسائر الجسيمة تقييداً وتعطلاً لجميع القادة من مختلف الرتب . فمثلاً اصبح من النادر امكان تنسيق نار جميع الاسلحة . وكان هتلر يحاول تغيير الموضوع مرات عديدة ولكنني كنت قادراً على اعادته لنفس البحث ، وفي النهاية ، قال هتلر وهو منفعل ، بأنه يدرك جيداً كم كان السأم من الحرب عظيماً سواء كان الشعب او القوات المسلحة . وهو يحاول ان يجد لها حلا سريعاً . وعلى كل ، كان الحل باحراز نصر ، نصر بمقياس كبير في الجبهة الشرقية مثلاً ، ولكن ذلك كان متعذراً لعدم وجود القوة الكافية لدينا . ولهذا كان يأمل في النجاح الذي سيحققه هجوم نتونو في ايطاليا . وقد غادرت الغرفة وانا أشعر بأن هتلر قد تفهمني . وقد هنأني كايتل فيما بعد وقال لي: لقد كنت محظوظاً لأننا نحن المجانين القدماء لو تحدثنا نصف ما تحدثت لكان الفوهرر قد علقنا من رقابنا .

وقد بدا هتلر في ذلك المساء خائراً كئيباً . والظاهر انه تعمد ان يبدي عطفه واحساسه بالصعوبات التي كنا نواجهها في ايطاليا ليريح افكارنا . وبعد يومين استجوب الضباط الذين طلبهم من الجبهة . وكانوا جميعهم يؤيدون كل ما ذكرت له سابقاً، اما النتائج التي كنا ننتظرها فلم تتحقق .

مرت الأشهر الأربعة الأولى من عام ١٩٤٤ ، ولم يتمكن الحلفاء من اختراق

جبهة الالمانية في ايطاليا ، وان يكسبوا ارضاً مهمة ، ولكن كسرلنغ فقد الأمل في سحق رأس الجسر منذ مدة ، لأن الحلفاء جلبوا احتياطات كبيرة من الجنود ؛ حتى ان بعض فرقهم كانت لا تزال لم تشترك في اي قتال . وربما احتفظوا بها لاشراكها في المعركة الفاصلة . ويبدو ان العدو قرر اجراء هذه المعركة فيعام ١٩٤٤ ؛ وكان في تصريح تشرشل ما يشير اشارة قوية لهذا القرار، حيث قال ، علينا ان نتوقع هجوماً عاماً يهدف لسحق جحفل الجيش الالماني بصورة تامة ، وكان الالمان يعرفون قوة وشدة هذا الهجوم الرئيسي . وكانوا يتوقعون حدوثه كل يوم بعد بداية شهر مايس ، وكان السؤال الوحيد هو «أين»؟ لأن جحفل الجيش يكاد يكون كالأعمى في هذه الناحية . فلم يعد باستطاعة استطلاعنا الجوي اختراق سماء العدو اختراقاً عميقاً . وكانت التقارير من الوكلاء قليلة جداً ، ولم يقع أسرى في ايدينا الا نادراً ، وكانت المعلومات الوحيدة المفيدة التي نحصل عليها هي عن طريق استراق رسائل العدو اللاسلكية وحل رسائله الجفرة ، كانت فعالية العدو اللاسلكية وسابلته كبيرة جداً بحيث كانت الرسائل التي نسرقها يومياً باعداد كبيرة جداً ، وكان بعضها بلغة « واضحة » ، ولكن هذا النوع من الاستطلاع يكون عادة معرضاً للخطأ في تعيين المحل وفي التفسير والتأويل .

لقد استنتج كسرلنغ من وضع قواته ، وعدم اشتراك القوات البحرية الالمانية بصورة تامة ، وضعف السلاح الجوي الالماني ، ان العدو سيكون قادراً على القيام بالانزال في منطقة لا سبيزيا – لغورن La Spezia - Leghorn ولن تعترضه عوائق قبل او خلال الانزال . وسيكون بامكان الحلفاء ليس النزول على الأرض فحسب، وانما سد الطرق والممرات في الأبنين امام الفرق الالمانية ، التي معظمها يجب ان تنتقل سيراً على الأقدام . وستسد الطريق البالغ ٣٥٠ كيلومتراً الذي يفصل هذه القطعات عن منطقة الانزال . وستؤدي مثل هذه الحركة الى تقويض الجبهة في وسط ايطاليا وتوجه ضربة قاصمة لجحفل الجيش . وحتى اذا جرى

الانزال قريباً من الجبهة فانه سيجبر كلا الجيشين على التقهقر ، وذلك لعدم تيسر قوات كافية لصد هجوم جبهوي او احباط الانزال . خاصة وان الجو قد تحسن من الآن وصاعداً وسوف لا يعيق القوات الجوية المعادية ، وأصبح كقاعدة من المتعذر تنقل القطعات او القيام بالتموين نهاراً ، وأصبحت جميع التنقلات يجب اجراؤها في ساعات الظلام القليلة .

كان واجب جحفل الجيش الدفاع عن منطقة جنوب روما . ولذلك كان الالمان ينتظرون هجوم الحلفاء في المواضع الحالية . وقد تدعو الحاجة الى اجراء انسحاب واسع وربما سريع جداً اذا جرى انزال خلفنا او جرى الانزال خلال المعركة . اما الآراء الاساسية للقيادة العليا تجعل من المتعذر الحصول على موافقتهم على اجراء تراجع بمقياس واسع . اولاً ، لأنها ترى وجوب اعداد اعلى مستوى من التهيؤ للدفاع ، وكانت الاجراءات المتخذة في هذا الصدد هي تقوية النقاط القوية ، ثم زيادة كميات العتاد المخزونة ، وتقوية الجبهة بين الساحل وكاسينو ، وكانت هناك دلائل على تحشد العدو وتكوين احتياط سيار مؤلف من اربع فرق .

كانت هذه الاجراءات مستمرة جزئياً عندما شرع الحلفاء بهجومهم يوم ١١ مايس ١٩٤٤ ، ولم يقترن بالانزال المتوقع . وقد احرز هذا الهجوم نجاحاً باهراً .

لقد فقدنا روما يوم ٥ حزيران ، وكنا نحاول ادامة الجبهات في كاسينو وما يحيط برأس الشاطىء اطول مدة ممكنة ؛ واصبح الخط ضعيفاً ومعرضاً لخطر الانهيار التام . وقد بدا احياناً ان القطعات المنهكة ، والمهددة بأعمال الأنصار في المؤخرة ، يصعب عليها الاخذ بخطوة مغايرة . واخيراً وبعد قتال مرير باهظ حاولوا الوصول الى موضع الأبنين[1]

١ – يمتد موضع الأبنين من فياريغو الى ريميني .

ودافعوا هناك . وبقي جحفل الجيش كذلك حتى قام الحلفاء بالهجوم الكبير في ربيع ١٩٤٥ واحيط بحركة الكماشة ، ولكنه سحب عدة فرق للحلفاء من هذه الجبهة لتشترك في الانزال جنوب فرنسا مما ساعد على تخفيف موقف الالمان المتدهور الخطر .

قيادة الالمان والحلفاء

تتوقف ادارة كل ميدان حرب على كثير من العوامل ، وسأتناول العوامل الضرورية العسكرية المحضة . وتشتمل هذه على عدد القوات المتيسرة ونوعها ، وعلى الاسناد المتبادل بين الصنوف الثلاثة للقوات المسلحة ، وعلى كميات التموين (تأسيس المنظومات الدورية لايصالها الى القطعات) ، ثم على قدرة وقابلية القادة. أي انهم يجب ان يكونوا ذوي قدرة حقيقية على تفهم جميع هذه الأمور وتقديرها حق قدرها . وان يحسبوا حساباً صحيحاً للزمان والمكان وان يجمعوا بين الجرأة والحذر جمعاً صحيحاً موفقاً .

وسنبحث الآن عن السوق الالماني في ايطاليا : كانت القوات الالمانية تكاد تكون جميعها مدربة على القتال وخوض المعارك ، وكانت تلك القوات من النوع الجيد او الجيد جداً ؛ وكان عددها بصورة عامة كافياً وملائماً للواجب الدفاعي المنوط بها . اما السلاح الجوي فكان من الناحية الأخرى ضعيفاً وهزم حتى انه لم يعد يظهر في السماء مطلقاً ، وتعذر عليه تقديم أي مساعدة عدا ما كانت تقدمه المدفعية المضادة للطائرات .

كانت القوات البحرية المتوسطة او الثقيلة لا وجود لها مطلقاً . وكان عدد الغواصات ، وقوارب الاخلاء ، والزوارق الاخرى قليلة نسبياً ، ولذلك تحملت القوات الأرضية عبء الحرب ، ولو ان هذه القوات جهزت تجهيزاً كافياً بالعتاد لاسلحتها الممتازة ، وبعض الحاجيات الأخرى ، لكان احتمالها لتلك الحرب

افضل وأقدر . بينما كانت الارزاق والمعالجة الطبية جيدة ، غير ان العتاد كان قليلاً دائماً ، وقلما تمكنا من الرمي اكثر من ٥/١ او ١٠/١ معدل نار العدو ولم تكن طبعاً كمية البترول كافية ، او الادوات الاحتياطية والملابس ايضاً ، وكانت حتى تلك الكميات القليلة من التجهيزات التي ترسل لا تصل الى الجبهة بصورة منتظمة ، لأن القوات الجوية المعادية كانت تهاجم السكك الحديدية نهاراً وليلاً . وكلما سمح الجو لها بذلك . ولذلك كان يتعذر معرفة كم من الوقت سيستغرق نقل المواد التي وصلت الى ايطاليا الى أيـدي القطعات في خط الجبهة .

واهم المشاكل التي كانت تجابهها القيادة الالمانية في ايطاليا هي مشاكل التموين بعد ان اصبحنا ضعفاء في الجو .

وكنا نصرف ساعات في كل يوم للتحري عن وسائل جديدة لتذليل الصعوبات الجديدة . وكان الارتجال هو القوت اليومي للقيادة الالمانية في هـذا الميدان وكما هو الحال في الميادين الاخرى . وهذه الحالة هي ميزة « حرب الرجـل الفقير » التي واجهتها القيادة وأجبرت على ادارتها .

لقد تدهور الموقف الحربي العام خلال عام ١٩٤٣ وساء اكثر وأصبح أشد خطراً في عام ١٩٤٤ ، فقد كانت الخسائر فادحة وفقدنا كثيراً من المصادر للمواد الاولية في الشرق ، وقد صاحب ذلك تأثير متزايد للحرب الجوية ، وهذا مما زاد في صعوبة امداد القطعات بالجنود وفي تجهيز الأسلحة ، والعتاد ، والوقود . وكان بالامكان ادامة التجهيز لجحفل الجيش في ايطاليا بصورة جيدة حتى اوائل عام ١٩٤٤ ، وكان كذلك حتى بعد البداية في غزو فرنسا . ولكن القيادة العليا ألفت ان الصعوبة تزداد في تأمـين حتى أبسط الاحتياطات للميدان الايطالي . وبعد ان اصبحت هذه الجبهة ذات أهمية ثانوية بالنسبة للجبهة الغربية

اضحت الضرورة تقضي بسحب عدة فرق ممتازة من كسرلنغ ، والقليل تموينه ، ولكن واجبه ظل جسيماً كالسابق .

لقد منح هتلر القادة في ايطاليا في البداية ، حرية محدودة في العمل ، ولكن بعد الانزال في نتونو ، صار يتدخل بصورة فعلية اكثر فأكثر ، وأصبح القادة من الآن وصاعداً تحت رعايته ، ويزعجهم بأمور تافهة وبصورة مستمرة .

لقد أشغل هتلر نفسه الآن بأمور وتفاصيل لا مصير لها . وأصبح يعطي الأجوبة عن جميع أنواع الأسئلة التي لا يمكن تقديرها تقديراً صحيحاً او اعطاء القرار الصائب عليها الا في حينه أو ممن هو حاضر عند القضية .

والحقيقة ان كسرلنغ كان موضع رعاية هتلر مرة ثانية ـ خاصة وانه تمكن بعد استسلام ايطاليا من قيادته القطعات الالمانية جنوب الأبنين وعدم تعرضها للتدمير الكامل ، حيث كان كسرلنغ يمتاز ببراعة نادرة تمكنه من شق طريقه بحذق ومهارة . وكان له تأثير نفسي كبير : لأن كسرلنغ كان يرتدي بدلة السلاح الجوي ، ولذلك لم «يتحامل» عليه هتلر كما كان يتحامل على قادة الجيش ، وهذا مما سهل عليه واجبه . الا أن غورنغ كان يغتنم كل فرصة لقدحه وذمه .

ومما أثر ، كذلك ، على ثبات وحزم قادة الجيش المحليين في ايطاليا وتدخل القيادة العليا للقوات المسلحة في ادارة الشؤون اليومية ، وحذر وريبة هتلر من أن شيئاً ما كان مخفياً عنه ، أو أن أمراً من أوامره لم ينفذ ، أو أن فرصة مناسبة لم تغتنم ولم يستفد منها . وهذه الأمور هي التي تؤكد على أن القيادة الألمانية في ميدان الحرب الايطالي كانت مكبلة ومعطلة أحياناً . وكان الطلب المستمر في جعل الأمر المستحيل ممكناً يعتبر في حد ذاته عاملاً معرقلاً ومعطلاً للعمل ، بالاضافة الى التدخل اليومي المتزايد ، والاستمرار في زيادة الحد من الحرية الشخصية

في العمل مما كانت أحياناً تصبح فوق الطاقة والتحمل. وبعد كل ذلك من يستطيع أن لا يتأثر بمثل هذا العبء الثقيل ؟ وبالرغم من كل ذلك ، كان جحفل الجيش يكافح باستمرار ويثبت بأنه كان غير هياب أو وجل في العمل . وفي الحقيقة، ان قبوله الخطر الذي حاق به من جناحه البحري الطويل ، انما يبرهن على أنه فاق الجرأة الحكيمة . لقد كان الجحفل يدرك بأن الانزال السوقي الالتفافي معناه النهاية، ولكنه كان يرى الشيء المهم في نظره هو جعل القواعد الجوية للعدو أبعد ما تكون عن سماء جنوب المانيا . وفي الحقيقة لم يقدم العدو على محاولة الهبوط خلف الألمان .

اما في افريقيا فلم يقع عبء المعركة الرئيسي على كاهل الجيش حتى خريف ١٩٤٢ ، بينما تحمل الجيش شدة القتال في ايطاليا منذ البداية . وكان الذي يحيي الأمل هنا وعود القيادة العليا للسلاح الجوي ومصممي الطائرات، امثال البروفسور تانك الذي يزور جحفل الجيش كثيراً ، وادعى ان المقاتلات الحديثة ستشترك في القتال باعداد كبيرة في اوائل صيف ١٩٤٤ على ابعد تقدير ولكن هذا الادعاء لم يتحقق .

ان الانجازات العظيمة العديدة لمختلف وحدات الجيش ، كالفرقة المظلية الأولى وغيرها، هي التي جعلت بالامكان قيام الجيش بمهمته أكثر من عشرين شهراً، بالرغم من كل هذه الصعوبات المضاعفة ، وكانت هذه المهمة هي الاحتفاظ بجنوب ايطاليا بعد استسلام ايطاليا ، وأن يبعد الحرب عن ارض الوطن . وقد كان روتا مصيباً عندما قال لي في آب ١٩٤٣ : تستطيع القيادة العليا الألمانية أن ترسل ما تريد من الفرق الى ايطاليا ، ولكن السلاح الجوي اذا لم يقو ويرسل المزيد منه فليس باستطاعة الفرق وان أصبحت مائة فرقة الاحتفاظ بمواضعها

لم يعترف هتلر مطلقاً بإنجازات القوات الأرضية في ايطاليا[1] ولم يظهر عدم

---

١ - خسرت القوات المسلحة وسلاح SS ١١٠٠٠٠ جندي في ايطاليا .

ارتياحه علناً من أمراء القطعات كما فعل وبصورة قاسية في الجبهة الشرقية ، الا من أجل كسرلنغ .

ما هي ظروف خصومنا ؟

كانت اغلب القطعات البريطانية قد اكتسبت تجربة واسعة في القتـــال في افريقيا ، اما القطعات الأميريكية فكانت رديئة في هذه النـاحية في البداية . ولكنها سرعان ما تحسنت وتقدمت وتغلبت على النـاحية الضعيفة . وكان وضع القطعات الفرنسية والبولاندية لا يختلف كثيراً بل مشابهاً تماماً . كانت قدرة فرق الحلفاء متوسطة ، ولو ان بعضها كان جيداً ، وبعضها الآخر أقل شهرة ، وكانت أسلحتهم ومعداتهم بصورة عامة ممتازة ، وكانوا مجهزين بالدبابات بصورة واسعة وكبيرة أكثر من الألمان وكانت قوتهم العددية تكفل لهم تبديل القطعات واراحتها بصورة منتظمة ، والى تكوين احتياط سوقي ، ونظام للتموين ممتـــاز لا يفوقه نظام . كان التجهيز والتموين مستمراً ولا ينضب معينه . وكان نقل المواد سهلاً يسيراً وذلك لأن الطرق البحرية سليمة قلما يصيبها تعطيل او ارتباك .

كانت القوتان البحرية والجوية تتفوقان تفوقاً تاماً . وكان التعاون بين الصنوف المختلفة للقوات المسلحة مثالياً . وكثيراً ما لاحظنا ذلك بين الدبابات والمدفعيـة والطـائرات .

بينما كان القائد العام لجحفل الجيش في الجانب الألماني هو الوحيد الذي يتمكن من طلب الاسناد من السلاح الجوي او البحري ، وكانت سلسلة القيادة عند الحلفاء أكثر وضوحاً وتحديداً . فمثلا كان الفيلد مارشال اللورد الكسندر قـائداً أعلى للبحر الأبيض المتوسط بصورة حقيقية ومخولا بكل السلطـات الضرورية ، ولم يكن صورياً كالفلد مارشال كسرلنغ كقائد أعلى في الجنوب الغربي ، ولم يكن منقاداً دائماً . فبعد ان يستلم مهمته ، يرفع نواياه ومقاصده للموافقة ، وبعد الحصول عليها ، يصبح حراً في اتخاذ مايراه مناسباً ، دون ان يتدخل أحد في تفاصيل عمله .

يتضح من هذا ان جميع متطلبات النصر السريع كانت متوفرة في جانب الحلفاء. واذا كان قهر خصومهم الألمان قد استغرق وقتاً طويلاً، فيعود ذلك في نظر الألمان، الى أن الحلفاء كانوا يتبعون الطرق الأسلوبية التي أشرنا اليها كثيراً في افريقيا، وفي رأينا أنهم كانوا يعطون أهمية أكثر من اللازم الى «السلامة أولاً»، ولا يعني ذلك أنهم كانوا يحاولون تقديم أقل ما يمكن من الضحايا. ولذلك فانهم يستحقون كل تقدير واجلال في هذه الناحية. ولكن لو أن الحلفاء قد أنزلوا قرب روما بدلاً من سالرنو لكانت خسائرهم في النهاية أقل في أيلول ١٩٤٣، ولو أنهم أنزلوا قرب ليغـــورن بدلاً من أنزيو، في كانون الثاني ١٩٤٤، أو أنهم على الأقل قاموا بهذا الخطأ في مايس ١٩٤٤. وقد أدى حذرهم الزائد في ادارة القتال أن يخسروا فرصاً كثيرة أيضاً، ومن هذه الفرص عدم استمرار مونتغومري في اندفاعه بعد نجاح الاختراق الذي حققه على نهرسانغرو. وقد تم انتصار الحلفاء في النهاية بهجوم جبهوي، بعد أن شقوا طريقهم من منتهى جنوب ايطاليا الى شمالها. ومن ينكر قدرتهم على احتلال جميع وسط وجنوب ايطاليا في أوائل خريف عام ١٩٤٣ بحركة احاطة سوقية على نطاق واسع؟ إنه من الصعب مناقشة الحقيقة وهي أن الانزال قرب ليغورن في أوائل عام ١٩٤٤ لأجل عزل جحفل جيش كسرلنغ وابادته بكل تأكيد. وفي الحقيقة لم يكن هناك شيء في وادي البو يمكن تسميته بـ «القطعات» ولأصبحت جميع شبه جزيرة الأبنين في قبضة الحلفاء في صيف عام ١٩٤٤. لقد كانت نقاط ضعف الألمان واضحة كل الوضوح للحلفـاء. وكانوا يدركون أيضاً بأن السلاح الجوي «اللوفت ڤافه» قد هزم من الميدان، ومدى الصعوبات التي نجابهـــا في تموين القطعات، ويعلمون بمدى نقص احتياطاتنا.

ان رغبتهم بتحمل أقل مـا يمكن من الخطر كان سبباً في عدم الاستفادة من الفرص في الحصول على نتيجة مبكرة. لقد كانت القيمة السوقيـة للبحر الابيض المتوسط أقل شأناً في حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ مما كان في الحرب العالمية الثانية،

لسبب بسيط هو ان ايطاليا كانت الى جانب الشعوب التي لها اعظم المصالح في المنطقة ، بينما الآن كانت ايطاليا وبريطانيا خصمين مختلفين ، وكان كل من انكلترة « وقوى المحور » تتصارعان للسيادة على منطقة البحر الابيض المتوسط. وقد انتظرت انكلترة بمساعدة الولايات المتحدة الاميركية في هذا الصراع وفتحت الطريق البحري القصير من مضيق جبل طارق الى السويس ، وبعد ازاحة المواضع الساترة في افريقيا ، اصبح الجناح الجنوبي « للقلعة الالمانية » معرضاً . وصار من الممكن الهجوم على ما « تحت البطن » الضعيفة اللينة من اوربا ، كما دعاها تشرشل .

ان الحرب الجوية التي ابتدأت من صيف عام ١٩٤٣ والمواجهة على الاهداف في جنوب المانيا وجنوب شرق اوربا من قواعد البحر الابيض المتوسط ، كانت بصورة عامة ذات تأثير مباشر على مجرى الحرب .

اما الحرب الارضية فكانت غايتها في تقييد القوات وتثبيتها ، ولذلك كان تأثيرها المباشر اقل وأدنى .

وقد سببت بقاء اربعين فرقة المانية موزعة في ايطاليا ويوغوسلافيا ، واليونان . اي ١/٥ القوات الارضية الالمانية ، وكان لكلا التأثيرين فضل كبير على النتيجة النهائية .

ولو ان الحرب في البحر الابيض المتوسط كانت في البداية تعتبر كعرض جانبي ، ولكنها تطورت بمضي الزمن واصبحت تعرف باحد ميادين الحرب الرئيسية .

لقد كانت تجربة الحلفاء العسكرية في البحر الابيض المتوسط كبيرة غنية في

الحرب العالمية الثانية ، خاصة فيما يتعلق بالحرب البرمائية ، وكانت تلك التجربة اساساً لخطة وتنفيذ الغزو الاكبر في عام ١٩٤٤ ، والتي سيكون لهـا الأهميـة الأبدية في كثير من النواحي . وكذلك كان لها الفضل في تطور القوات المسلحة بأكملها ، والقاعدة العامة في وضع خطط الحرب البحرية والجوية بصورة مستقلة مما افسح المجال للتعاون الوثيق . ومن الآن فصاعداً اصبح البحر طريقـاً كغيره من الطرق خاضعاً للذي يسوده .

كسرلنغ والايطاليون

كان هتلر وغورنغ يتهمان الفيلد مارشال كسرلنغ بميوله نحـو الايطاليين ، ويصمانه بالضعف الشديد والرغبة في ارضائهم ، ولكنهما كانا غير محقين في ذلك . وكان هذا هو السبب الرئيسي في نية اقصائه عن ميدان الحرب الايطالي .

كان الصدق وكرم النفس ابرز صفات هذا القائد ولم تتجل هاتان الصفتان في حقيقة انه كان يصرف كل ما يرده على مرؤوسيه فحسب بل الذي كان يبغيه من وراء ذلك هو لعل هؤلاء يفرحون عوائلهم في المانيا او على الزملاء الايطاليين المحتاجين ، ولكن ميله الى الشعب الايطالي خلال موقف ١٩٤٣ – ٤٤ لم يدركه الجانب الالماني واساء فهمه . كان كسرلنغ يصدق الايطاليين في جميع ادعاءاتهم المتعلقة بالاخلاص والأمانة ، وكان يتناسى جميع الشكوك التي قد يتخلى عنها الايطاليون .

وعندما تم استسلامهم في النهاية ، أصابته خيبة أمل مرة ، ولكنها لم تصرفه عن رأيه وشعوره . وكان في كل مرة حتى بعد نهاية الحرب يؤكد بأن قلبه قد تعلق بحب الشعب الايطالي ، وكان أساس هذا الميل والشعور واجراءاته التي اتخذها هو لحماية الكنوز الفنية العظيمة من قنابـل الطائرات ونيران المدفعية ،

ولذلك اعلن ان روما ، وفلورنسا ، وجيتي ، أسيسي ، سينا ، بولونيا ، وجنوا والبندقية كلها مدناً مفتوحة ، وجعلته ايضاً يهتم اهتماماً خاصاً بتجهيز الطعام والمواد الطبية الى السكان المدنيين . وذهب ابعد من ذلك حين سحب من الجيوش عدداً كبيراً من عجلاتها وارسلها لجلب الدقيق من شمال ايطاليا في سبيل عدم حصول مجاعة في روما . بينا كانت الجيوش في ذلك الوقت في أشد الحاجـة للعجلات لنقل العتاد والوقود ولذلك لم يتمكن القـادة ولا القطعات من فهم الفيلد مارشال . ولا ريب ان بقاء مدينة نفوسها مليون شخص جائعة وراء خط الجبهة لا يخلو من أخطار عسكرية . ولكن هذه النظرة لم تكن العامل الوحيد الذي حفزه على المساعدة ، اذ كان يقضي ساعات كل يوم في استقصاء حاجات المدنيين وكيفية تأمينها . وكثيراً ما كان أركانه يشكون ويتذمرون من كثرة التفاصيل ودقتها التي يتبعها في استقصائه هذه الأمور .

بالأضافة لذلك ، اعتبر كسرلنغ ان المحافظة على المدينة الأزلية انما هي قضية تتصل بالفخر والاعتزاز[١] . وكان كسرلنغ يعارض موسوليني في هذه الناحية حيث كان يحمل حقداً وضغينة نحو الرومان . ولهذا الغرض تخلى الفيلد مارشال عن إجراء اي عقبات او عراقيل في وجه العدو على نهر التبر عندما سقطت روما في حزيران ١٩٤٤ ، ومنع تدمير أي جسر من الجسور في روما لأن انابيب الماء والغاز كانت معلقة بها . ويعتبر مراعاة مثل هذه الاعتبارات في ابان الحرب وشدتها نادرة . بينا كان كسرلنغ يقـدم كل مساعدة للايطاليين كلما امكن .

---

١ – لم يسمع جحفل الجيش شيئاً عن غرض هتلر . وقـد علم من مذكرات السفير الدكتور ران – وهو « احتلال الفاتيكان و « تعطيره » بالقطعات الألمانية » أما انطباعنا فكان على عكس ذلك وهو أن هتلر كان يرغب تجنب أي نوع من الاصطدام مع البابا. فمثلاً، كان قد سمح للجنود الألمان حتى بداية ١٩٤٤ بالحضور والمشاركة في المحافل التي يقيمها الأب المقدس .

ومع هذا ، وبالرغم من كل ذلك ، حوكم وأدين كمجرم حرب ، وقد يأتي اليوم الذي يبرأ فيه علناً من التهم التي وجهت اليه بقتل ٣٣٠ أسيراً ايطالياً في كهوف أردي تاين .

وقد أصبح هناك نظرة على ضوء جديد لحرب الأنصار في ايطاليا . كما بدا ذلك في تبرئة برنس بورغيز . وحديثاً في دعوى قائد الـ S.D. الذي كان في روما حكمت احدى المحاكم العسكرية الايطالية ، وبمعارضة بارزة ، بأن حادثة «فيا رسلا» التي قتل فيها ٣٤ المانياً وعشرة إيطاليين وجرح ٦٧ آخرين لم تكن « عملاً مشروعاً » وهذا مما يبرر مبدئياً الاجراءات الالمانية المضادة . وحتى سنة ١٩٤٧ كان عدد من الاساقفة والكثير من الايطاليين على استعداد للتدخل بحرارة بقضية كسرلنغ . وربما غيرهم كثيرون كانوا يفعلون ذلك،لو لم يكن ذلك خطراً عليهم في ذلك الوقت .

وقد ارسل خصمه السابق الفيلد مارشال الكسندر شهادته الى المحكمة البريطانية في البندقية ان كل ما يعرفه عن كسرلنغ انه قاد الحرب في ايطاليا جهد الامكان قيادة انسانية . ولا ريب انه ارتكبت بعض الاعمال المتطرفة التي لا يمكن غفرانها في ميدان الحرب الايطالي . ولكنها لم ترتكب نتيجة تحريض او امر ، والمهم هي ان يحاسب الفيلد مارشال كسرلنغ عن ما اصدر من اوامر فقط.

٧

اللعبة النهائية في الغرب ١٩٤٤ - ١٩٤٥

المعجزة الثانية للجدار الغربي

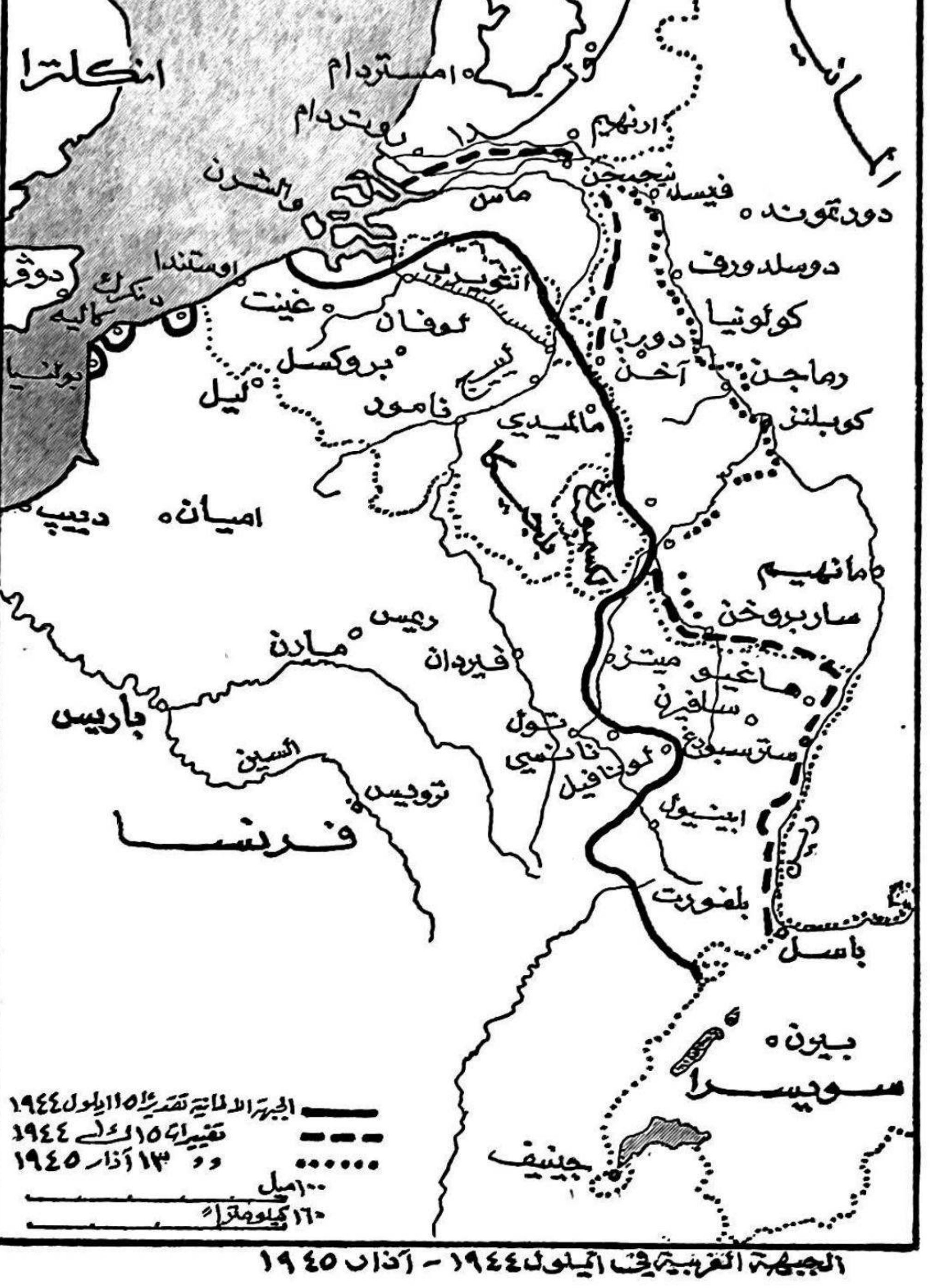
استلم الفيلد مارشال فون روندشتيت قيادة الجيش الغربي الالماني مرة ثانية ، بتاريخ ٥ أيلول عام ١٩٤٤ ، بعد غياب طـال شهرين في كوبلنز ، وقد عينت رئيساً للاركان العامة له . وكان في هـذا الوقت ، جحفل الجيش الشمالي « ب » بقيادة الفيلد مارشال موديل يتراجع في شمـال فرنسا ، وبلجيـكا ، ولكسمبرغ تراجعاً شاملا ، وكانت الخسائر التي تكبدها، وخاصة في معركة افرانشيزجسيمة جداً ، فضلاً عن ذلك ، كان يجب ان يبقى في الخلف مائة وستون الفاً من جميع صنوف القوات المسلحة ، وبصورة رئيسية من الجيش في موانيء القنال والمحيط الأطلسي من اوستند Ostend الى جيروندي أستواري Gironde Estuary . وقد أمر هتلر بهذا لأنه كان يفكر ان ذلـك سيحول دون تعبئة قوات كبيرة للعدو ، ولكن فاته ان العدو لا يؤثر عليه مثل هذا الاجراء الا اذا كان مجبراً على القيام بالهجوم ، ولم يكن الأمر كذلك الا في كاليه ودنكرك ، ولهـذا تركت الحاميات الاخرى وهي اكثر من عشر فرق بـلا ضرورة تبررها ؛ وبقي خمسة وثلاثون الفاً من الجنود في جزر القنال وحدها . ولم يمسها اذى حتى

من الجو . وقد ترك أمر هؤلاء الى ضابط بحري بريطاني مع بضعة ملاحين ليأتوا لهم بأخبار التسليم العام للقوات المسلحة الالمانية .

ولم تكن بقايا جحفل الجيش « ب » قوية بحيث تؤلف خط مقاومة بصورة مستمرة . والذي كان يثير قلقاً متزايداً هو ان الجدار الغربي لم يسلح ثانية حتى الآن ، وان حاميات الأمن لمناطق الدفاع الغربية الثلاث من جيش الاحتياط التي كانت تشغلها كانت اكثر مما يجب . ولم يكن موقف جحفل الجيش « ت » بقيادة الجنرال أوبرست بلاسكوفتش افضل وأحسن ، وكانت قواته الرئيسية (تسع فرق تقريباً) تتراجع في وادي الرون ووصلت ليون ، وكان الشك يساور النفوس فيما اذا كان بامكانهم استئناف التماس مع جحفل الجيش « ب » ، ولم تصل رسالة منذ بضعة ايام من فيلق الجيش الذي كان يتحرك من جنوب غرب فرنسا نحو الشمال . وكان يشتمل هذا الجحفل على قطعات كثيرة معاونة، وممرضات الصليب الأحمر ، ومساعدي اركان ، وما شابه ذلك .

وعلى كل ، كان لا يمكن ايقاف تلك الهزيمة التي سادها الفوضى والارتباك لتلك القوات المتدفقة من فرنسا وبلجيكا الا على نهر الراين . وكانت هناك المناظر المؤلمة التي كثيراً ما تحدث في مثل هذه الانسحابات السريعة .

ولم يكن التموين للجيش الغربي منظماً في هذا الوقت ، ولم يكن السبب سرعة الانسحاب فحسب ، وانما للدمار الذي خلفته الغارات الجوية على شبكة السكك والتلفونات ، ولعدم وجود أي استحضارات للتراجع وقد كانت جميع مثل هذه الاستحضارات محظورة لازالة كل تفكير بامكانية كل تراجع . وينطوي مثل هذا الاهمال وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة على أسوأ المخاطر . ولنضرب مثلا واحداً على ذلك : كانت الرسالة المهمة ذات اعلى درجة من الاسبقية ، حتى منتصف ايلول ، يستغرق وصولها من مقر القائد العام في الغرب الى جحفل الجيش اثنتي عشرة ساعة او احياناً الى اربع وعشرين ساعة . وكانت التسهيلات



الجبهة الغربية في ايلول ١٩٤٤ - آذار ١٩٤٥

التلفونية في البداية رديئة جداً ، وكانت دوائر السكك الحديدية والبريد في البداية لا تزال تؤدي واجباتها بسرعة أبطأ مما يجري في داخل المانيا . ولكنها الآن اصبحت هذه منطقة حركات وصارت تتطلب من الاشخاص المدنيين أموراً مختلفة تماماً . ولكن هؤلاء الموظفين لم يراعوا تلك الظروف المتغيرة ولم يكيفوا أنفسهم إلا ببطاءة ، ولكنهم أصبحوا جيدين وكفوئين بعد تلك الفترة . وكان اكثر ما ينطبق هذا الشيء على السكك الحديدية ، حيث كانت تجاهد كل يوم لتذليل الصعوبات الجسيمة التي كانوا يجابهونها باستمرار من القصف الجوي ، وفي الحقيقة ، وبالرغم من الغارات العنيفة على شبكة السكك الحديدية ، إلا انها كانت قادرة حتى النهاية على نقل جميع القطعات وكذلك كانت قطارات التموين تقوم بواجبها على خير وجه حتى منطقة الراين . وكانت تستخدم تحوطات أمن مشددة كاجراء السياقة ليلا واخفاء القطارات في الانفاق نهاراً . وكانت الخسائر محدودة ونسبتها معتدلة . وكان الانتاج الحربي في الرور لا يزال عالياً ، بالرغم من الهجمات الجوية العنيفة، ولكنه أخذ يقل هذا الانتاج بسرعة ، وكان التناقص في البداية بطيئاً ثم أصبح في الأخير سريعاً ، وسأورد مثالاً يبين مدى الارتباك الذي ساد في الغرب في اوائل ايلول ١٩٤٤ . علمت قيادة الغرب صدفة بأن أوامر معينة قد صدرت من قبل هملر ، كقائد اعلى في الغرب ، وبالرغم من اننا كنا نجهل كل الجهل هل ان هتلر قد عينه في الحقيقة لوقت ما ، لكن تغلبنا على هذه السلطة المنافسة بسرعة .

كان الموقف العام في الغرب خطيراً بل وفي منتهى الخطورة، كان الاندحار مريعاً في كل مكان وعلى امتداد الجبهة ، وكانت الجبهة مليئة بالخروق والفجوات بحيث لم تعد جديرة باسم الجبهة ، وهي تنذر بالكارثة ، لو أن العدو اغتنم الفرصة واستفاد منها بحذق ومهارة . وكان مصدر هذا الخطر ناجماً من عدم تهيئة أي جسر من جسور الراين للتخريب ، مع العلم أن اصلاح أي جسر كان يحتاج الى مدة بضعة أسابيع. وكان السؤال الذي يتردد كثيراً هو هل بامكان روندشتيت

انجاز الواجبات التي عهدت اليه، وهي اجبار العدو على التوقف في أبعد ما يمكن في الغرب ، ثم الاحتفاظ بشمال بلجيكا (شلت ايستوري) وبجميع هولانـدا ، وشن هجوم باتجاه رايمس من مواضع أمام ميتز. كان هذا الواجب الأخير لا أمل فيه منذ البداية ، لأننا كنا نشك حتى في امكان تشكيل جبهة جديـدة بالنظر لانحدار قواتنا المريع . بينما كانت تعزيزات كبيرة قد أرسلت من المانيا،وخاصة من الوحدات الجديدة التي شكلت على عجل ، كمشاة ومدفعية القلاع ، ووحدات ضد الدبابات الخ . ولكن قيمتها العسكرية كانت قليلة جداً وقد أبيدت وذابت كما يذوب الثلج في شمس الربيع . وأقول في النهاية ، أن الخسائر كانت تفوق التعويضات كثيراً .

أما العدد الكبير من أعلام قيادة الجيوش ، والفيالق ، والفرق التي كانت تظهر على خرائط الحركات فكان له تأثير مغلوط على القيادة العليا . وكان الجميع يعلم ان القوة الفعالة لفرق الجيش الغربي كانت أقل من الفرق في ايطاليـا والجبهة الشرقية ، حتى قبل بداية الغزو.وكانت تبدل الوحدات المتعبة الناقصة في الجبهة الشرقية باستمرار بتشكيلات مماثلة من الغرب ، وأكثرها من الفرق التي كانت تدعى بـ « فرق حرب المواضع » التي كانت تؤلف قسماً مـن الجيش في فرنسا وكانت مجهزة تجهيزاً رديئاً ، اضافة لذلك ، كانت مؤلفة من جماعـات كبيرة السن[1] . ولهذا كانت تقارير القيادة الغربية تبين دائماً ان الفرق كاملة العدد . وقد جاء في تقرير ١٥ تشرين الأول كيف ان موقف الأشخاص قد تبدل وتطور

---

١ – كان يتعذر على ضباط أركان كثير من الفرق والتشكيلات الكبيرة انجاز متطلبات حرب بمقياس واسع ، ولهذا أصبح تغيير الضباط ضرورياً بعد الشروع بالغزو مباشرة . وكانت تنقصهم التجربة في القتال ضد خصم يتفوق في المواد وفي القوة الجوية . وقد بين الفيلد مارشال كسرلنغ خطر ذلك في نهاية ١٩٤٣ ، واقترح بأنه يجب تبديل ضباط أركان لهم خبرة وتجربة ، وكذلك الآمرين وضباط الأركان العامة من ميدان الحرب الايطالي وتعيينهم في الغرب،ولكن القيادة العليا للقوات المسلحة لم تأخذ بهذه المقترحات .

في منتصف ذلك الشهر . كانت احدى وأربعون فرقة مشاة وعشر فرق آليه تحتل الجبهة الغربية التي كان طولها يقرب من الف كيلومتر . وكانت تواجه العدو في ذلك الوقت وهو بقوة أربعين فرقة مشاة وثماني عشرة فرقة مدرعة ، وثمانية عشر لواء دبابات . اضافة لذلك ، لا بد من الاشارة الى ان الفرق البريطانية والأميريكية كانت مسلحة تسليحاً أفضل ، وكان الجيش الألماني لا يملك ألوية دبابات خاصة مطلقاً . وكانت قوات الحلفاء المدرعة أربعة أمثال قواتنا . بينما كانوا يتفوقون علينا في الجو مرات عديدة . علاوة على ان العدو – كما في افريقيا وايطاليا – كان قادراً على الرمي بكميات عظيمة تفوق امكانياتنا كثيراً .

وكان على القيادة الغربية ، قبل الشروع ، القيام بواجبات مختلفة في آن واحد : كتنظيم سلسلة قيادة جديدة ، ثم تكييف السكك الحديدية ، ودوائر البريد والنقل المائي ، في غرب المانيا وجعلها جميعا ملائمة للحاجات الحربية ، ثم تأمين محلات عبور الراين ، والاسراع باعادة تسليح الجدار الغربي ، لأنه كان في وضع لا يصلح للدفاع ، والسبب كما قلنا سابقاً هو تجريده من اسلحته وعتاده ، وأسلاكه ، والألغام واستخدامها جميعاً في الاستحكامات على الساحل الأطلسي . وقد فقدت حتى مفاتيح الاستحكامات الفردية ، وكان يتطلب ستة اسابيع لهذه الاستحضارات الضرورية على الأقل .

كان العدو حتى منتصف شهر تشرين الاول يتمكن من الاختراق بسهولة في اي نقطة شاء ، ثم عبور نهر الراين والاندفاع عميقاً في المانيا بدون ان يجد اعاقة ما . وقد وضع هذا الرأي امام أعلى مستويات القيادة ؛ ولكنه رفض ، غير ان الحقائق بقيت كما هي .

كانت اخطر نقطة في الجبهة الغربية كلها في ايلول ١٩٤٤ هي مصب نهر الموسل Mosel في ترير Trier ، ولذلك وضعت فرقة ممتازة هناك . وكان روندشتيت ينظر بعين القلق لهذه المنطقة ، لان العدو هناك يقف على اقرب ما

يمكن من حدود الرايخ . ولذلك ذهب معي الى هناك في الحال لتقدير الموقف جيداً من هناك . وفي تلك الآونة كدنا ان نؤسر بواسطة الدبابات الاميركية ، ويعود سبب ذلك الى مضايقة رأس الجسر الالماني من وقت طويل . وكانت منطقة جنوب الموسل ، اكثر خطراً ، لوجود طريق هنزروك Hunsruck ، وكان بمثابة اوتوبان ، يؤدي الى كوبلنز .

ووسط هذا الجو المضطرب المشحون بالحيرة والقلق حدث ان عبرت فرقة مدرعة امريكية نهر السوير Sauer في فالن دورف Wallen Dorf ، شمال ترير ، واخترقت الجدار الغربي في اول هجوم لها ، وقد ارسلت جميع القوات المتيسرة لصد هذا الهجوم وارغامه على التراجع . وبالرغم من مواجهة أصعب الظروف وأقساها ، وتجريد منطقة ترير من القوات ، وبعد قتال دام اسبوعاً كان خلاله سجالا بين الطرفين ، تراجع العدو الى الضفة الغربية من نهر سوير ، وهكذا زال الخطر المميت ، ولو ان العدو قد زج بقوات اكثر لما اخترق خط الدفاعات الالمانية التي كانت تنشأ في آيفل فحسب ، وانما لاستطاع تقويض الجبهة الغربية برمتها بوقت قصير ، لعدم تيسر احتياطات المانية كبيرة ، ولسنا بحاجة الى ايضاح مفصل لمعنى ذلك . ومهما كان هذا النجاح متواضعاً ، والذي كان اول انتصار يحرز منذ عدة اشهر ، ولكنه مع ذلك قد انعش ثقة القطعات بقدرتها التي لا تزال تتمتع بها. اما شعور روندشتيت نفسه في ذلك الوقت فكان يرى ان الدفاع الناجح في فالن دورف اقل قيمة من هجومنا المقابل . وقد علمنا بعد الحرب ان جميع حركات العدو في ذلك الوقت كانت تهيىء الظروف الملائمة لانزال القطعات المظلية التي اعدها جحفل الجيش الحادي والعشرين البريطاني .

وكان ثمة خطر على وسط الجبهة ولا بد من حدوثه عندما يتهدد الجناح الأيمن بنكبة جديدة . وكنا نتوقع هجوماً من قبل الجيش الثاني البريطاني منذ ايام . ولكنه سيصبح مباغتة تامة اذا سبقه انزال من الجو بنطاق واسع . ولا

يتم مثل هذا الفرض جيداً من شدة الغارات الجوية، وأخيراً من الهجمات الأرضية باتجاه نياماغن – أرنم وكان الفرض – ربما الأولى فقط – هو احتلال محلات عبور فوق نهر الراين الأسفل قرب الحدود بين هولندا والمانيا .

واذا نجح العدو في تثبيت اقدامه هناك فان القيادة الغربية كانت ترى ان العدو سيعزز رأس الجسر ويقويه ، وينشىء قواعد جوية وتموينية ، ثم يجلب اليها قطعات اكثر لاستئناف الهجوم . وربما كان هذا الاندفاع باتجاه أمدن لغرض عزل وقطع هولندا بكاملها . واذا اصبح التقدم بالاتجاه العام نحو ولهلمزهافن او نهر فسر الأسفل ستكون آمال النجاح اكبر واعظم . وكان يبعد مصب نهر فسر اكثر من مائتي كيلو متر من أرنم ، التي كانت لا تبعد كثيراً بالنسبة لخصم يتمتع بالسيطرة الجوية وفي حوزته قوة آلية كبيرة علاوة على وجود فرقتين او ثلاث مظلية لا تزال في بريطانيا .

فماذا كانت الآمال في مقاومة مثل هذا العمل ؟ لقد نشط الالمان في زيادة قواتهم قبل ان يحصل العدو على رأس جسر على الراين الأسفل . اما اذا توصل العدو الى هدفه بسرعة ، فيكون أصل النجاح في المقاومة ضعيفاً . ولا تتمكن القيادة الغربية إلا من تخصيص قوات قليلة ، ولا يتيسر لدى القيادة العليا للقوات المسلحة احتياط مركزي في المانيا . واذا ارادت استعادة القوات من الجبهة الشرقية فان ذلك يتطلب عشرة ايام على الأقل. ولذلك بقي الجيش الاحتياطي المصدر الوحيد المتيسر للمساعدة، ولكن ضعف تسليمه وعدم وجود الآليات فيه جعلاه عاجزاً عن المقاومة طويلاً امام هجمات العدو المحنك والمجهز تجهيزاً ممتازاً . وعلينا ان ندرك الامكانيات السانحة امام عدو جريء سريع الحركة ، ولا بد ان تكون نتائج المعارك من أجل الراين الأسفل مما تثير الحيرة والقلق .

وعلى كل يجب ان يعزى النجاح في احباط جهود الحلفاء في تأسيس رأس جسر على الضفة الشمالية الشرقية لنهر الراين الأسفل في ايلول ١٩٤٤ الى وضع الأرض الملائم ، والى فعالية وقدرة القيادة المحلية . وفي الحقيقة حشدت هذه القيادة كل امكانياتها بكل سرعة ، وزجت جميع انواع الوحدات المختلفة في المعركة ضد قطعات المظلات الجريئة في القتال ، ومع ذلك كان السبب الرئيسي للنجاح الالماني هو ان تشكيلات القطعات المظلية قد انزلت وراء نهرين مانعين جيدين ، وكانت بعيدة جداً عن نفيضة الجيش الثاني البريطاني . ولو ان قسماً من القطعات المظلية قد انزلت لمسك الأرض اولاً ، واجراء الانزال الجوي بنطاق واسع بعد ذلك ببضعة ايام لتغير الموقف وربما أصبح في صالح الحلفاء ، لأن ذلك سيجعل القسم الاكبر من القطعات الالمانيـة مشغولة في المعركة ، ويتعذر عليها مقاومة الأنزال الآخر لعدم تيسر الاحتياط لديهم .

ونشير الى المثالين فالن دورف وآرنم لنبين الشيء الذي كانت تتوقعه القيادة الألمانية في أيلول عام ١٩٤٤ ، وهو قيام دروع العدو وقطعاته المظلية بحركة موحدة قوية تؤدي الى اختراق على نطاق سوقي ، وكان المفروض ان مثل هذه القوات لا بد وأن تكون مؤلفة تأليفاً مناسباً جيداً ، يكفل لها الاندفاع في الثغرة التي حققوها سابقاً شمال ترير في الجدار الغربي ، والقيام بالهجوم على الراين الأسفل ، والشروع بالحركات في منطقة كولون عند مساعدة الموقف . وكانت هذه الامكانيات كفيلة بتقصير أمد الحرب وانهائها قبل موعدها ببضعة أشهر ، غير أن قيادة الحلفاء لم تستثمر هذه الامكانيات ، وربما كان السبب هو أنها بالغت في تقدير قوة الدفاع الألماني. لا ريب ان الاستحكامات الدائمية على الحدود الألمانية الغربية هي التي جعلتهم يقررون هذا التقدير والحكم ، ولكن لو ان العدو أدرك الحالة الحقيقية لكان من الصعب ان يعيرها كل هذا التقدير والاهتمام . وربما كان في هذه الحالة يحشد قوات كبيرة في بعض النقاط ، بالرغم من صعوبات التموين ، التي كان يجابهها في ذلك الوقت ، ويندفع بقوة عبر الراين الى قلب المانيا . ولو

أن الحلفاء أنزلوا في ربيع في خريف ١٩٤٤ لأصبح موقف مقدمة الحلفاء حرجاً لأن الفرق الألمانية التي نقلت من الجبهة الشرقية في ذلك الوقت ستشارك في المعركة، ولكن لو أن الحلفاء صبروا وسيطروا على أعصابهم ، لكان بإمكانهم الحصول على التعاون الوثيق بينهم وبين الجيش السوفييتي ، وقضى على المقاومة الألمانية في السنة ذاتها على الجبهتين الشرقية والغربية .

ما هي أسباب تعرض الأردينز ؟

كانت جميع المقترحات تقريباً ، والطلبات ، والرسائل بين قيادة الغرب والقيادة العليا للقوات المسلحة في أيلول وتشرين الأول عام ١٩٤٤ تتناول قضية متى تصل الامدادات القوية التي وعد بها هتلر للجبهة الغربية ، وكانت الحاجة الملحة هي وصول فرق كاملة ، والتي لم يصل منها سوى أربع فرق . وبالرغم من كل التأكيدات والطلبات الملحة كانت القيادة العليا للقوات المسلحة تلف نفسها في سكوت مطبق ، ولم يرفع نقاب السرية عن ذلك الا في ٢٤ تشرين الاول ، وقد صدر الأمر لي هذا اليوم بالذهاب الى مقر هتلر في بروسيا الشرقية ، وذهب معي رئيس الأركان العامة لجحفل الجيش ب ، الجنرال كربس Krebs . وهناك قيل لنا شفهياً بأن عشرين فرقة مشاة تقريباً وعشر فرق مدرعة ، مع عشرة فيالق مدفعية وألوية مدافع هاون لكل منها ، ستصل الغرب في نهاية تشرين الثاني أو أوائل كانون الأول ، مع تشكيلات أخرى عديدة من الجيش . وكانت هذه الأخبار تدعو للغبطة والسرور . غير ان التقييد الوحيد ، كان أن هذه القوات سوف لا تستخدم لتقوية ، وانما للقيام بالهجوم .

وقد كشف هتلر النقاب في مجلس كان يقتصر على عدد قليل جداً عما يلي : إن الجبهة الشرقية قد ركدت واستقرت مرة أخرى . ويجب ان نعتبر النجاح في انشاء جبهة جديدة في الغرب معجزة ، ولكن هل يمكن ان تحدث مثل هذه المعجزات مرة أخرى ؟ ولهذا فان جميع القوات التي على عجل في الغرب يجب


امستردام
روتردام
ڤيسل
تيلبورج
الجيش البريطاني
الجيش الاول
ماس
انتويرب
غينت
بروج
قناة البرت
بروكسل
الجيش
١٥
دوسلدورف
كولونيا
دورن
آخن
الجيش السادس
الاردين
نمور
كوبلنز
مالميدي
دينانت
ايفل
الجيش الخامس
الجيش السابع
باستونيا
تريير
لوكسمبورغ
لودفيج شافن
ساربروخن
سيدان
الجيش الاميركي
الثالث
فردان
ميتز
بيتش
هاغينو
نانسي
ستراسبورغ
الجيش ١٩
فرنسا
١٠٠ ميل
١٦٠ كيلومتر

غزو الاردين

ان ترسل في النهاية . ولكنه كان لا يحبذ بقاءها وتجميدها في الدفاع ، لأنه ثبت ان الدفاع السلبي لا يحول دون فقدان أراض هامـــة . ولا يمكن ان يتم ذلك الا بالهجوم . والقيام بتعرض في الغرب كفيل بجعل الظروف في صالحنا تماماً ، ولهذا قرر مرة أخرى أن يأخذ بالمبادأة في الغرب وقد درس أركان القوات المسلحة دراسة دقيقة ومفصلة عن المحلات الملائمة للهجوم وتعيين أهدافه . أما هو ، أي هتلر ، فقد قرر وجوب شن الهجوم من آيفل لأن قوات العدو في هذه المنطقة ضعيفة جداً . ويجب ان يكون الهدف أنتفرب Antwerp ، وان العدو لم يستفد من هذا الميناء ، بينما كان اوسع ميناء في القارة وهو مهم جـداً بالنسبة للعدو ، وقد يستخدمه عندما تتحسن احواله ، فتتدفق منه معظم القطعـات والمواد ويزداد الضغط علينا كثيراً . ويجب ان يكون للهجوم أهداف ثانوية ، منها شق جبهة العدو وعزل الجبهة البريطـانية عن جبهة الأميريكيين . وكان الهجوم الذي يتقدم من آيفل وجناحه الأيمن يمر من لياج .

ويقوم الجيش المدرع الخامس والسادس بالهجوم الجبهوي ، بينما يقوم الجيش السابع بستر الجناح الجنوبي لقوات الهجوم في منطقة لكسمبرغ . وستكون الاستحضارات وادارة التعرض من واجب قائد جحفل الجيش موديل .

وسترسل القيادة العليا للقوات المسلحة امر الحركات الى الجبهة الغربيـة في الايام القليلة القادمة . وكان واجب قيادة الغرب هو الاستمرار في المقـاومة على جميع الجبهة الغربية حتى يوم الشروع بالتعرض مستفيدة من القـوات المتيسرة لديها وكان هتلر مستعداً لتقبل اي خسران من الاراضي الرئيسية في سبيل التعرض .

ويقوم السلاح الجوي في ذلك الحين بالتراجع المقصود في سبيل الاحتفاظ به لليوم المنشود ، وقد صرح غورنغ بان ثلاثة آلاف مقاتلة ستكون جاهزة لغرض التعرض .

اما هتلر فكان يعتبر الموجود نصف هذا العدد ، ونتيجة للتجارب سوف لا يكون اكثر من سبعمائة او تسعمائة من العدد الباقي ومقـــداره الف وخمسمائة طائرة صالحة للاستعمال . وسيكون من جملتها مائة طائرة من احدث المقاتلات النافورية (جت) والتي كانت تتفوق على جميع طائرات العدو .

وقد اخبر كايتل هتلر بان جميع تموين الوقود والعتاد للجيش والسلاح الجوي مؤمن ومضمون .

وقد بوغتنا انا والجنرال كريبس تمامـــاً بقرار هتلر ، ويبدو ان الأمر قد درس من جميع نواحيه . وقد توجه هتلر الآن بالسؤال عن رأينا . وقد ابدينا سرورنا وغبطتنا بالامدادات التي ستصل الينا في النهاية، ورحبنا بفكرة التعرض في المبدأ ، ولكننا لم نعط حكمنا عن مدى درجة نجاح هذه الخطط في مثل هذا الوقت القصير ، ويتعذر على المرء ان يضمن كيف ستكون الظروف قبل الشروع بالتعرض ، او هل ستكون القوات المتيسرة كافيـة . وعلى كل يتوقف كل شيء على مدى الاسناد الذي سيقدمه السلاح الجوي للجيوش الهاجمـة . وكان اقل ما يطلب هو شل القوة الجوية المعادية ، في نقاط التحشد على الأقل لفترة مستمرة ولبضعة ايام .

وكنا في الأسبوع التالي منهمكين في قيادة الغرب وجحفل الجيش « ب » في الدراسة واستخراج الحسابات . وقد كانت النتائج مؤيدة لآرائنا الأولية ، وهي ان القوات ستكون غير كافية للاندفاع الى أنتفرب . لأن الاختراق اذا تحقق على « الموز » وباتجاه الشمال الغربي ، فان أجنحة الخرق ستطول كلما حصلنا على أراض جديدة ، وسيكون الجيش السابع في موقف لا يستطيع معـــه حماية الجناح الجنوبي لمدة طويلة . ولأن قطعات الحلفاء القريبة من جهة الاختراق لن تقف متفرجة او مكتوفة الأيدي وتفسح الطريق للمهاجمين . وماذا سيحدث اذا قاوموا او كما هو اكثر احتمالاً ، شنوا هجوماً مقابلاً ؟ بعبارة واحدة : يبدو

ان الهجوم على الموز بالقوات المتيسرة لدينا محفوف بخطر كبير ، حتى ولو تم الوصول الى انتفرب لأنه يصبح من المتعذر المحافظة على الأرض التي حصلنا عليها خلال التقدم ولذلك سيكون مثل هذا الهدف الذي نحصل عليه لا بد وان نخسره فوراً ، يكون بلا ريب من الاهداف التي لا تستحق ان تكون مطمحاً نسعى اليه . وسيصبح الميناء بعد فترة وجيزة صالحاً للعدو مرة اخرى . وستكون القوات المتيسرة كافية لتأسيس نقطة عبور على نهر الموز ، اذا لم يتم الاستيلاء على لياج ، ولن يكون هناك بعد ذلك اي نصر حاسم .

ان اهم غرض لأي هجوم ، كان قهر العدو وتكبيده أعظم خسارة ممكنة لتقليل ضغطه وقدرته على القتال ، وليس الاستيلاء على بعض الأهداف الجغرافية .

كانت القيادة الغربية وجحفل الجيش « ب » يبحثان بصورة مستقلة عن حل يكفل النجاح بصورة أفضل ، وقد توصلا في النهاية الى نتيجة واحدة ، وهي ان الفرصة سانحة ويجب اغتنامها في آخن ، وهي اول مدينة خسرها الالمان ، حيث استولى عليها العدو في تشرين الأول ، وأصبحت الجبهة الالمانية بعدها تمتد حول المدينة القيصرية بقوس كبير ، يشير ذراع القوس الكبير باتجاه كولون ، وهذه الاجنحة قد تغري على الهجوم ، وستكون قوة التعزيزات التي وعدنا بها ملائمة لهذا الغرض ؛ ولو ان العدو قوي في هذا القاطع . وكان يمكن جلب هذه القوات بأقل اشارة وبذلك يمكن تجنب ضياع الوقت في اعادة التجحفل والاخطار الناتجة عن كشفه . ثم ان اهدافنا ستكون اقل عرضة للافتضاح لأن القتال الشديد سيكون مستمراً في منطقة آخن . ويمكن اخفاء الاستحضارات حتى للتشكيلات الكبيرة بسهولة كاجراء دفاعي . ويمكن بالهجوم على هيئة كماشة على النتوء الامريكي ويمكن تدمير عشر او خمس عشرة فرقة على الأقل ، أي ربع قوات الولايات المتحدة في اوربا . وكان بامكان قوتنا تحقيق هذه النتيجة السارة ، وكان بالامكان اصدار الأمر بالانفتاح لهذه

الخطة في كل لحظة من الفرصة الملائمة ، واذا نجحت هذه الخطة ، يكون بالامكان توجيه الاندفاع نحو انتفرب . ثم اننا لن نخسر شيئاً بهذا التغيير الطفيف ولكن نضمن النجاح المحقق لقضية يحفها الغموض .

ارسل هذا الاقتراح الى القيادة العليا المسلحة ولكنه اهمل . وجاء الرد وهو موقع بتوقيع يودل :

« لقد قرر الفوهرر بان تكون الحركات كما هي ولا يمكن تغييرها مطلقاً » . ولذلك اقترحت على روندشتيت بان يذهب الى هتلر ويقنعه شخصياً . ولكنه رفض ، لأنه يدرك بان هتلر شديد وصارم ويعرف كيف يدير مؤتمراً لمدة ساعة دون ان يسمح لغيره في الكلام . كل ذلك يجعل هـذه المقابلة الشخصية لا امل فيها ولا فائدة يرتجى منها . خاصة وانـه ذاق مرارة التجربة القاسية كثيراً سابقاً [١] . وخير حل هو تنبيه القيادة العليـا للقوات المسلحة مرة اخرى في فرصة قادمة .

وقد سنحت الفرصة الملائمـة ، حين ارادت قيادة الغرب بتاريـخ ٢١ تشرين الثاني ان ترفع تقريراً مبينة فيه ان المعارك الدفاعية قرب آخن قد تطورت الى غارات ومعارك واسعة من قبل جحفل جيش مودل. وبالنظر للموقف الحرج الذي يجابهه جحفل الجيش غ في الالزاس واللورين وعليه يجب اعتبار اربع فرق مشاة وتسع فرق آلية في الجبهة الفرنسية غير كافية ، ولن تستطيع الاشتراك في خطة التعرض الموضوعة ، ولو ان العدو ايضاً قد تكبد خسائر فادحـة في المعارك التي دارت في منطقة آخن ، والشيء المهم جداً هو وجوب اغتنام فرصة ضعف العدو الموقت في هذه المنطقة جهد المستطاع وزج كل ما يتيسر من احتياط

---

١ – اقرأ شهادة الشهود ، من ضمنهم يودل ، في محاكمات نورمبرغ .

في هجوم احاطي، وبهذه الطريقة يكون في حكم المؤكد ابادة قوات كبيرة للعدو، وتكون اساساً متيناً لتحقيق خطط القيادة العليا للقوات المسلحة.

ولكن هذا «الحل المعتدل» لم يقنع هتلر أيضاً، ورفض مرة أخرى تأييد مثل هذه «الأفكار الواهنة».

وفي ٢٦ تشرين الثاني، زار يودل قيادة الغرب حسب طلبنا، وقد عرضنا عليه خطة «الحل المعتدل» وفوائدها من جديد، وقد أيد وجهة نظرنا علناً، وقال: أنا متفق مع القيادة الغربية. وفي الحقيقة، ماذا يستطيع الجنود المدربون ان يعملوا اكثر من هذا! وصرنا والأمل يساورنا مرة ثانية. وقد التمست أشد الالتماس من يودل بصورة خاصة أن نشن الهجوم من آخن، لأنه كان لا يزال بالامكان اعادة تجحفل القوات التي تحرك قسم منها لغرض التعرض الكبير. وقد وعدني خيراً وأنه سيحاول مرة أخرى. ولكنه أضاف، وعلائم الاعياء بادية عليه، بأنه ضعيف الأمل في امكان اقناع هتلر.

قام مودل بتاريخ ٢ كانون الأول بمحاولة رابعة عندما زار هتلر في مستشارية الرايخ مع جميع قادة الجيش وانا كذلك. وقد أيده القائد العام للجيش المدرع الخامس، الجنرال فون مان تويفل von Manteuffel وقد أوضحا وجهة نظرهما بكل وضوح وتأكيد، ولكنهما لم يواجها سوى الرفض البات. وبالرغم من صحة تحليلهما ومنطقهما إلا ان هتلر كان كالطود الثابت لا يتزحزح. ولهذا خضعنا في الأخير الى أمره الذي كان «لا يقبل التغيير».

ان هذا الحوار والخصام لم يحولا دون تفاقم الحيرة والقلق، وانما كانت المشاكل والازمات تتتابع الواحدة بعد الاخرى. ولولا مثابرتنا واستمرارنا على القتال لتعذر علينا التغلب عليها مطلقاً.

وقد رفض الاقتراح بسحب الجناح الأيمن للجيش الغربي وراء الوال Waal في ايلول لانقاذ سبع فرق كاملة ، وكان ذلك نتيجة لتكبد الجيش الخامس عشر خسائر لا موجب لها امام النهر ، بالاضافة لذلك كانت المعارك الدفاعية حول آخن مستمرة بدون مساعدة القيادة العليا للقوات المسلحة بل واستمرت ضد رغبتها ، لأن كايتل لم يدرك إلا في الأخير بأن هذه الجبهة كانت تحتاج الى وقود وعتاد اكثر ، بينما كان الامريكيون يقذفون بكل المواد على اعظم مقياس ، وفاقت كل الجبهات التي كانت تدعى « بالجبهات الهادئة » والتي لم تحدث سوى في الغرب ووراء الوال W aal وفي آيفل Eifel .

وكان أعنف قتال تكبد الطرفان افدح الخسائر في المعركة التي دامت عشرة أسابيع من أجل غابة هرتجن Hürtgen في منطقة آخن. وفي هذا الكفاح المرير، كان الطرفان يتبادلان الأيدي على مدينة هرتجن اربع عشرة مرة ، وعلى غابة هرتجن ثماني عشرة مرة ، وقرية فوسن آك Voesenack لا تقل عن ثمان وعشرين مرة .

كانت الاستحضارات تأخذ طريقها بصورة سرية للغاية بحيث لم يعرف الضباط بالمقصد إلا اقل عدد ضروري منهم ، وقد أجبر هؤلاء الضباط القلائل ان يوقعوا على أمر هتلر وان يعطوا عهداً بأنهم سيخسرون ارواحهم اذا بدر منهم أقل اهمال .

وفي الحقيقة كانت خطة الكتمان ناجحة تماماً ، بالرغم من وصول مئات من قطارات القطعات والتموين يومياً في كانون الأول عام ١٩٤٤ ، وكان هذا النجاح مفخرة تثير الدهشة بالنظر لتفوق الحلفاء الجوي المطلق وامكان طائراتهم الاستطلاعية للوصول الى محل ما تشاء . ومما يزيد في هذا العجب نجاح هذا العمل الجبار ، ان كبار اعضاء الحزب - أمثال كولايتر Cauleiter الشرير وسيمون وآخرين غيرهم ، الذين لم يعبروا عن التلميح « بالحدث العظيم » ، وقد

حدث مثل هذا التلميح في بتبرغ بواسطة مكبرة الصوت ! ومن الطبيعي ان هؤلاء لم يخبروا بهذا التعرض عن طريق عسكري ، وانما عن طريق سبل الحزب الواسعة .

وكان النجاح التام لهذا التستر والتخفي دليلا على دقة العمل لآمري القطعات المشاركة ومساعديهم ، وبرهاناً ساطعاً على دحض الاشاعات التي كانت ولا تزال تتردد حتى يومنا هذا ، عن خيانة القادة والاركان العامة .

وفي ١٠ كانون الأول ، وصل هتلر مع هيئة ركن صغيرة الى مقر المعركة الذي انشىء له في عام ١٩٤٠ - ويدعى «عش العقاب» قرب نوهايم Nauheim ليتمكن من ابداء « المساعدة » في أية لحظة ، كما كان يدعي ، وقد اخبر يودل روندشتيت بوصوله في نفس اليوم. وقد لحظت الموقف بالنسبة للتعرض الذي سنقوم به ومما جاء فيه الاراء التالية :

اذا لم يتم الوصول الى الموز جنوب غرب لياج في اليوم التالي من الهجوم ومن المفضل اقامة رأس جسر على الجانب الآخر . فان التعرض يعتبر فاشلاً في الحصول على هدفه الرئيسي . وكان يودل يعارضني ، وكان يؤكد ان خمسة او ستة ايام مسموح بها لهذه الصفحة . وقد لعبت هذه الآراء المعارضة دوراً هاماً في الأخير، عندما اصبحت القضية: هل نكف عن التعرض في الوقت المناسب، حسب رأي روندشتيت .

لقد كان كايتل مسؤولاً عن توزيع وتموين الوقود الضروري للتعرض. وكانت الكميات المؤمنة كافية في جميع مراحل التعرض ، ولم يساور النفوس اي قلق او خوف من استخدامه حتى قبل الأوان ، ولكن كايتل لم يوافق على طلب القيادة الغربية بوجوب ايصال التموين الى الراين في الوقت المناسب ، وكانت نتيجة ذلك ان اصبح من الضروري تأجيل تاريخ الشروع بالتعرض من يوم الى يوم .

وفي الاخير قرر هتلر ان يكون تاريخ الشروع بالتعرض هو ١٦ كانون الأول بالرغم من معارضة مودل ، لأن هتلر كان يخشى زوال الجو الرديء الذي كان يلائمنا جداً . ومن سوء الحظ ان يسوء تموين الوقود في الأخير ويصبح نزراً قليلاً من جراء الهجمات الجوية العنيفة على السكك والطرق المائية ، وكان هذا وحده سبباً كافياً لركود التعرض وتوقفه .

كانت القطعات قد تحركت الى نقاط القفز وهي في احسن حال . وقد أراد مودل سحب الفرق الآلية من الجبهة ، لأنها كانت منهمكة في المعارك الدائرة حول آخن الى آخر لحظة ، ولنفسح المجال الى جميع القوات التي خصصتها القيادة العليا للمساهمة في التعرض . اما القوات التي لم تشترك ولم تحضر فهي التي اخذت على مضض من الجيش السابع الذي كان واجبه الصعب هو حماية الجناح الجنوبي. وقد تبين في اللحظة الاخيرة ، ان معدات وتدريب القطعات التي وصلت حديثاً خلاف ما كانت تتوقعه القيادة العليا وتتمناه. وعلى كل، فقد قاتلت جميع التشكيلات قتالاً حسناً ، وبعضها كان قتالها ممتازاً . وكان اقل الجيوش في كسب الأراضي هو الجيش المدرع SS السادس ، الذي كان يقوده « سب » ديتريش ، « قائد الحرس الخاص » ، بالرغم من انه كان يفوق جميع الجيوش قوة ، وكان احد الأسباب لذلك صعوبة المنطقة التي في قاطعه . وكانت القيادة الغربية ترغب في استخدام هذا الجيش الى مسافة ابعد في الجنوب ، ولكن هذا الاقتراح رفض من جراء العبارة القائلة ان الاوامر «غير قابلة للتغيير». اضافة لذلك، كانت فرق الـ SS التي تؤلف الجزء الاكبر من هذا الجيش اقوى بأكثر من النصف بالمعدات والاشخاص من فرق الجيش. وقد جلبت هذه القوة لهذه الفرق ضرراً كبيراً في الطرق الضيقة في آيفل وهوهه فن Hohe Venn ، وكان من جملة الاسباب في ذلك هو عدم قدرة الآمرين في السيطرة على تنقلات وانفتاح مثل هذا العدد الكبير من الجنود . وقد رفضت المساعدة التي قدمها ضباط الاركان العامة للجيش ، ثم عادوا والتمسوا هذه المساعدة ولكن بعد فوات الأوان .

سوف لا أبحث في سير الهجوم بالتفصيل ، ولكنني أقول انه حقق المباغتة الأولية وسار حسب الخطة الموضوعة ، وان جيش الوسط والجيش الجنوبي قد أحرزا انتصارات جيدة ، اما جيش الـ SS فقد أصابه ركود وجمود . وتوقف القسم الأكبر منه في منطقة كرنكلت Krinkelt ، بينما اخترقت وحدات مستقلة منه وأصبحت بجوار ماليدي. وقد يكون ارتكب أمر مخجل عند وصول القطعات هناك وهو الرمي على الأسرى الأميركيين وقتلهم[1] وقد سمعته القيادة في الغرب لأول مرة من اذاعة الحلفاء .

ولما توقف جيش الـ SS ولم يحرز اي تقدم ، اهملت الخطة التي وضعها هتلر لانقاذ موسوليني من قبل قائد الـ SS سكورزيني Skorzeny . وكانت الخطة هي ان يقود سكورزيني تشكيلا بالملابس الاميركية ويسيطر على جسر الموز في لياج بصورة مباغتة ، اما القول بأن سكورزيني كان هدفه قتل ايزنهاور فلم يكن صحيحاً ولا أساس له .

لقد بدا من الهجوم الذي جرى في مساء اليوم الأول ان الجيش لن يستطيع الوصول الى الموز ، وان الوقت قد فات لاجراء حركة جانبية لقوات كبيرة الى الجنوب . وهي كما في كل حركة ، يكون الشروع المغلوط سبباً للحيرة والارتباك فيما يتبع ذلك ويتعذر الآن اصلاح الخطأ . وعندما بينت القيادة الالمانية في الغرب رأيها في « مؤتمر الموقف» وقالت ان نتائج التعرض كانت غير مرضية . عارضها هتلر وأنكر رأيها بشدة . وأضاف ان جيش الـ SS سيستأنف التقدم قريباً ، وان الجيش المدرع الخامس ، من الناحية الثانية ، بقيادة الجنرال فون مان توبفل الحكيمة الجريئة ، وهو في منطقة ملائمة الآن سيخترق ويندفع حتى دينانت Dinant . اي انه سيصل الى الموز تقريباً .

---

١ – ظهر أخيراً بعض الشكوك في الولايات المتحدة حول ما اذا كان هذا الحادث قد جرى فعلا بالصورة التي ادعتها الجهات الاميركية الرسمية .

وعلى كل ، لن يكون في قدرتها الاستيلاء على باستون Bastogne المركز الرئيسي والمدافع عنه دفاعاً قوياً ، وكان من جملة الوحدات الاميركية المدافعة هناك فرقة مظلية اثبتت فيما سبق في آرنم Arnhem كفاءتها العاليـة ، وكان قائدها ، الجنرال تايلر ، في اجازة يتمتع بها في الولايات المتحدة ، ولكن اجازته سحبت وعاد فوراً الى الطائرة – وكان هذا دليلاً واضحاً على الأهميـة التي تعلقها قيادة الحلفاء على هذا المركز العصبي الحساس . وقد جرت محاولات عديدة للاستيلاء من باستون ، التي اصبحت حصناً حقيقياً ، وبالرغم من جميـع الامدادات التي زجت في الأمام ، لم تنجح جميع المحاولات ، بينما وجـه العدو ضغطاً قوياً الى الشمال على جيش الـ SS ، واشتركت حتى القطعات البريطانيـة في المعركة ، وهددت هجمات الجيش الثالث الامريكي بقيادة الجنرال باتون ، الجيش السابع الالماني الضعيف في الجنوب تهديداً خطيراً .

عندما أصبحت المنطقة المحيطة بمتز Metz خالية من قوات العدو تمامـاً ، اقترحت القيادة الألمانية في الغرب بتاريخ ٢٣ كانون الأول وجوب اجراء اندفاع من ضواحي ساربروكن Saarbrucken ، لغرض نجدة الجيش السابع والتخفيف عنه ، ثم لحماية حقول الفحم في السار . وقد رفض هتلر هذا الاقتراح وكان يؤيده يودل. وأمر بدلاً من ذلك، بهجوم من الالزاس السفلى وباتجاه الفوج Vosges . وسنتهيأ لهذا الهجوم في لحظات .

إن الضغط القوي الموجه نحو جنـاحي الهجوم من الشمال والجنوب لم يجبر المهاجمين على اتخاذ الوضع الدفاعي فحسب ، وانما هدد جحفـل جيش مودل بالاحاطة شبيهة بما حدث في نورماندي . اضافـة لذلك حصل تبدل في الجو ، وسقط الثلج وأصبحت الطرق من جراء ذلك يتعذر المرور فيها ، ومن ناحية أخرى أفسح المجال لقوات الحلفاء الجوية بالاشتراك المستمر في القتال .

وكان من نتيجة ذلك أن أخذت صعوبات التموين تزداد من يوم لآخر، وقلت

قابلية حركة القطعات كثيراً، وأصبحت الشمس من الآن وما بعده تشرق والسماء صافية وكانت تكتسح الضباب الذي كان خير حليف للقطعات الألمانية .

وفي تاريخ ٢٢ كانون الأول حث روندشتيت هتلر على ايقاف التعرض. وقد ألح كثيراً في التماسه ، ولكن جواب هتلر كان الرفض أيضاً ، لأنه كان لا يزال يأمل في امكان الاستيلاء على باستون . ولكنه عاد وقرر في بداية السنة الجديدة – متأخر جداً – وجوب ايقاف التعرض . وكان خير عمل لنا الآن يلسجم مع ضرورة الاقتصاد بقواتنا ، هو أن نلسحب بأسرع ما يمكن وراء الجدار الغربي، ولكن هتلر لم يوافق على ذلك أيضاً ، لأنه كان يخشى مطاردة العدو وتعقبه لنا بسرعة فائقة . ولم يقتنع أن العدو حتى ولو اتبع هذه الطريقة ، فان السحاب قطعاتنا بقفزة واحدة يؤمن لنا اقتصاداً وضماناً . ولذلك كانت القطعات الالمانية في منتصف كانون الثاني مرهقة منهوكة القوى قبل وصولها وراء نهري الحدود ، أور والسور Our & Sauer . وقد تكبدت تلك القوات في الاسبوعين الاخيرين بصورة خاصة تضحيات لا تعوض . وقد سببت الغارات الجوية المستمرة خسائر عظيمة وشلت كل حركة نهاراً .

أما القوات الجوية القوية التي كان مقر هتلر يعد بها مراراً فلم تصل ولم تتحقق لترفع العبء عن كاهل القوات الارضية ، ولهذا كان ينقصنا احد المتطلبات الضرورية ، بينما كانت الاسراب المقاتلة الالمانية في البداية يصعب عليها التحليق لرداءة الجو، وعندما تحسن الجو سيطر الحلفاء جواً وكثيراً مادمروا تلك المقاتلات وهي جاثمة ومجتمعة على الارض .

ولم تتحقق الغارات الجوية بنطاق واسع على مطارات العدو والوحدات الأرضية المساندة ، حسب الخطة المرسومة لليوم الأول من التعرض حتى اليوم الأول من عام ١٩٤٥ . ولم تتيسر من الطائرات سوى تسعمائة مقاتلة بدلاً من ثلاثة آلاف طائرة او ١٥٠٠ طائرة ، وكانت تلك المقاتلات اقل كفاءة فنية من

المقاتلات – القاصفات للعدو ؛ ومع ذلك لم تستطع ان تقدم مساعدة إلا لفترات قصيرة مقرونة بخسائر جسيمة تكبدتها ذاتها .

وفي ١٢ كانون الثاني عام ١٩٤٥ ، شن السوفييت تعرضهم الاكبر، واحرزوا انتصارات عظيمة ، وبات الأمر ان الجبهة الشرقية تحتاج الى المساعدة . وكانت القيادة الألمانية في الغرب تدرك منذ البداية ان الجبهة الشرقية يجب ان تكون لها الاسبقية ، ولذلك أصدرت الأمر للجيش المدرع السادس بوجوب التجمع في محطات القطار قبل استلام التعليمات من مقر هتلر بثلاثة ايام .

ومع ذلك فقد استغرق تسفير الجيش وقتاً طويلا ، وكان السبب في ذلك حركات العدو الجوية المستمرة ، والثلج على الطرق ، ونقصان الوقود ، وكان هناك سبب آخر ، هو ان القائد الأعلى وبعض ضباط هذا الجيش قد تركوا قطعاتهم وسافروا لوحدهم .

كانت النتائج العسكرية للتعرض اكثر من مخيبة للآمال ، لأنه لم يتحقق الغرض السوقي ولم يتحسن الموقف ، وكانت الخسائر في الرجال والمواد كبيرة جداً ، وكانت تقدر بـ ٢٥ الف جندي وكان ربع هذا العدد قد قتل ، اما الخسائر في المواد فكانت مؤلمة مفجعة حيث فقدت المنطقة الصناعية لسيليزيا العليا واصبح من المتعذر تعويض الخسائر في المواد . ولا ريب ان العدو تكبد خسائر اعظم ، ووقع في أيدي الالمان ما يقرب من ثلاثين الفاً من الاسرى، ومع ان خسائر الحلفاء العامة كانت جسيمة وفادحة ، إلا انها لم تصدم الحلفاء صدمة قوية . واستطاعوا التعويض عن تلك الخسائر وملء الفجوات من معينهم الاحتياطي الذي لا ينضب . وكان النجاح الايجابي الوحيد الذي حققه الجانب الالماني هو الحصول على وقت قصير من جراء عرقلة خطط العدو . وكانت هذه الظاهرة واضحة جلية في الجبهة بين موسل Mosel ورايمز Rheims . وكاد هذا

القاطع ينقوض في منتصف كانون الأول ، وكان اخـــتراق العدو الى مانهايم Mannheim لا مفر منه ، وبصورة عامة كان كل ما كسبناه شيئاً لا يستحق الذكر . وربما كان الموقف العسكري يختلف كل الاختلاف لو شن الهجوم من منطقة آخن ، ولما تكبدت قطعاتنا تلك الخسائر الفادحة التي تكبدتها في آيفل وهوهفن والاردينس. ولما كانت نتيجته كما انتهى من وضع حرج بعد تعرض هتلر . ثم ايضاً لو انه ابتدأ كما يجب ، مقروناً بالحماس والشجاعة الفذة ، لكان فاتحة عسكرية ممتازة للسنة الجديدة في الجبهة الغربية .

هملر « كقائد للجيش »

لقد كان واضحاً ، بعد نجاح الاختراق في زابرن Zabern وبلفورت Belfort ، أن الجيش التاسع عشر الموجود في الالزاس لن يستطيع الثبـــات والصمود الا لوقت محدود . وكان خير عمل له هو الانسحاب الى الضفة اليمنى من الراين بأسرع ما يمكن لاجتناب خسائر أخرى هو في غنى عنها في الضفة الغربية . ومن الطبيعي أن لا يوافق هتلر على ذلك ، وبدلاً من ذلك أحيـــا مناقشة يودل حول مقترحات القيادة في الغرب ، وعلى أي حـــال ، كان يجب اجراء الاستحضارات لاستقبال هذا الجيش في جبهة بادن ، لئلا يقوم العدو بالعبور في الوقت ذاته . وقد طُلبت القوات لهذا الغرض ، واذا لم تتيسر فيجب تأمينها من جيش الاحتياط . وكان الحل الذي قرره مقر هتلر يعتبر حلا غريباً مفـــاجئاً : وهو تعيين هملر « قائداً » عاماً للراين الأعلى ، وخول السلطة على جميع الجبهة من كارلزروهه الى الحدود السويسرية[1] . وكان هملر قبل هذا قائداً لجيش الاحتياط منذ ٢٠ تموز .

---

١ — وضع ستة الاف من حرس كمرك الحدود لحماية الحدود السويسرية من باسل Basle الى بحيرة كونستانس ، واطلق على هؤلاء الحرس الجيش الرابع والعشرين لخدع العدو ، وكان نجاح هذه الخدعة كبيراً جداً ولم يظهر الا بعد الاستسلام حين وجد الفرنسيون انهم لا يستولون على جيش وانما على موظفي كمرك .

وكان هملر يعارض بشدة كل محاولة لطلب أي قوات من جيشه الاحتياطي عند حدوث الأزمات في أي قاطع من الجبهة الغربية . وتعيينه بهذا المنصب كان مفيداً من ناحية واحدة وهي أن القوات أصبحت متيسرة لديه الآن للدفاع عن الراين الأعلى ، ولعل هذه كانت الحسنة الوحيدة من هذا الانتخاب الشاذ لرجل بمنصب قائد جحفل جيش لم يصل الا الى رتبة ضابط صف في الجيش البافاري القديم ، وكل ما يتصف به من ميزات أخرى هي Weltanschauung . وكل ما نستطيع القول عنه أنه رفض رئيس الأركان الذي عينه الجيش له لتفادي الأخطاء البديهية . وكان هملر معتداً بشخصيته وأهميتها ولذلك كان يترفع عن استلام الأوامر من الفيلد مارشال روندشتيت ، وكان الشيء الوحيد الذي يطلبه من قيادة الغرب هو تجهيزه بالعتاد والوقود .

لقد كان الجيش التاسع عشر يواجه الآن فترة عصيبة مليئة بأعظم الصعاب ، لأنه كان يجاور جحفل الجيش غ ، وقيادة الغرب ، وأول عمل قام به هملر هو طرد قادة الجيش وقادة الفيالق الذين اعتبرهم «مذنبين لسماحهم بحدوث الاختراق في الالزاس » ، وعيّن غيرهم في مناصبهم وفي الحقيقة كان من المتعذر أن تقنعه بأن أسباب الانحدار لم تكن نتيجة أخطاء فردية للضباط .

ثم جاءت بعد ذلك الطامة الكبرى للأوامر السخيفة التي أصدرها وسأذكر مثلاً بارزاً واحداً منها ، فقد أصدر هملر ذاته أمراً بوصفه قائد جحفل الجيش ، يقضي بوجوب اشتراك قطعة مدفعية من العيار الثقيل في القتال ، وطلب من جميع قادة الجيوش وقادة الفيالق الحضور عند اطلاق أول طلقة . ومع ذلك ، كان كايتل من ناحيته يخبر القيادة الغربية تلفونياً ويجلب انتباهها الى « الطرق الجديدة في القيادة » التي كان قائد الرايخ يبتدعها ؛ وقال انها « تستحق كل تقدير واعجاب » . أجل إنها في الحقيقة كذلك . واذا حدثت نكسة في أي مكان ، أو أن أمراً من أوامره تعذر تطبيقه ، فان ذلك أشد ما يدهش هملر ويباغته ،

وكان حقده على الجيش وضباطه قد كتمه وأخفاه بدقة وعناية، ولكنه انكشف أخيراً وانفجر بحدة وشدة، وكانت تستحوذ على هملر أيضاً شكوك وأوهام لأنه مريض نفسياً ولا يثق بأحد . وكان يشعر دائماً بأنه مغبون وفي موقف سيء . وكان يتجلى هذا في قضايا التموين بصورة خاصة ، وكثيراً ما أدى ذلك الى خصام مع قيادة الغرب . وعلى كل كان يستلم كميات من التموين أكثر مما هو مخصص للقواطع الأخرى في الجبهة ، لأنه كان يخشى أن يتصل بهتلر تلفونياً ويسبب تحويل جميع قطارات العتاد الى قاطعه . ومع ذلك كان يرمي كل اطلاقة ترسل اليه ثم يطلب المزيد . وكان يجلس في قطاره الخاص في الغابة السوداء ، وكان يحول القطار بنفسه الى النفق عند كل انذار بالغارة الجوية . ولا أريد أن أشير الى أن هملر لم يزر الجبهة بذاته مطلقاً ولكنه كان يصدر أوامره للهجوم من محل أمين في الخلف . ولكن يجب أن يقال انصافاً وعدلاً ، أنه كان لا يجرؤ على مواجهة قتل أي واحد من تشكيلات جيشه التي كانت تحت امرته .

لقد شنت وحدات من جحفل الجيش غ ، في مساء يوم السنة الجديدة ١٩٤٥، هجوما من منطقة بتش Bitsch وكان الهدف محدوداً ، هو اعادة احتلال منطقة الالزاس الشمالية ، وسحب قوات العدو من الجبهة التي تضايق فيها جحفل جيش مودل في شمال الأردينس . وبعد قتال عنيف نجحت فرقتان آليتان من الجيش في اختراق خط ماجينو القوي التحصين شمال هاجناو Hagenau . وهل هناك شيء أكثر حكمة من استثمار هذا النجاح استثماراً تاماً والاندفاع باتجاه عام نحو سترازبورغ ؟

ولم يكن غرض القيادة في الغرب ، طبعاً ، احتلال المدينة وانما لجعل العدو في حالة تقهقر وإلهائه ، وهنا تدخل هملر وادعى أن من اليسير عليه احتلال سترازبورغ من رأس الجسر الصغير الذي بقي في أيدي الجيش التاسع عشر في وسط الالزاس ، مع العلم أن القوات الموجودة في هاجناو التي تعود للقيادة في الغرب قد وضعت تحت قيادته .

وقد طلب هتلر في البداية من القيادة في الغرب أن ترضي هملر. ولكن عندما لم يستجب روندشتيت « لرغبة الفوهرر » ، صدر الأمر الملائم من القيادة العليا للقوات المسلحة . وعليه سحب هملر الفرق من هاجناو ولكن بصعوبة بالغة وحركها جنوباً الى الراين تماماً . وقد فقد وقت كثير في هذه العملية بحيث استطاع العدو ان يتخلص من نكساته وان يعزز موضعه في ستراسبورغ مرة أخرى . وقد علم بعد الحرب أن الحلفاء كانوا قد تهيأوا للتخلي عن المدينة. وبعد هذا المثال الرائع لقدرته العسكرية ، نقل هملر – للاستجمام العام – الى منصب قيادة جحفل الجيش فايشل Weichsel في الجبهة الشرقية. وتظاهر أن «نجاحه» في الغرب جعله جديراً بهذا المنصب الجديد .

وهكذا أعيد اناطة جبهة الراين الأعلى بأمرة قيادة الغرب . ومن الطبيعي ان لا يجري تسليم الدائرة بصورة نظامية ، وكل ما هنالك قد ترك القائد العام للراين الاعلى وراءه سلة مهملات مليئة بأوامر وتقارير مختلفة . ويظهر ان تلك كانت وسيلة اخرى من « طرق القيادة الجديدة » .

حرية عمل روندشتيت . وما سبب القتال حتى النهاية ؟

عندما استلم روندشتيت القيادة العليا للجيش الغربي للمرة الثانية في ايلول ١٩٤٤ ، اشترط على هتلر ان يمنحه سلطات واسعة ، وكان سبب هذا الشرط التجربة القاسية السابقة ، وقد تحقق له كل ما اراد حتى انه منح سلطة على اجزاء من جيش الاحتياط في الغرب . ثم كان له الحق في اصدار الوصايا الى السلطات المدنية الخاصة بالدفاع ، وحتى الى محافظي المدن Gauleiters . وقد منح كذلك حرية عمل في الشؤون العسكرية الخالصة ، وفي الحقيقة ، كانت هذه هي الحالة في البداية ، ولكن بعد ان وقف وقفة فعالة ضد شهادة مختلف المحافظين ، حول الفشل المزعوم، وضد نتائج اخراج القادة ذوي الرتب الكبيرة

وبعد ان استقر الموقف خلافاً لما كان ينتظر وزال الخطر الأكيد ، ابتدأت القيادة العليا للقوات المسلحة بالتدخل في الصغيرة والكبيرة مرة ثانية ، وكان اول هذه التدخلات هو منع الانسحاب وراء الوال Waal . واستمرت في وضع التفاصيل الدقيقة لادارة تعرض الاردينز ، وقد بلغ هذا التدخل أسوأ مراحله في عام ١٩٤٥ . عندما اصبح على قيادة الغرب ان تعطي ست عشرة فرقة ، معظمها من خيرة الفرق ، وقسم كبير من المدفعية الى الجبهة الشرقية . ولكن القيادة الغربية لم تتردد في هذا الطلب لئلا يستولي السوفييت على اراضي المانية اخرى . ولا ريب ان انقاص قواتها بمعدل ١/٣ ، كان لا بد من حدوث انتكاسات في الجبهة الغربية . وقد صرح مقر هتلر انه كان قد أعد كل شيء لمجابهة الظروف . وفي الحقيقة انه لم يعمل شيئاً مطلقاً ، وبدلا من ذلك انهال باللوم والتوبيخ ، وأصبحت العلاقات تزداد سوءاً . واغتاظ هتلر وتكدر منذ البداية حين كان روندشتيت يصرح خلال قيامهم بالتعرض ، وكان تصريحه يتميز بالحدة والشدة احياناً ، وكان يقول ان اشد ما يضايقني هو التدخل في الشؤون التي هي من صميم مسؤوليتي .

اقترحت القيادة في الغرب ، في كانون الثاني عام ١٩٤٥ ، وجوب التخلي عن جميع هولنده الغربية وجنوب بحر اجسل Ijssel للاقتصاد في القوات . ولم يرفض هذا الاقتراح فحسب ، وانما صدر الأمر بوجوب الدفاع عن الأراضي المنخفضة كما لو كانت قلعة مكونة من مواقع قنفذية ، وكانت هذه العبارات في الحقيقة عبارات فارغة . وقد أجاب روندشتيت بعد قليل على هذا الأمر ببرقية أخرى الى هتلر اوضح فيها ان الغرض الوحيد والمهم جداً هو الاحتفاظ بجبهة متماسكة لا يمكن اختراقها اختراقاً على نطاق سوقي وتجاه هذه الضرورة علينا ان نترك سياسة التمسك بكل قدم من الأرض الالمانية بصورة جامدة كما صدرت الاوامر بذلك حتى الان . اضافة لذلك من الضروري جداً القيام بالاستحضارات الواسعة لتنظيم الدفاع على الجبهة الشرقية لنهر الراين لأن الانهر لم تعد موانع كما

كانت في السابق ، وكان الحلفاء يضمنون لأنفسهم وبطريقتهم الأسلوبية اجراء الاستحضارات الدقيقة لعبور نهر الراين ، اما البقاء بعيداً غرب النهر فان ذلك يزيد من خطر تعقب العدو للقطعات الالمانية المتراجعة. فهل هتلر ان يحفظ له حرية العمل ؟ ولم يرد جواب على ذلك في البداية . وقد جاء الجواب بعد التأكيدات المستعجلة. وكان الرد مخيباً للآمال. حيث اصر هتلر على طلبه بوجوب الدفاع عن كل قدم من الأرض . وقد أشار الى قوة الجدار الغربي. ومنع استسلام حتى اصغر المواقع بدون اذنه . ولكن روندشتيت لم يستسلم ولم ييأس ، وانما جدد طلباته واخبر هتلر ان « القطعات سئمت الحرب » .

ويظهر ان القيادة العليا نسيت ان الجدار الغربي ومنعاته الدفاعية قد شيدت بسرعة كبيرة ، ولم تكن صحيحة من الوجهة التعبوية عند البناء . اضافة لذلك تطورت أسلحة الهجوم وزادت قوتها خلال السنوات الخمس من الحرب . ولذلك ضعفت ثقة القطعات بكفاءة الاستحكامات في الغرب . وهم يكرهون بصورة خاصة تلك الحجر الصغيرة العديدة ذات السقوف الكونكرتية الخفيفة وذات المزاغل الجبهوية ، لأنها كانت معرضة للتدمير بأخف قصف، ثم ان الذين يقبعون في داخلها يمكن اعماؤهم بسهولة بقاذفات اللهب . ويفضل الجنود الخروج من هذه المنعات ويقاتلون في الأرض المكشوفة . وكانت قواتنا ايضاً لا تكفي لاشغال جميع تلك المنعات ، ولهذه الاسباب لم يكن هناك أي مبرر لاطالة الجبهة كثيراً في سبيل اشغال جميع اقسام الجدار الغربي ، وجعل جميع الجبهة ضعيفة معرضة للتقويض والانهيار .

ان هذا التحليل الواقعي الذي قدمه روندشتيت كان قد أصاب نقطة حساسة وهي المس بكبرياء مشيد الجدار الغربي . ويعد فقدان جسر ريماغن في مارس ١٩٤٥ ، « بلغ السيل الزبى » فقد طرد روندشتيت وحل كسرلنغ محله . وقد بقيت في منصبي بناء على رغبة كسرلنغ ذاته .

لقد رأينا روندشتيت، وهو أقـــدم ضابط في الجيش ، كيف يسلب حرية العمل ؛ وكيف انه لم يوفق في الحصول عليها ، وكل من يعرف روندشتيت يعلم مدى ما سبب له ذلك من ألم ومعاناة أفقدته الراحة والنوم . وكان موقفه ضعيفاً وهو يرى الاخطاء تتراكم الواحدة تلو الاخرى ، وتوجه القوات الاخيرة للتعرض عبثاً في هجوم نحو أهداف خاطئة ، وكثيراً مـا كان يرتجف منفعلاً ، حينما يرى مقترحاته المبنية على التجربة الطويلة والتفكير العميق ، مصيرهـــا الاهمال من قبل القيادة العليا ، وكان مدفوعاً قسراً الى تنفيذ اعمال غير مألوفة متعذرة ومدمرة .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو لماذا لم يستمر في كفاحه في سبيل الحصول على حرية العمل بصورة أشد وأقوى ، ولماذا لم يستنتج النتيجة المنطقية ، وينكر التزاماته ، ويعمل بما يراه مناسباً ، او - اذا لم تكن لديـه الجرأة على ذلك – ان يتخلى ويترك .

ان الاجابة على هذه الأسئلة لن تكون دقيقة وافية الا من روندشتيت ذاته ويبين لنا سبب موافقته على طلب هتلر بان يكون عضواً في « محكمة الشرف » التي كان يرأسها كايتل ، والتي قررت طرد ثوار ٢٠ تموز من الجيش . وعلى كل سأحاول الاشارة الى اغراضه ودوافعه كقائد أعلى في الغرب ، وأبين العالم الذي كان يعيش فيه .

كان روندشتيت ينتسب الى عائلة عريقة في العسكرية ، وقد شب وترعرع في ظل حكم القيصر ولهلم الأول ، وخدم في الجيش ما ينيف على الخمسين عاماً ، وكان جندياً اولاً وآخراً ، وكان يتجنب السياسة دائمـــاً ، وكانت الثورة العسكرية في زمن الحرب عنده انها وراء حدود الامكانية . لأنه كان يرى على اي قوات يمكن ان تستند هذه الثورة ؟ يكون اغلب احتمال لنتيجتها هو اراقة

الدماء بين الضباط الالمان . وأخيراً كان يؤمن ايماناً قوياً بالاشتراكية الوطنية حتى النهاية .

لقد قيل بأنه كان يمكنه ايقاف القتال في الغرب ويستسلم على الأقل . لأنه كان على ما يبدو راغباً في وضع نهاية لهذه الخسائر الفادحة في الرجال واعطاء حد لتدمير المدن الالمانية الاخرى من الجو . فهل يتصل بايزنهاور بمحض ارادته؟ ان سجيته العسكرية أبت عليه ذلك .

وربما كانت هذه الخصال وهذه المبادىء تبدو في أيامنا هذه قديمة بالية ، ولكن الحقيقة أن المرء يتعذر عليه أن يقفز على ظله . ثم انه كان يعلم بنتيجة مؤتمر كاسبلانكا وهو « الاستسلام بدون قيد او شرط » وهل كان عليه ، بصفته قائد جبهة ، ان يسلم الجيش الغربي تحت رحمة العدو بعد كل تلك التضحيات ، وهو لا يعرف ماذا ستكون النتيجة وماذا سيجني بعدها ؟ وعليه ما هو أهم واجب حيوي للجيش الغربي ؟

إن السبب الذي جعل هذا الجيش متماسكاً بالرغم من توالي الهجمات عليه ومعاكسة الظروف ، هو الشعور العام بواجب الدفاع عن مؤخرة الجيش في الشرق . ولأنه كان معنى الاستسلام وتوقف القتال في الغرب انهيار الجبهة في روسيا . ولكن هل يجوز فسح المجال بهذه الطريقة لوقوع أسرى ألمان أكثر بأيدي السوفييت ؟ وفي الحقيقة هل كان بامكانه الاشراف على الموقف كله ؟ وهل كان بامكانه أن يضمن أن الخيوط السياسية لم تغزل مع الغرب وبذلك يصبح عمله الجانبي صعباً قاسياً ؟ ثم اليس من الممكن بعد كل ذلك زج الغواصات الجديدة ، والمقاتلات النفاثة ، والأسلحة السرية العديدة التي هي في دور التطوير ، في القتال في اللحظة الأخيرة ؟ والحقيقة انه كان ينظر الى جميع هذه نظرة ملؤها الشك والريبة . ولم يكن غبياً بحيث يتوقع تبدل الوضع وتحول المد بأسلحة فردية . وعلى كل كان يفكر بأن هذه الاسلحة اذا كانت مؤثرة جداً ، فانها قد تؤدي الى

تحسين الاحوال بعض الشيء . لأن اختراع واحد يستطيع احباط وشل سلاح بكامله في بضعة ايام [1] ، كلا ، يتعذر على قيادة الغرب رؤية الصورة كاملة . كيف يمكنها واجراءات الامن المشددة قد وصلت حدود الخيال . وفي هذه الاجراءات مثلاً « أمر الفوهرر الرقم ١ » الصادر في ١٣ كانون الثاني ١٩٤٠ ، ومما جاء فيه ان على كل ضابط او دائرة ، ان لا تعرف عن أي قضية اكثر مما هو ضروري لانجاز واجبه مباشرة ، وان لا يفشي بذلك الخبر او المعلومات حتى يتم نجاح الواجب ، ويشمل انتهاك السرية جميع نواحي حياة الشعب والحكومة العسكرية السياسية العلمية والاقتصادية ، فلم يكن لدى روندشتيت معلومات هتلر ، اذ ليس له حق الوصول الى المختبرات ومعرفة انتاجها ، ولم يكن له اي حق بالتحدث بحديث رسمي مع الاشخاص الذين يستطيعون معرفة الموقف كله ، كغورنغ ، دونيز ، وكايتل ، وريبنتروب - علاوة على ان أي محاولة من هذا القبيل ستصل الى علم هتلر فوراً ويمنعه بنفسه .

وكثيراً ما بدى من روندشتيت عندما تقدم به السن ، أنه كان يريد الموت ويشتاقه ليرتاح من صراعه النفسي المرير ، وكان متضايقاً جداً من التحذير الذي كان وجهه هتلر وبه لن يستطيع الجيش او الشعب التخلص من الواجب الملقى عليهم ، وان القتال يجب ان يستمر حتى النهاية المرة ، التي كان يدعو لها روندشتيت ان تكون قريبة جداً ، وعليه لماذا لم يستقل، وهذا سؤال كثيراً ما سئل ؟ ان الذي ابقاه بلا ريب لم يكن « اخلاص التابع »، لأنه لم يكن من مقربي هتلر يوماً من الأيام . ولا يحمل في قرارة نفسه إلا المقت والكره لهذا الرجل ، وكان كثيراً ما يظهر كراهيته له امام أي كان . ولم ينحز يوماً إلى جانبه ، وكل فرد في الجيش يعلم ان روندشتيت كان قنوعاً ، عفيفاً ، ولم يكن ذا طموح شخصي مطلقاً ، وكان يشعر ان أسلم حل له هو ان يذهب لداره ويستريح .

---

١ - مثلاً ، الرادار ضد الغواصات ؛ او القنبلة الذرية .

وكان يريد ان يبقى مع جنوده حتى اللحظة الأخيرة . وهذا يبين لماذا ظل مع القطعات حتى بعد اقالته .

لقد وجد روندشتيت نفسه في موقف لا نظير له في التاريخ لأنه لا هو ولا القادة العسكريون الآخرون وجدوا وسيلة للخلاص من المشكلة وهي تحديدهم من الناحية العسكرية والتي كانوا يبغون مهربا منها بصورة شعورية او لا شعورية . ومن ناحيةأخرى الصعوبة المتناهية في الوصول الى أي قرار . وكل ما نصبو اليه ونأمل ان القادة العسكريين للدول الأخرى لا يروا انفسهم بمثل هـــذا الموقف

لقد كتب لدل هارت في ٢٩ نيسان ١٩٤٢ ، في المانجستر كارديان : لقـــد انتقدت « عيونهم العمياء » في كتابي ، ولكنني أشك فيما اذا كان قادة الأقطار الأخرى . وهم في نفس الظروف ، يعملون اكثر لاسقاط مثل هذه الحكومة .

ريماغن

في بداية مارت عام ١٩٤٥ ، طلب كايتل تلفونياً القيادة الغربية وقال يجب على القيادة « ان تبين لهتلر اسباب استمرار النكسات في الجبهة الغربية » . ولما كنت رئيساً لأركان روندشتيت ،فقد كان علي أن اذهب حالاً . وقد تمت المقابلة في مستشارية الرايخ بتاريخ ٦ مارت واستمرت اكثر من خمس ساعات .

كان جدال هتلر الرئيسي هو ان فرق المشاة ، التي كان معدل قوة كل منهـا خمسة آلاف جندي قادرة على مسك جبهة خمسة عشر كيلومتراً لكل منها ، ثم احتلال جميع المنعات ، اضافة الى قدرتها على تكوين احتياط لها. وكان اشد غضبه منصباً على تقرير روندشتيت الذي اشرنا اليه قبل هذا، والذي كان يتعلق بأهمية وقيمة الجدار الغربي ، وكان هتلر يصف التقرير بأنه « اختلاق مخجل » .

وان العدو كان يرتجف وهو يواجه « معجزة ذلك الفن الالماني » . بينما ذهب ضابط الماني الى ابعد الحدود حين قال عن هذا الجدار بان الجنود كانوا يفضلون القتال في العراء على ان يبقوا بحماية تلك الغرف الكونكريتية .

وقد بذلت جهدي في محاولة اقناع هتلر ان النقص في القوات يتطلب تقصير الجبهات ما امكن ، والا كان خطر الاختراق كبيراً ، ولذلك كانت القيادة الغربية مصيبة حين طلبت الموافقة للتخلي عن خطوط حصينة في سبيل مصلحتها وفائدتها . وكان سؤال هتلر لي عما هي القوات التي كان يمكن توفيرها .

وقد أجبت على هذا السؤال : في الحقيقة ان القضية ليست قضية « توفير » وانما الجبهة بوضعها الحالي وامتدادها الكبير معرضة للاختراق في اي لحظة نتيجة توجيه اقل ضغط عليها . وقد أجاب هتلر الذي لم يخنه جواب مطلقاً ، اننا لو قصرنا جبهتنا ، فان العدو يفعل الشيء ذاته ، وبعد ذلك يستطيع فرض تفوقه علينا بصورة أكيدة في منطقة أصغر .

وقد بدا على هتلر عدم الارتياح ، عندما اشرت الى آلام السكان المدنيين ، الذين تسرب اليأس الى نفوسهم ، وصاروا لا يعتبرون قطعاتنا حماة ، بل ان مجرد وجودهم يهدد الشيء الضئيل المتبقي لديهم بالضياع والفقدان .

وقد تعمد هتلر عدم التحدث في هذه الناحية ، ومع ذلك تابعت الحديث وأجبت عن احد ملاماته قائلاً ان « الحياة وراء الخطوط » لم تعد ممكنة في المدن في الغرب، وذلك للشقاء والتعاسة المخيمين هناك .

ويبدو ان هتلر قد اقتنع في النهاية أن الطريقة الجامدة التي كانت مسيطرة على ادارة القتال حتى ذلك الوقت لم تكن قابلة التطبيق لمدة أكثر . أما يودل فكان الشك يساوره وكان يعتقد أن هذه الحالة ستدوم مدة أطول وقد كان مصيباً فيما ذهب اليه .

وفي اليوم التالي أي في ٧ مارت نجحت الدبابات الأميركية في اختراق جبهة ريماغن ، وسيطروا على جسر السكة على نهر الراين وهو بحالة صالحة ، وقد جلب العدو بكل سرعة التعزيزات والتقويات ، وأسس رأس جسر على الضفة الشرقية وكان يمتد ويتسع في كل ساعة .

والآن كيف حدث مثل هذا الشيء ؟ إن ايضاح ذلك سهل وبسيط . فلو كان لديك قطعة من المطاط وسحبتها بقوة كبيرة بحيث لا يبقى مجال للتمدد فانها تنقطع ، وهكذا كان الخط الرفيع الذي يمثل الجبهة الألمانية فقد انشطرت الى شطرين . ولما لم يتيسر لدينا احتياط في الخلف استطاع العدو أن يستمر في اندفاعه الى الجسر بدون أي عائق . وكان هذا الجسر هيء لنسفه وتدميره ، ولكن لسبب من الأسباب لم يتمكن الحرس المسؤول ، وكلهم كان يتجاوز سنهم الأربعين ، من اشعال فتيل المتفجرة ، أما اسلحة ضد الدبابات التي كان بامكانها ايقاف درع العدو على الجسر ، فكانت اما غير موجودة أو أنها لم تتمكن من الرمي في حينه ، ولم تكن القوات المحلية قوية بحيث تصد العدو وتمنعه من الوصول الى الضفة الشرقية . ومن الطبيعي أن يلتجيء مودل الى كل وسيلة ممكنة لديه في سبيل تدمير رأس الجسر بهجمات مركزة ، ولكنه كان في موقف الأضعف ، لأن العدو جلب قواته بسرعة فائقة ، ولهذا كان أمل الجانب الألماني منذ البداية ضعيفاً في فوز السباق الى ريماغن . وقد خابت جميع المساعي في الأخير لنسف الجسر بالهجمات القاصفة او بواسطة « جنود الضفادع » التابعين للبحرية لالصاق المتفجرات بالجسر .

وعلى أثر ذلك قام مقر هتلر بالاستفسار حالاً عن المقصرين في ذلك او الذين تركوا واجبهم ، وهل المقصر الأول القيادة العليا أم الجنود المسؤولون عن الجسر؟ وكان الآمرون لا يخامرهم شك — بالرغم من تراكم الحظ المشؤوم — في أن فقدان الجسر كان نتيجة تمديد الجبهة بصورة كبيرة لا يقبلها العقل . ولكن هذا الرأي

يجعل القيادة العليا للقوات المسلحة وهتلر الذي لم يعترف حتى الآن بارتكابه أي خطأ ، هي المسؤولة عن ذلك .

وقد أخبرني كايتل قبل هذا عندما تقابلنا في مؤتمر ٦ مارت بأن هتلر لم يكن مقتنعاً بمبدأ « التمديد » وعدم تماسك الجبهة في الغرب .

وقرر هتلر الآن ايجاد المذنبين لمعاقبتهم من قبله ولم ينتظر نتائج التحقيق الذي جرى من قبل كسرلنغ ومودل ، بل عين « محكمة خاصة في الغرب » برئاسة أشد المتحمسين للاشتراكية الوطنية من ضباط الجيش الجنرال هوبنر Hübner ، الذي كان يرى فيه هتلر ما لا يراه في الآمرين في الغرب وهي الثقة به والاعتماد عليه .

وكان هوبنر مسؤولاً تجاه هتلر وحده ، وقد خوله سلطات واسعة لم يخول مثله ضابط في الجيش الألماني سابقاً . وكان له الحق في احالة أي ضابط مهما كانت رتبته الى المحكمة العسكرية ثم المصادقة على قرارها وتنفيذه فوراً . وكانت سلطته القضائية أمراً مخيفاً فظيعاً .

وقد أنجزت هذه المحكمة الخاصة في الغرب كل ما أراد هتلر ولم تخيب ظنه . وأدانت عدداً من الضباط وحكمت عليهم بالاعدام بتهمة « الجبن » او « الاهمال بالواجب » ، وقد نفذ فيهم الاعدام رمياً بالرصاص فوراً . وقد علمت القيادة الغربية بالعقوبات وتنفيذها لأول مرة من التقرير اليومي للجيش . وهكذا كان هؤلاء الضباط التعساء ضحية هتلر وفي الحقيقة قد يكون هؤلاء ممن كانت تعوزهم القابلية والابداع ولكنهم ذهبوا عبرة لخلق الجراءة والشجاعة في الآخرين بطريقة الارهاب والتخويف . وعلى كل ، ربما كان هوبنر مدفوعاً بعمله عن عقيدة ولكن مع ذلك ظل عمله مجلبة للخزي والعار لكل من يرتدي البذلة العسكرية في الجيش ولا يتردد في تنفيذ ارادة الدكتاتور في مثل هذا الأمر .

وبعد عبور العدو نهر الراين على جبهة عريضة ، كان نقص الجنود والتموين كافياً لجعل المقاومة الالمانية تتضاءل باستمرار . وكانت بضعة الاسابيع الاخيرة فترة يحفها اليأس والقنوط والكسل بانتظار النهاية .

اخترق مونتغومري جحفل الجيش « ب » من الراين الأسفل والقطعات الاميركية من وسط الراين ثم احيط في ٢٥ مارت فيما يدعى « بجيب الرور » . وتوقفت مقاومته في ١٠ نيسان ، وانتحر الفيلد مارشال مودل . وقد وضع جحفل الجيش الشمالي « هـ » تحت القيادة العليا الجديدة وهي القائد العام للشمال الغربي . وأسرعت القطعات الكندية في تقدمها من هولاندا ، وانسحبت اجزاء الى شمال غرب المانيا . ولم يبق لدى القيادة الغربية سوى ثلاثة جيوش من اصل سبعة جيوش كانت تحت قيادتها ؛ وبهذه القوات الضعيفة تراجعت القيادة عبر غابات هارتز Harz وتيرنجيان Thuringian الى بافاريا والتيرول ، وكان مثالاً حياً للفشل الذريع للقيادة العليا للقوات المسلحة في تقدير الموقف ، حيث انها امتنعت في منتصف نيسان ان تلحق جيش الاحتياط جنوب الدانوب بقيادة الغرب، وكان السبب «هو ان هذه الوحدات ستكون نواة لتشكيلات جديدة». وفي هذا الوقت العصيب كان هتلر ينوي اجراء وقفة نهائية في « قلعة الألب » .

وقد تمت الموافقة على هذا الغرض في البداية، ولكننا لم نسمع عن هذه الخطة الا من راديو الحلفاء . ولم ينظر احد الى هذه الخطة نظرة جدية ، وبالتعاون مع شبير Speer ، وكسرلنغ تم الغاء تنفيذ امر هتلر المدمر في ١٩ مارت ، وكان ذلك الأمر هو حرق الأرض كما يفعل السوفييت، وكان ذلك آخر تخريب نفعله ، وخاصة في منطقة الرور ، ولم ينفذ كسرلنغ ايضاً الامر الذي اصدره سوية كايتل وبورمان وكان: على كل مدينة او قرية ان يدافع عنها .

وفي ٥ مايس القت القطعات المتبقية من قيادة الغرب اسلحتها ، وقد فعلوا ذلك اسوة بما فعل جحفل الجيش في ايطاليا وتوقفت المقاومة لأنها لم يبق لها

معنى بعد انهيار الجبهة الشرقية ولأنه لم يبق للاستمرار في هذه المقاومة مكان او سلاح أو عتاد . وفي الحقيقة لم يبق لدينا من المواد الحربيـــة شيء لنسلمه الى الاميركيين وكان ذلك اغرب ما في الامر ، وكل ما اتذكره ان جحفل الجيش « غ » كان لديه أربعون دبابة ومائة وعشرون مدفعـــاً أثناء التسليم . ووضع كسرلنغ في الأسر حالاً . اما قطعاتــه وبعض القطعات الاخرى التي حاولت الهروب من وقوعها في ايدي الروس او اليوغوسلافيين اجتمعت في بافـــاريا العليا وفورتمبرغ لتسريحها . وفي بداية تمـــوز ١٩٤٥ سرح حوالى ستمائة الف جندي . اما القادة ، وضباط الاركان العامة ، وجميع افراد سلاح الـ SS فقد أودعوا السجن وقضى معظمهم فيه اكثر من سنتين ونصف .

★

٨

نظرة على الجانب الآخر

عندما أبحث عن الحالات المختلفة التي نشبت فيها الحرب في جانب الحلفاء والجانب الالماني من الضروري ان يكون البحث عاماً فقط ، بحث تعوزه النظرة الفاحصة للذي كان يجري هناك وراء المسرح . وسأحاول ان اتفادى الوقوع في الخطأ ، فلا افكر بأن كل شيء كان يسير بانتظام في الجانب الآخر من التل .

وقد بحثت عن اوجه اختلاف الحالات الحربية بين الجانبين المتخاصمين في الفصل السادس عند بحث ميدان الحرب الايطالي . وكان أهم فارق هو كثرة العدد في الرجال وفي العدد لدى الخصم . وبعد دخول الولايات المتحدة الحرب ، تغير الميزان تماماً ورجحت كفة العدو علينا . وكان المجهود الحربي للولايات المتحدة كبيراً جداً بحيث لم يجنب الحلفاء تلك النواقص التي ذقنا مرارتها في ميادين حرب أفريقيا وايطاليا والجبهة الغربية والتي كانت مستمرة كالخبز اليومي للقادة الالمان فحسب ، وانما كانت تفيض عن الحاجة ، وكانت تتدفق المساعدات كالسيل الى روسيا . ولا يمكن المبالغة في أهمية هذه المساعدة ولكن

كان يبدو من المتعذر جداً على روسيا ان تكون في حالة التعرض بدون تلك المساعدة [1] .

وكان ثمة فارق كبير وحاسم هو تفوق البريطانيين والاميريكيين في البر والبحر ، وقد اصبح هذا التفوق مطلقاً بعد سنة ١٩٤٣ . ولذلك كان سبباً في عدم قدرتنا على ايجـــاد وسيلة لعرقلة او منع ارسال الجنود ومواد التموين من امريكا الى اوربا او الى حركات انزال الحلفاء، وكان تفوق العدو في الجو بصورة عامة اكثر مما هو تفوق عددي في رجاله المقاتلين ، واحدثت الاساطيل الجوية للحلفاء الغربيين تغييراً في الميزان اكثر واقوى مما أحدثته الحشود الروسية الـتي كانت لا تنضب وكان الحلفاء ايضاً يجنون فائدة الاشتغال على الخطوط الخارجية وهذه الضرورة التي دعتهم الى اتباعها كان لها تأثير اكثر مما كان لها في الحرب العالمية الأولى ، حيث كانت القوى المركزية في ذلك الوقت قادرة على استخدام الخطوط الداخلية ، وان تنقل قطعات كبيرة من الشرق الى الغرب او بالعكس حسب الحاجة . بينما تحددت هذه الامكانية الآن بدرجة كبيرة . وما الفائـدة من شبكة سكك حديدية تامة وممتازة اذا كان بالامكان اصابة بعـض الجسور بقنبلة وشل جميع الشبكة عن العمل لبضعة أيام ، او احيانـــاً لأسبوع واكثر ؟

لقد اصبحت مثل هذه الحوادث التي لا يمكن توقعهـــا تحدث في كل وقت، وتربك جميع الحسابات المتعلقة بجداول التوقيت ، لقد كان من الممكن فيحرب ١٩١٤ – ١٨ ان يعرف المرء كم من الوقت تستغرق حركة ما بالسكة الحديدية حتى ولو كانت لمسافات كبيرة جداً ، اما الآن فقد تغيرت الحالة . واصبح كل

---

١ – سلمت الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفيتي ابتداء من ١٩٤٢ وما بعدها ما يقرب من أربعة آلاف طائرة وخمسة آلاف دبابة في كل سنة ، بالاضافة الى عدة ملايين طن من المواد الحربية الأخرى .

حساب لمعرفة الوقت الذي تستغرقه كل حركة ينتهي بجملة « على فرض عدم عرقلة الخط او قطعه بهجوم العدو الجوي » واصبح الوقت المحسوب لتنقل القطعات اعتباراً من عام ١٩٤٣ وما بعدها لا يعتمد بصورة على كفاءة تنظيمنا فحسب وانما على اعمال قوات العدو الجوية، والقصف الجوي، وحركات الانصار في بعض المناطق وكلها تؤثر تأثيراً كبيراً على جداول التوقيت وكثيراً مايتضاعف الوقت اللازم للحركة مرات عديدة. فمثلا في أوائل ١٩٤٣، كان يتطلب لنقل فرقة مشاة من الجبهة الشرقية الى ايطاليا اربعة اسابيع على الأقل وهذا كمعدل، بدلاً من ان يكون عشرة ايام في الحالات الاعتيادية.

لقد فقدت الحرب خاصية القتال على الخطوط الداخلية من جانب المانيا، ذلك بعد فقدان شمال افريقيا ثم بصورة اكثر بعد استسلام ايطاليا. وقد اصبحنا بدلا من ذلك كأننا محاصرون في قلعة كبيرة، وأخذت حدود هذه القلعة تشتد ضيقاً بعد الاندحارات في الشرق في خريف عام ١٩٤٤ وبعد نجاح الغزو في نورماندي. وهذا التقلص مما ساعد الحلفاء على تركيز اشتداد حربهم الجوية، وكثرة الانذارات والهجمات الجوية سببت ارباك تدريب السلاح الجوي الألماني وتدمير معداته.

وكان العدو بالاضافة الى ما يتمتع به من عوامل النصر النهائي التي مر ذكرها أعلاه: كان يخضع لقيادة موحدة. ولم تكن مثل هذه القيادة موجودة في الجانب الألماني حتى قبل استسلام ايطاليا. أما الدول الأوربية التابعة لألمانيا فكانت لا وزن لها. وكان البحث بين القيادة العليا الالمانية وحلفائها محدوداً ولا يتعدى حدود الاستفسار عن نوع ومدى المساعدة التي تطلبها الدول.

ولم يكن هناك اتصال مستمر مع اليابان، ولم يجر أي اتفاق على التعاون مطلقاً. وهناك قاعدة قديمة عن الحرب المتحالفة تقول: ان الحلفاء الضعفاء

هم عالة ومصدر مشاكل وعراقيل اكثر مما هم مصدر مساعدة . وقد تكون المساعدات التي يحتاجونها في سبيل انعاشهم ورفعهم الى المستوى اللازم تتطلب احياناً ان تؤثر على الناحية السوقية للحرب بدرجة كبيرة وتؤدي الى تشتيت القوى . ان الحليف الضعيف يكون تأثيره قوياً - بالطبع من الناحية السلبية فقط . وهكذا لم يكن لألمانيا حلفاء أقوياء .

لقد كانت الاحوال تختلف كل الاختلاف عند الحلفاء ، ويمكننا ان نحكم عليهم من الظواهر والادلة الخارجية ، فقد كانوا منذ البداية ثلاث أمم ذات بأس وقوة ، تسندها شعوبها وتؤيدها تأييداً مطلقاً . وتقف كلها جنباً واحداً ، وهكذا دحضت كذبة غوبلز القائلة ان القوي هو الاقوى فقط. واستطاع الحلفاء أن يؤازروا حلفاءهم الضعفاء ويسندوهم بدون أي صعوبة . وكانت المؤتمرات الدائمية بين الضباط البريطانيين والأميريكيين ، والمقابلات المختلفة « للأقطاب الكبار » تعطي دليلاً على الجهود المبذولة في سبيل التعاون الوثيق . وكان هذا التعاون كبيراً الى حد الاعجاب في الجانب الانكلوساكسوني بحيث كانت القوات الاميريكية تحت امرة قائد بريطاني في البحر الابيض المتوسط ، بينما كانت الحالة معكوسة في غرب أوربا .

وكانت هناك نقطة واحدة لم يتم الاتفاق عليها وهي صعوبة الاتفاق مع الروس ، او بين البريطانيين والاميركيين على تنفيذ خطة تشرشل وهي القيام بفتح « الجبهة الثانية » في جنوب شرق اوربا بدلاً من الغرب . وقد اتضح لدينا الآن بأن ستالين كان يعارض هذا الاقتراح ، بالرغم من انها كانت اسرع وسيلة للتخفيف عنه وهو كثيراً ما كان ينشده . ولكن يتعذر علينا حتى الآن تبرير معارضة الولايات المتحدة للخطة .

ان المانيا كان يصعب عليها اعاقة الاستحضارات او احباطها للقيام بالغزو في اليونان او في منطقة الادرياتيك . اما الانزال الرئيسي في البلقان فيكون خطيراً ومهلكاً من الناحية العسكرية ، ناهيك عن النتائج السياسية . وكان لا بد من جلب القوات الكبيرة اللازمة لمقاومة مثل هذا الهجوم من الجهة الشرقية وهكذا تهدد هذه الجبهة تهديداً خطيراً بهذه الطعنة السوقية من الخلف ، واذا اغتنمت هذه الفرصة من قبل الروس وشنوا هجوماً عنيفاً في الوقت نفسه أدى ذلك الى تقريب انهيار الجيش في الشرق .

وكان من المؤكد ان تنهي خطة تشرشل الحرب مبكراً جداً .

لقد اوضحت سابقاً ، في الفصل الخامس والسادس ، والسابع الفرص التي سنحت للحلفاء لاحراز نصر مبكر ، ومرت عليهم تلك الفرص بسبب نظمهم الأسلوبية ، وفشلهم في استثمار الامكانيات السوقية في افريقيا ، وايطاليا ، وفي الغرب .

وقد ادركنا الآن ، من الناحية الأخرى ، ان القرارات السياسية في مؤتمر يالطا هي التي جعلتهم يتقاعسون في اغتنام الفرصة لاحتلال برلين قبل وصول الروس .

لقد كان القادة الالمان يحسدون خصومهم على نظام قيادتهم الموحد ، فكان القائد الاعلى في ميدان الحرب يتمتع بالسيطرة على الصفوف الثلاثة المسلحة ، القوة الجوية ، والبحرية ، والأرضية ، وكان الفيلد مارشال الكسندر والجنرال ايزنهاور ، قائدين بكل معنى الكلمة ، ولم يكتفيا بلقب القائد العام فقط . وانما كانا قائدين حقيقيين . وعلى نقيض ذلك ، كان القائد العام الالماني لجحفل جيش

او في ميدان الحرب ، لا يتعدى أن يكون بالاسم فقط ، ولم يسمح له باعطاء الاوامر المباشرة الى البحرية او السلاح الجـوي ، او الشرطة ، أو الى الادارة العسكرية إلا في حالات الخطر الناجمة عن التأخير ، أي بمعنى في الحـالات الاستثنائية وكانت هذه الحالة تصور تصوراً صادقاً النظام المضطرب للدولة في ظل الاشتراكية الوطنية « حكومة الوحدة » التي انشئت بحيث تتضارب فيهـا الأحزاب فيما بينها في سبيل الحفاظ على سلطة الدكتاتور وبقائها بدون منافس. بينما كانت الدول الديمقراطية الغربية على نقيض ذلك حيث وجدت من الممكن انشاء نوع من السلطة كلما دعت الضرورة ، بينما كان في المانيا « حكومة الزعيم » كان كل فرد يشد باتجاه مختلف ، وعليه ان يعمل وهو مكبل بالقيد ومسير بواسطة رجـل لا يسمع إلا صوته وكان يقود شعبه – بانتصارات عرضية عديدة – الى الكارثة النهائية

٩

سلام أو حرب

ليس هذا الكتاب ـ كما قد يبدو ـ محاولة للتدليل على أن المانيا كان بمقدورها كسب الحرب العالمية الثانية لو اتيح لها قيادة افضل . وقد يكون ذلك أبعد شيء عن غرضي ومقصدي ، ولن يستطيع اي فرد ان يقدم بحثاً مقنعاً في هذا الصدد. وان اندحار المانيا في عام ١٩٤٥ كان اندحاراً شاملاً ، وكانت تلك الحرب وفي جميع الجهات خاسرة قبل شروعها،سياسياً . وللكراهية التي أثارها هتلر بين جميع جيراننا ، وكان يتعذر كسبها عسكرياً ، لتفوق قوات العدو بصورة كبيرة ومطلقة، ولضعف المانيا في الجو والبحر. ولذلك لم يكن الاندحار نتيجة للاخطاء الكثيرة التي ارتكبتها قيادة الهواة فقط ، ولم يكن « لخيانة » القادة المزعومة .

لقد حاولت ايضاح الحالة النفسية والموقف العام للجيش في « الرايخ الثالث » ثم حاولت ايضاً القاء بعض الضوء على ما جرى في ميدان الحرب ، الغربي ، والافريقي ، والايطالي .

ومن العبث التكهن فيما اذا كان بالامكان التخفيف من شدة وطأة الاندحار

الالماني ، والى أي مدى بقيادة اكثر اعتدالا وبفسح المجال للاختصاصيين ان يلعبوا دورهم فيها . ومن اليسير جداً اساءة تقدير مثل هذه الاعتبارات ..

والحقيقة الوحيدة هي ان الخسارة الجسيمة التي تكبدناها في الرجال والمواد كنا في غنى عنها وبدون جدوى لنا .

لقد أوضح كارل فون كلاوزه فيج ، قبل مائة وعشرين عاماً العلاقة بين السلطة السياسية والقيادة العسكرية . ولم يدركها الكثيرون وأسيء تطبيقها في كثير من الاحيان ، ومع ذلك لا تزال تلك القواعد صحيحة ثابتة حتى الآن . ولا يزال الغرض السياسي الحصول على نتيجة بوسيلة الحرب ، وفي الحقيقة هي الوسيلة الوحيدة . وستبقى الحرب «اداة للسياسة» ومن هنا يظهر دور الجندي ، وهو دور ثانوي . ولذلك فالقوة المسلحة الآن وفي كل وقت هي « الاداة التنفيذية » للسياسة ، وليس من حقها ان تضع سياسة لها وتتبعها .

ولعلني وفقت في ايضاح هذه النقطة التي كثرت حولها الآراء واختلفت فيها الحلول . ويتضح من ذلك ان قادة الجيش الالماني كانوا غير مسؤولين عن اشعال الحرب . ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان الجندي هو الذي يضع الخطط السياسية ، ولأصبح هو المهيمن على سلطة الحكومة . ولكن الواقع ، هو ان السلطة السياسية هي التي تقرر الحرب او السلم . وهكذا بقيت القوات المسلحة « تابعة للسياسة » وتنحصر مسؤوليتها في التهيؤ والدفاع عن الوطن . ورجل السياسة يعلم الرجل العسكري عن اتخاذ الاحتياطات اللازمة ليصبح جاهزاً متهيئاً عندما تصبح السياسة غير مجدية ولا بد من استخدام القوة العسكرية . ورجل السياسة هو الذي يقرر اذا كان من الضروري استخدام القوات المسلحة للدفاع عن الوطن ، او لتنفيذ التزامات المعاهدة او لأي اسباب اخرى .

إن آلام وتضحيات حربين عالميتين كانت حافزاً للنشوء رغبة ملحة للسلم بين جميع الشعوب . وليس هناك رجل مسؤول يطمع في حرب أخرى . خاصة بعد التطورات الفنية السريعة التي جعلت الحرب تزداد رعباً وبشاعة وتفوق حتى الغارات الجوية الأخيرة على ألمانيا . وستكون حرباً تعم العالم كله ، صراعاً بين جانبي المعمورة . ولن تحول حتى المحيطات دون هولها وفظاعتها . وستكون الحرب الرئيسية الجديدة « الحرب الاجماعية » حقيقة مفزعة رهيبة . ولن ينجو أحد من قبضتها القاسية .

ولعل أشد ما يرهق العقول ويذهلها هو مستقبل القنبلة الذرية ، والأسلحة المرعبة الأخرى . ولذلك نبع في كل قلب حنين للسلام الأبدي .

ولم يعد النشء الجديد يؤمن بطرق التفكير الوطنية التي كانت حتى الآن . وقد يكون هؤلاء من دعاة الوطنية العالمية ، والمواطنة العالمية المثلى . ويدرك الجميع الرغبة الملحة في سرعة اقامة الولايات المتحدة الأوربية ، أو حتى الحكومة العالمية . وبذلك يتم القضاء على الخلافات والنزاعات التي تؤدي الى الحرب في المستقبل . ان روح المسالمة تشتد وتقوى كل يوم ، وخاصة في المانيا . ونحن احوج ما نكون الى شعور صادق حي يعارض الخدمة العسكرية بكل قوة وصلابة .

وقد أخذ الرأي العام في جميع الأقطار يعارض النفقات والمصروفات العسكرية بكل شدة .

والآن لماذا لا يمكن التخلص من الحرب نهائياً في المستقبل ؟ ولماذا لا تأخذ البشرية درساً من التاريخ في النهاية ؟ إنه سؤال كثيراً ما يسأل مراراً وتكراراً.

واذا نظرنا الى الحرب من الناحية « السياسية » او الناحية « الحياتية »[1] يتضح لنا أن الأمل ضعيف جداً في تحريم الحرب نهائياً في المستقبل القريب . وجميع الحوادث منذ عام ١٩٤٥ تؤيد هذه النتيجة المحزنة .

وعلى كل قد يتعذر تجنب مظهر الحرب المروع بصورة كلية ، ولكن يبدوأنه من الممكن منع الحروب الفردية في بعض الظروف الخاصة . وعلى هذا يجب توجيه جميع الجهود نحو اخماد أي صراع حالما تظهر معالم الخطر الأولى .

ان المانيا تقع بين الشرق والغرب . وعليه فان السلم لا يزال بعيداً نائياً . اننا لم نكن أصحاب أراض ، وانما بلادنا منطقة حدود ، بل ربما تكون منطقة انفتاح وقتال . ويتبادر الى الذهن بأننا أشبه ما نكون بالحبوب بين رحى الطاحونة ، ولهذا السبب وحده ، ليس هناك من يخشى الحرب اكثر من المانيا وطننا المشوه ، الذي لا يزال ينزف الدم من آلاف الجروح فيه .

وليس هناك قلب يعاف الحرب ويكرهها اكثر من القلب الالماني وفاق الجميع بما عاناه من تجارب مروعة . والحقيقة أن الشعب الالماني لا يرغب في اعادة تسلحه وهو شعب لا يحب الحرب وليس كما يوصف في اغلب الأوقات[2] .

---

١ – الحرب من وجهة النظر السياسية هي وسيلة لنيل الهدف السياسي ، بينما النظرية الحياتية تقول انها ظاهرة طبيعية لا يمكن التخلص منها .

٢ – قام مؤرخان اميركيان حديثاً باستقصاء هذه الناحية ، وقد توصلا الى نتائج قد تكون مذهلة . وجاء في تقرير البروفسور سوروكيم Sorokim بيان عن عدد سني الحرب التي خاضتها الشعوب المختلفة خلال القرون الاثني عشر الأخيرة وقد جاءت بنسبة مئوية وكانت كما يلي : بولندا ٥٨٪ انكلترة ٥٦٪ فرنسا ٥٠٪ روسيا ٤٦٪ هولندا ٤٤٪ ايطاليا ٣٦٪ والمانيا (تشمل بروسيا) ٢٨٪ . اما البرفسور رايت Wright فكان استقصاؤه للمدة ١٨٠٠ الى

←

وحتى اذا اندلعت نيران حرب جديدة خارج حدودنا في البداية ، إلا ان تأثيرها غير المباشر سيكون شديداً قاسياً. ومن جملة ما سيعاني شعبنا هو الجوع – فان طعامه سيسرق خاصة وان أرضنا تعتبر من المناطق الشرقية المنتجة للغذاء والطعام – وسيتعرض للمجاعة مرة اخرى . اما اذا أصبحنا ميداناً للحرب ، وصارت الشعوب الأخرى تقاتل على أرضنا ، فان الدمار سيحيط بنا وخير لنا ان لا نتصور النتائج .

اذن على اي شيء نعلق آمالنا ، ونحن نرى ان تحريم الحرب نهائياً لا يزال بعيد المنال ؟ هل على حياد بلادنا ؟ ونحن نعلم ان الحرب لو اندلعت نيرانها لا يصد لظاها اتفاقيات او معاهدات ، مهما كانت النيات خالصة عند توقيعها ، او نزع السلاح الشامل التام ؟ لا ريب ان ذلك هو اضمن وسيلة لاجتناب الكارثة المروعة ، وتحقيق هذه الامنية تعتبر اسمى هدف يسعى اليه رجال الحكم في العالم .

وهذا هو درس التاريخ الذي تعلمته المانيا خلال العشر سنوات الأخيرة .

١٩٤٠ ، وقد نشبت خلال هذه الفترة ٢٨٧ حربا وكانت النسبة المئوية للشعوب المختلفة التي شاركت فيها كما يلي : انكلترة ٢٨./. فرنسا ٢٦./. اسبانيا ٢٣./. روسيا ٢٢./. هنغاريا ١٩./. تركيا ١٥./. بولندا ١١./. السويد ٩./. هولندا ٨./. المانيا (تشمل بروسيا) ٨./. والدانيمارك ٧./.

ملحق

ملحق رقم ١

جدول زمني للحوادث

١٩١٩

٢٨ حزيران	إلغاء التجنيد العام في ألمانيا بموجب معاهدة فرساي
صيف ١٩٢٠	بدء تأسيس قوة الدفاع الموقتة.
١٣ آذار	عصيان كاب .
١٧ آذار	تسلم الجنرال فون سيكت رئاسة مديرية الجيش .

١٩٢١

١ كانون الثاني	تأليف جيش من مئة الف جندي .
٩ تشرين الثاني	تمرد هتلر في ميونيخ .

١٩٢٦

١ أيلول	قبول ألمانيا في « عصبة الأمم » .
٣ تشرين أول	خلافة الجنرال هاي للجنرال اوبرست فون سيكت

١٩٢٨

٣ كانون أول منع هتلر جميع أعضاء الحزب النازي من إقامـــة علاقات مع القوات المسلحة .

١٩٢٩

٢٧ آب قرار معاهدة كلوغ بمنع الحرب .

١٩٣٠

أيلول « دعوى أولم » في محكمة الرايخ .

١ تشرين ثاني تسلم الجنرال فريهر فون هامرشتاين رئاسة مديرية الجيش .

١٩٣٣

١ تشرين أول تسلم الجنرال بك رئاسة دائرة القطعات .

١٤ » » إعلان هتلر خروج المانيا من عصبة الامم بعد فشل مفاوضات نزع السلاح .

١٩٣٤ بدء إعادة التسلح للجيش وتأسيس سلاح الجو « اللوفتواف» .

١ شباط تسلم الجنرال فريهر فون فريتش رئاسة مديرية الجيش .

٣٠ حزيران تمرد روهم .

٨ آب موت هندنبرغ . وقد غدا هتلر فوهرر ومستشاراً للرايخ . وهكذا أصبح الآمر الأعلى للقوات المسلحة .

١٩٣٥

١٦ آذار إدخال التجنيد العام ثانية .

١ تشرين أول صدور اول خطة انفتاح منذ ١٩١٤ .

١٩٣٦

٧ آذار دخول وحدات من الجيش وسلاح الجو الى المناطق المنزوعة السلاح في ارض الراين . والبدء ببناء الحصون على الحدود الالمانية الفرنسية .

١٩٣٨

٤ شباط إقالة بلومبرغ ؛ وتعيين هتلر نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة ، وكايتل رئيساً للقيادة العليا المسلحة . وإقالة فريتش وآخرين من قادة الجيش الكبار . وتعيين براوشش قائداً عاماً للجيش .

٨ آذار اول ملاحظة أعطيت لقيادة الجيش عن الرغبة بالسير الى النمسا.

١٣ آذار الدخول الى النمسا .

أيار هتلر يأمر باستعجال بناء «الجدار الغربي» بإشراف مؤسسة تود.

آب إقالة بيك من مركز رئيس هيئة اركان الجيش وإحلال الجنرال هالدر مكانه .

٢٨ أيلول اليوم الاول الذي قرر فيه هتلر احتلال تشيكوسلوفاكيا .

٢٩ أيلول اجتماع القوات الأربع في ميونيخ يقرر ان منطقة السوديت التي تتكلم الالمانية يجب ان تنضم الى ألمانيا .

٢ تشرين اول بدء دخول الالمان الى ارض السوديت .

الشتاء إلغاء مشاركة أركان القيادة في المسؤولية .

١ تشرين أول	صدور اول خطة انفتاح منذ ١٩١٤ .

١٩٣٦

٧ آذار	دخول وحدات من الجيش وسلاح الجو الى المناطق المنزوعة السلاح في ارض الراين . والبدء ببناء الحصون على الحدود الالمانية الفرنسية .

١٩٣٨

٤ شباط	إقالة بلومبرغ ؛ وتعيين هتلر نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة ، وكايتل رئيساً للقيادة العليا المسلحة . وإقالة فريتش وآخرين من قادة الجيش الكبار . وتعيين براوشش قائداً عاماً للجيش .

٨ آذار	اول ملاحظة أعطيت لقيادة الجيش عن الرغبة بالسير الى النمسا.

١٣ آذار	الدخول الى النمسا .

أيار	هتلر يأمر باستعجال بناء «الجدار الغربي» بإشراف مؤسسة تود.

آب	إقالة بيك من مركز رئيس هيئة اركان الجيش وإحلال الجنرال هالدر مكانه .

٢٨ أيلول	اليوم الاول الذي قرر فيه هتلر احتلال تشيكوسلوفاكيا .

٢٩ أيلول	اجتماع القوات الأربع في ميونيخ يقرر ان منطقة السوديت التي تتكلم الالمانية يجب ان تنضم الى ألمانيا .

٢ تشرين اول	بدء دخول الالمان الى ارض السوديت .

الشتاء	إلغاء مشاركة أركان القيادة في المسؤولية .

١٩٣٩

١٦ آذار	احتلال الباقي من تشيكوسلوفاكيا .
٢٨ أيار	المعاهدة العسكرية بين ايطاليا وألمانيا .
١٢ آب	اجتماع هتلر بسيانو في سالسبورغ .
٢٢ آب	خطاب هتلر للقادة العامين في برشتسغادن .
٢٣ آب	انتهاء معاهدة العشر سنوات لعدم الاعتداء والمشاورة بين روسيا وألمانيا .
٢٥ آب	سحب أمر هتلر الأول لغزو بولونيا .
٢٦ آب	بدء التحرك في ألمانيا .
١ أيلول	بدء الغزو لبولونيا .
٣ «	فرنسا وبريطانيا في حرب مع المانيا .
١٧ «	قطعات روسية تدخل بولونيا .
٢٦ «	احتلال وارصو .
٢٧ «	هتلر يخبر قادة الجيش الكبار بنيته في غزو الغرب .
نهاية ايلول	بدء تحول الجيش من بولونيا الى الغرب .
١ تشرين أول	اجتماع هتلر الثاني بالقادة العامين للقوات المسلحة حول خططه الهجومية .
٥ تشرين ثاني	تحذير براوشش لهتلر من خطر التسرع في عملية الغرب .

١٢ تشرين الثاني	تاريخ اول انطلاق هتلر لغزو الغرب .
٢٣ » »	هتلر يلوم قادة الجيش على نظرتهم الرجعية ؛ فشل استقالة براوشش.

١٩٤٠

١١ كانون الثاني	طائرة ألمانية للبريد تحمل أوامر بالانفتاح تُجبر على الهبوط في بلجيكا .
١٣ كانون الثاني	هتلر يصدر الامر المبدئي الرقم ١ المتعلق بالسريّة .
شباط	صدور خطة جديدة للغزو في الغرب .
٩ أيار	تلقي جيش الغرب الامر بالهجوم .
١٠ »	بدء الغزو الالماني .
١٥ »	استسلام الجيش الهولندي .
٢٨ »	استسلام الجيش البلجيكي .
نهاية أيار	حملة عسكرية بريطانية في خطر الدمار .
٥ حزيران	بدء الصفحة الثانية من غزو الغرب .
٩ »	الهجوم خلال الآيسن .
١٠ »	دخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا .
١٤ »	احتلال باريس .
١٧ »	المارشال بيتان يطلب الهدنة .
٢٢ »	توقيع الهدنة بين فرنسا وألمانيا في كومبين .
٢٥ »	وقف إطلاق النار في الغرب .

نهاية حزيران	هتلر يأمر بالاستعدادات لإنزال ممكن في انكلترة .
٤ تموز	ضرب البحرية الانكليزية للاسطول الفرنسي في مرسى الكبير .
١٩ تموز	هتلر يلقي خطاباً في الرايختاغ .
آب	بدء الحرب الجوية على انكلترة .
٢٤ - ٢٦ آب	الموعد الأول لغزو انكلترة .
٢٢ - ٢٤ أيلول	الموعد الثاني لغزو انكلترة .
أيلول	الغزو الايطالي لمصر .
٢٧ أيلول	حلف عسكري بين المانيا وايطاليا واليابان .
تشرين اول	إعطاء مسؤولية التموين الحربي للوزير تود (اخيراً لشبير) . وهتلر يلفت نظره الى غزو انكلترة . هتلر يقابل فرانكو في هنداي وبيتان في مونتوار .
٣١ تشرين أول	الهجوم الايطالي على اليونان .
٩ كانون أول	الهجوم الانكليزي الاول على شمالي افريقيا .

١٩٤١

١ كانون الثاني	طبرق بيد الانكليز .
كانون الثاني	نقل القوة الجوية الالمانية الى صقلية . بدء الغارات الالمانية على مالطة .
١١ شباط	اول إنزال للبر للقطعات الالمانية في طرابلس بقيادة رومل .

٣١ آذار اول هجوم لرومل في شمال افريقيا .

٤ نيسان رومل يحتل بنغازي .

١٩٤١

٦ نيسان بدء الحملة على البلقان .

٨ » محاصرة القطعات الالمانية والايطالية لطبرق .

٩ » رومل يحتل بارديا .

٢ أيار ثورة في العراق .

٢٢ حزيران الغزو الانكليزي الثاني لشمال افريقيا . معركة دفاعية في سلوم . بدء الهجوم الالماني على روسيا .

حزيران ـ تموز احتلال الجيش البريطاني لسوريا .

١٦ تشرين اول بدء الشهرين اللذين انقطع فيهما التموين عن القوات الالمانية والايطالية في شمالي افريقيا .

٨ تشرين ثاني الغزو البريطاني الثالث لشمال افريقيا .

٦ كانون أول النجدة البريطانية لطبرق .

٧ » » ضرب اليابانيين لبيرل هاربر . براوشش يقدم استقالته .

١١ » » إعلان المانيا الحرب على الولايات المتحدة الاميركية .

١٩ » » هتلر يعفي براوشش ويستلم هو نفسه قيادة الجيش .

كانون اول هتلر يمنع الجنرالات من تقديم طلبات للانسحاب .

١٩٤٢

٢١ كانون ثاني	هجوم روميل الثاني.
٣٠ » »	روميل يدخل بنغازي .
شباط	بدء الغارات الجوية الثقيلة على مالطة .
٤ شباط	احتلال روميل لدرنا .
٢٦ أيار	هجوم روميل الثالث .
١٢ حزيران	احتلال بير الحكيم .
٢١ »	سقوط طبرق وسبستبول .
أوائل تموز	روميل يصل العلمين .
تموز	هتلر يجدد امره المبدئي الرقم ١ حول السرّيّة .
٣٠ آب	روميل يباشر غزوه الرابع الذي اخفق لنقص البترول .
٢٤ أيلول	عزل هالدر - الجنرال زايتزلر يصبح رئيس اركان القيادة .
٢٣ تشرين اول	الهجوم البريطاني الرابع.
٢٨ » »	هتلر يصدر أمراً خاصاً بالمغاوير .
٣ تشرين ثاني	روميل يبدأ انسحابه من العلمين .
٨ » »	إنزال الحلفاء في شمال افريقيا المنطقة الفرنسية .

١٩٤٣

كانون الثاني	فقدان ليبيا بكاملها . بقايا جيش روميل تصل الى موضع مارث.

١٤ ـ ٢٠ ك ٢	مؤتمر كازبلانكا إعلان صيغة «التسليم بدون قيد او شرط» .
نهاية شباط	بدء الهجوم الجوي الاميركي والانكليزي على المانيا بدرجة ليس لها مثيل من قبل .
آذار	آخر نصر عظيم في حرب الغواصات .
٩ آذار	رومل يعود الى اوروبا بأمر من هتلر .

١٩٤٣

١٣ أيار	انتهاء الحرب في تونس .
٩ حزيران	إنزال الحلفاء في صقلية .
١٩ «	آخر اجتماع لهتلر مع موسوليني قبل سقوط الاخير . اول غارة جوية على روما .
٢٥ حزيران	احتجاز موسوليني . الانهيار الكامل للفاشية .
٦ آب	آخر محادثة بين وزارة الخارجية الالمانية ووزارة الخارجية الايطالية .
١٣ آب	إخلاء الجيش الالماني لصقلية .
١٥ آب	آخر محادثة بين ممثلي القيادة العليا للجيشين الالماني والايطالي (بودل وروتا) .
١٦ آب	سفر المفاوضين الايطاليين الى لشبونة لأجل محادثات السلام مع الحلفاء .
٣ أيلول	إنزال الانكليز على الارض الايطالية الرئيسية .

٨ ايلول إعلان استسلام ايطاليا الموقع في ٣ ايلول .

٩ » إنزال الحلفاء في سالرنو .

١٢ » تحرير موسوليني ؛ روما بيد الالمان .

٩ تشرين ثاني هتلر يعلن « الحرب الاجماعية ».

٢١ » » الفيلد مارشال كسرلنغ يصبح قائداً لعموم ايطاليا .

١٩٤٤

كانون ثاني تقديم ضباط المراقبة للحركة الوطنية الاشتراكية . هتلر يكرر منعه لطلبات الانسحاب من قبل الضباط الكبار .

٢٢ كانون ثاني إنزال الحلفاء في انزيو – نتونو .

٢٤ شباط الهجوم الالماني المعاكس على انزيو–نتونو بدون نجاح حاسم .

١١ أيار بدء الهجوم الكبير للحلفاء على كاسينو .

٢٤ » هجوم الحلفاء من رأس شاطىء انزيو .

٥ حزيران روما في ايدي الحلفاء .

٦ » بدء غزو الحلفاء للنورماندي.

٥ تموز إعفاء الفيلدمارشال فون روندشتيت من مركز قيادة جيش الغرب وإحلال الفيلد مارشال فون كلوغ محله .

٢٠ تموز مؤامرة فاشلة على حياة هتلر . عزل الجنرال زايتزلر . الجنرال اوبرست غودريان يؤتمن على اعمال رئيس اركان قيادة الجيش .

١٥ آب إنزال الاميركيين في جنوبي فرنسا .

١٩ آب	بدء انسحاب جحفل الجيش غ من جنوبي فرنسا .

٥ ايلول	الفيلدمارشال فون روندشتيت يعود الى قيادة جيش الغرب مرة ثانية .

تشرين اول	آخن تسقط بيد الحلفاء وهي اول مدينة المانية تسقط .

١٤ تشرين اول	موت روممل .

٢٤ « «	اول ملاحظة تعطى لقيادة الغرب عن خطة غزو الاردينز .

١٩٤٤

٢ كانون اول	مدل يصبح قائداً عاماً للراين الأعلى .

١٠ « «	انتهاء المعركة الدفاعية الرابعة حول آخن .

١٦ « «	المباشرة بغزو الاردينز .

٢٠ « «	رأس الحربة الالمانية شرقي دينانت تماماً .

نهاية « «	جحفل الجيش ب ينسحب الى نقطة انطلاقه الاصلية .

٣٠ « «	بدء الغزو الالماني من شمالي الفوج .

١٩٤٥

١٢ كانون الثاني	الغزو الروسي الكبير من رأس جسر باراناو .

٢٨ « «	بدء حركات الفرق من الغرب الى الشرق .

٧ آذار　جسر ريماجن بأيدي الاميركيين .

١٠ »　احلال الفيلد مارشال كسرلنغ محل الفيلد مارشال فون روندشتيت كقائد أعلى لجيش الغرب .

١٩ »　هتلر يصدر أمر « الارض المحروقة » .

٢٣ »　فقدان منطقة غربي الراين جميعها .

٢٥ »　القطعات الاميركية تسيطر على رؤوس جسور أخرى فوق الراين . محاصرة جحفل الجيش ب في الرور .

نهاية آذار　إقالة الجنرال أوبرست غودريان .

٩ نيسان　غزو الحلفاء الربيعي لايطاليا .

١٠ »　جحفل الجيش ب ينقطع عن المقاومة .

٢٢ »　هتلر يقرر البقاء في برلين .

٢٣ »　الحلفاء يخترقون الى البو في ايطاليا .

٣٠ »　موت هتلر .

٢ أيار　استسلام القطعات الالمانية في ايطاليا .

٥ »　استسلام قطعات جيش الغرب في جنوب المانيا والنمسا .

٨ أيار نصف الليل : تسليم القوات المسلحة الالمانية دون قيد او شرط اصبح نافذاً .

١ حزيران رئيس هيئة اركان القيادة الاميركي الجنرال مارشال يخبر الرئيس ترومان بأنه لم تكن هناك أية خطة عامة بين أركان القيادة الالمان والحزب النازي .

الملحق رقم ٢

المراكز التي شغلها المؤلف في زمن الوقائع والأحداث المذكورة في الكتاب

من ١ تشرين أول ١٩٣٢ حتى ٣٠ حزيران ١٩٣٥
في الاكاديمية العسكرية

من ١ آب ١٩٣٥ حتى ٩ تشرين ثاني ١٩٣٨
في قسم العمليات لهيئة أركان قيادة الجيش

من ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٨ حتى ٢٥ آب ١٩٣٩
خدمة مع القطعات

من ٢٦ آب ١٩٣٩ حتى ٤ آذار ١٩٤٠
أول ضابط اركان لفرقة في الغرب

من ١ آب ١٩٤٠ حتى ١٤ حزيران ١٩٤١
عضو في لجنة الهدنة الفرنسية ـ الالمانية

من ١٥ حزيران ١٩٤١ حتى ٥ تشرين اول ١٩٤٢
اول ضابط اركان لجحفل الدروع، اخيراً
للجيش المدرع الافريقي

من ٦ تشرين أول ١٩٤٢ حتى ٦ كانون أول ١٩٤٢

رئيس اركان قيادة الجيش المدرع الالماني الايطالي في افريقيا

من ٧ كانون اول ١٩٤٢ حتى ٣١ كانون اول ١٩٤٢

قائد للفرقة الافريقية الخفيفة رقم ١٦٤

من ١ كانون الثاني ١٩٤٣ حتى ٣١ كانون ثاني ١٩٤٣

في الاحتياط في المانيا

من ١ شباط ١٩٤٣ حتى ١٤ حزيران ١٩٤٣

رئيس قسم العمليات للقيادة العامة في الجنوب لدى القيادة العليا الايطالية

من ١٥ حزيران ١٩٤٣ حتى ٢٠ تشرين ثاني ١٩٤٣

رئيس اركان للقيادة العامة في الجنوب

من ٢١ تشرين ثاني ١٩٤٣ حتى ٢٥ أيار ١٩٤٤

رئيس اركان للقيادة العليا في الجنوب الغربي (القياده العليا لجحفل الجيش ج)

من ٢٦ أيار ١٩٤٤ حتى ٣١ آب ١٩٤٤

مريض

من ٩ ايلول ١٩٤٤ حتى أيار ١٩٤٥

رئيس اركان القيادة العامة في الغرب

للمترجم :

١ – هكذا يشتغل التلفزيون (نفد)
٢ – غودريان قائد القوات المدرعة (معد للطبع)

* يتيح هذا الكتاب الفرصة للقارئ العربي الكريم للاطلاع على الحملات الغربية في الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر الالمانية - النظرة التي يسرت مشاهدة مايجري وراء الستار، ومن ثم التعرف على كيفية استخدام القطعات في الميدان ...

* لقد لعب الجنرال وستفال دوراً كبيراً في القتال في الجبهة الغربية، وفي حملتي شمال افريقيا وايطاليا، وهو إذ يقدّم لنا هذه الرواية الدقيقة الصادقة عن هذه الميادين الحربية، انما يعرض لنا وجهة نظر القيادة الألمانية. فقد كان رئيس هيئة اركان رومل (في شمال افريقيا) وكسرلنغ (في ايطاليا) وروندشتيت (في فرنسا) ... ولا ريب أن صفاته التي أهلته لهذه المناصب جعلته فريداً لا يضاهيه أحد من الكتاب العسكريين الالمان لهذا الواجب ...

* وبالاضافة الى دوره في ادارة الحركات في الميدان، فقد لعب الجنرال وستفال دوراً هاماً في المقابلات الحيوية التي تمت مع هتلر، وقد حضر أيضاً خلال الحملة الايطالية برفقة المشير كسرلنغ زهاء مائة مؤتمر مع موسوليني ..

* وفي عام ١٩٤٠-١٩٤١ كان عضواً في الهدنة الألمانية الفرنسية.. وما أحرانا بعد ذلك من أن نستمع إلى هذا الضابط القدير حين يتحدث لنا عن المعركة في الغرب من جانبه .. المعركة التي دامت خمس سنوات كانت في منتهى الخطورة .. ويثير وستفال، وهو العارف الحاذق بموقف المحور كثيراً من الفرضيات التي يستأنس بها القارئ العام والسوقي المحترف (ماذا كان يحدث لو أن فرنسا أدركت خدعة الجدار الغربي وشنّت هجومها في أيلول ١٩٣٩ ..؟ لو أن الحلفاء أنزلوا قواتهم قرب روما وليغورن عام ١٩٤٣ و١٩٤٤ بدلاً من انزالهم في سالرنو وأنزيو؟.. لو أنهم نفذوا خطة تشرشل في فتح الجبهة الثانية في جنوب شرق أوروبا بدلاً من فتحها في الغرب؟)

* أما استعراضه للجيش الالماني خلال سنوات الحرب وتحليله الدقيق للحوادث فلا يزال ماثلاً في الاذهان.

* وكل هذا مما يجعل الكتاب جديراً بالقراءة والتأمل فيه ...

الثمن : ٧٠٠ فلس عراقي
٦٠٠ ق.ل. او ما يعادلها

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت